

وهو بالأفق الأعلى



السيد محمد بن علوي المالكي الحسني

كتاب القضاة

كتاب القضاة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

”سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ
إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ
مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ“ صَدَقَ اللَّهُ الْعَظِيمُ

1875

1875
The first of the year
The first of the year
The first of the year

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذى رفع قدر نبينا محمد صلى الله عليه وسلم فى الدنيا
وفى الأخرى * وأسرى به ليلا من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى
فأعظم بذلك فخرا * وقدمه جبريل فصلى بالأنبياء والمرسلين ليعلم به أنه
الإمام الأعظم وأنه بذلك المقام أحرى * ثم رقى إلى السموات العلا إلى
سدره المنتهى فظهر لمستوى سمع فيه صريف الأقلام ورأى من آيات ربه
الكبرى * وتجلى له وخاطبه وثبت فؤاده وأعطاه سؤله وأعظم له بذلك
أجرا * فسبحانه من إله نزه نفسه بنفسه فى مقام الإنباء عن الإسرى *
وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة تتوالى علينا إمداداتها
تترى * وأشهد أن سيدنا محمدا عبده ورسوله الذى بعثه رحمة للعالمين
وكنزاً لهم وذخراً * صلى الله عليه وسلم وعلى آله وصحبه وتابعيه
خصوصا وارثيه الذين أشاد الله تعالى لهم فى الخافقين ذكرا * .

أما بعد : فقد اعتنى العلماء المسلمون والمفكرون والباحثون عامة
بالجناب المحمدى وما يتعلق به وقاموا بالتأليف والبحث والتحقيق بهمة قوية
وجدوا فى ذلك كل الجدّ وبذلوا كل الاهتمام وهو وإن كان لا يفى بحق هذه
الشخصية الكريمة الجليلة العظيمة ولا يعطى لهذا المقام حقه اللائق به الذى
أنزله مولاه فى المكانة العظمى الفريدة الوحيدة لكنه فى الحقيقة يُعتبر أعظم
ما شهدته التاريخ فى جميع أطواره من عناية واهتمام لم يحصل مثله لأى
شخصية فى الدنيا سوى محمد بن عبد الله ﷺ .

قال شيخ شيوخنا الحافظ المحدث المسند السيد محمد عبد الحي الكتاني^(١) : قبل كل شيء أردنا أن نصارح المطالع المدقق بأن الرجل الخريت لوجال وأطال الترحال وكشف عن ساعده تنقيياً وبحثاً في خزائن الأرض طولها وعرضها ، لم يجد في البشر على اختلاف وجوه العظمة والإكبار من تتبع الناس منه وقائع الميلاد وحوادث الوفاة وشتى الحركات والسكنات ، وأحوال الإقامة والتنقلات ، وأطوار الغضب والرضى ، ووقائع السلم والحرب ، والعطاء والمنع والتحريم والتحليل ؛ غير فرد واحد في العالم الإنساني هو نبي المرسلين ورسول العالمين عليه أفضل صلوات الله وأزكى تحياته بحيث لو قُدِّرَ لدولة عظيمة من الدول الأرضية أن تجتهد في جمع كل ما كُتِبَ عنه - عليه السلام - لجمعت من ذلك خاصة مكتبة عظيمة لا تقصر عن أعظم مكاتب العالم .

نقول هذا مع العلم بما ضاع وأضاعه أهله وأحرقه أعداؤه من كتب هذا الشأن في وقعة التتار واستيلاء الأسبان على الأندلس .

وربما تلتفت سائلاً هل سبقك أحد إلى هذا الإحساس والشعور ؟ فنجيبك بعبارة وجدناها لرجل عظيم من أوعية التاريخ في الإسلام وهو الحافظ شمس الدين السخاوي الذي قال في كتابه (الإعلان بالتوبخ لمن ذم التاريخ) : إنه لو حصل التصدي لجمع اسم من كُتِبَ في السيرة النبوية لكان في عشرين مجلداً فأكثر .

(١) في كتابه (التأليف المولدية) ونقله عنه في مقدمة يواقيت الناج .

هذه عبارته عما كُتب في القرون الأولى إلى القرن التاسع ، فإذا زدت عليه ما كُتب بعده في هذه القرون الأربعة انجلي الأمر على حقيقة ما ذكرناه .

ثم قال : وهذا يدل على اهتمام المسلمين بشئون نبيهم اهتماماً لم يشاركهم فيه رجال دين آخر . وهاهي خزائن الأرض مفتوحة في وجوه المطالعين ، وأغلب فهارسها مطبوعة . فهل يجد المطالع فيها المتبع مثل هذا أو بعضه للنصارى واليهود في أنبيائهم أو للبوذية أو البراهمة في زعمائهم ؟ لا . . . لا . . .

ومعلوم أن القرآن المبين وحديث الرسول الصادق الأمين تحدثا عن الإسراء والمعراج كجزء من السيرة النبوية وعليهما يدور محور كل ما ألفه علماء الإسلام في تخصيصه عليه الصلاة والسلام بخصائص الإسراء والمعراج وما شاهدته أثناءهما من الأمور الخارقة التي لم يخص الله بها أحدا من الأنبياء والرسل (١) .

(١) مقدمة يواقيت التاج للسيد محمد الباقر الكتاني .

بيان بأسماء الكتب المؤلفة فى هذا الباب

ونذكر هنا أسماء الكتب التى أفردت بالحديث عن الإسراء والمعراج :
١- السراج الوهاج فى حقائق المعراج ، للعلامة المشارك الشيخ أبى إسحاق محمد بن إبراهيم بن علي بن أحمد الشافعى النُّعمانى المصرى تلميذ الحافظ ابن حجر المتوفى سنة تسع عشرة وثمانمائة وقد طبع بمصر بتحقيق وتعليق الأستاذ عبد القادر أحمد عطا وهو رسالة تقع فى سبعين صفحة .

٢- كتاب المعراج ، للإمام المفسر المحدث الأصولى الأديب أبى القاسم عبد الكريم بن هوازن القُشَيْرِى النيسابورى الشافعى المتوفى سنة خمس وستين وأربعمائة وهو صاحب الرسالة القشيرية . ذكره الكتانى فى مقدمة " يواقيت التاج " .

٣- رسالة فى المعراج ، للعلامة الجليل المؤرخ الأثيل أبى الحسن علي بن محمد ابن خَلِيفَةَ اللخمي ساكن المرية ثم مراکش (ابن الأشبيلى) المتوفى بمراكش سنة سبع وستين وخمسمائة ، قدم بالمعراج على أمير المؤمنين عبد المؤمن بن علي الموحدى وهو محاصر أغمات (وريكة) فى جمادى الأولى سنة إحدى وأربعين وخمسمائة فحظي عنده . ذكره الكتانى فى " اليواقيت " .

٤- كتاب الإسراء ، لمحدث الإسلام أحد الأئمة المبرزين الأعلام ، ذى الورع

والعبادة والتمسك بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، تقي الدين
أبى محمد عبد الغنى بن عبد الواحد بن علي بن سرور المقدسى
الجماعى الحنبلى المتوفى سنة ستمائة .

قال الإمام أحمد القسطلانى رحمه الله تعالى فى " المواهب اللدنية
بالمناجى المحمدية " : أفاد الإمام الذهبى أن الحافظ عبد الغنى جمع أحاديث
الإسراء فى جزأين ولم يتيسر لى الوقوف عليهما بعد الفحص الشديد .
وأفاد الكتانى أنه مخطوط .

٥- الآية الكبرى فى شرح قصة الإسراء ، للحافظ المحدث جلال الدين
عبد الرحمن بن أبى بكر السيوطى الشافعى المتوفى سنة إحدى عشرة
وتسعمائة يشتمل على أربعة فصول :

الفصل الأول : فى سرد الأحاديث الواردة فيه .

الفصل الثانى : فى حقيقته .

الفصل الثالث : فى تاريخه .

الفصل الرابع : فى نكت المعراج .

وهو مطبوع بتحقيق الأستاذ محي الدين مستو .

٦- الآيات العظيمة الباهرة فى معراج سيد أهل الدنيا والآخرة ، للإمام
الحافظ محدث الديار المصرية ومسندها شمس الدين محمد بن يوسف
ابن على الشامى ثم الدمشقى الصالحى نزيل البرقوقية بصحراء مصر
القاهرة خارج باب مصر ، المتوفى بها سنة اثنتين وأربعين وتسعمائة ، وقد

ظفرت بحمد الله بنسخة مخطوطة من هذا الكتاب واستفدت منها واعتمدتُ عليها ولخصت منها فوائد كثيرة في هذه الرسالة .

قال الحافظ الشامي في أول كتابه هذا :

أما بعد : فلما منَّ الله تعالى بفراغى من تأليف كتاب (سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد) المنتخب من أكثر من ثلاثمائة كتاب ، الآتى من الفوائد بالعجب العجائب ، وقد زادت أبوابه على ألف وستمئة باب ، والله الموفق للصواب ، سنح ببالي أن أقتضب منه قصة المعراج وما أبداه العلماء فيها من محاسن الفوائد ونفائس الخرائد وألخص الكلام على ذلك في سبعة عشر بابا :

الباب الأول : في بعض فوائد أول سورة الإسراء .

الباب الثاني : في بعض فوائد أول سورة النجم .

الباب الثالث : في اختلاف العلماء في رؤية النبي صلى الله عليه وسلم ربه تبارك وتعالى ليلة المعراج .

الباب الرابع : في أي زمان ومكان وقع الإسراء به صلى الله عليه وسلم .

الباب الخامس : في كيفية الإسراء به صلى الله عليه وسلم .

الباب السادس : في دفع شبه أهل الزيغ في استحالة الإسراء والمعراج .

الباب السابع : في الكلام على شق صدره الشريف تلك الليلة .

الباب الثامن : في الكلام على خاتم النبوة ومتى وُضع .

الباب التاسع : في الكلام على بعض فضائل جبريل عليه الصلاة والسلام

الباب العاشر : فى الكلام على البراق .
 الباب الحادى عشر : فى الكلام على بعض فضائل بيت المقدس .
 الباب الثانى عشر : فى الكلام على رؤيته للأنبياء ليلة الإسراء .
 الباب الثالث عشر : فى معرفة الصحابة الذين رووا القصة .
 الباب الرابع عشر : فى سياق القصة .
 الباب الخامس عشر : فى الكلام على بعض فوائدھا وشرح مشكلھا .
 الباب السادس عشر : فى تخريج أحاديثھا .
 الباب السابع عشر : فى التنبيه على بعض أحاديث موضوعه اقتراها فى
 المعراج من لاخلاق له ، وتداولها جماعة لاخبرة لهم يعلم الحديث فتعين
 ذكرھا لتحذر ، واعلم أنى لم أذكر فى هذا الكتاب حديثاً موضوعاً البتة ، إلا
 مانهت عليه . وحيث أطلقت " القاضى " فالحافظ شيخ السنة أبو الفضل
 عياض بن موسى اليحصبى (بفتح التحتية وسكون الحاء وتثنية الصاد
 المهملتين وبالموحدة) ، أو " الحافظ " فشيخ الإسلام وقدوة الحفاظ الأعلام أبو
 الفضل أحمد بن على بن حجر ، أو " الشيخ " فالحافظ شيخ الإسلام خاتمة
 الحفاظ أبو الفضل جلال الدين بن أبى بكر السيوطى رحمهم الله تعالى
 وجعل مقرهم دار السلام ، وسميتُ هذا الكتاب : (الآيات العظيمة الباهرة
 فى معراج سيد أهل الدنيا والآخرة) والله حسبى ونعم الوكيل ما شاء الله
 كان وما لم يشأ لم يكن ، لا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم .
 قال الشيخ يوسف النبهانى فى " جواهر البحار " : لم أر فى المعارج

أجمع وأنفع منه ، وكل من جاء بعده كالغيطى والأجهورى فإنما أخذوا جلّ فوائدهم عنه ، وقد اختصره كما سيأتى .

٧- الابتهاج فى الكلام على الإسراء والمعراج ، للعلامة المحدث المسند نجم الدين أبى المواهب محمد بن أحمد بن على بن أبى بكر السكندرى ثم المصرى الغيطى الشافعى ، المتوفى سنة إحدى وثمانين وتسعمائة . وهو جزء كبير طبع بمطبعة بولاق المصرية ونقل فيه فوائد كثيرة من كتب الحافظ الشامى وزاد عليه ثم ساق قصة المعراج فى زواية واحدة وتسقها ورتبها ونظمها ، ثم تكلم على ما جاء فيها وأجاد وأفاد ، وقد استفدت منه كثيراً أيضاً فى هذه الرسالة ، ومنه أخذ الدردير القصة وفصلها فى رسالة مستقلة ، وكتب عليها حاشيته التى سأذكرها بعد هذا .

٨- الآيات البينات فى معراج سيد أهل الأرض والسموات ، للحافظ الشامى أيضاً ، وقد أشار إليه فى السيرة ولعله هو السابق المسمى بالآيات العظيمة الباهرة فيكون له إسمان كما يحصل فى كثير من مصنّفات العلماء السابقين .

٩- تأليف فى المعراج ، للعلامة المشارك وخصوصاً فى الأصول والأنساب والأدب ، جمال الدين محمد بن أبى بكر الأشعر اليمنى الشافعى ، المتوفى سنة إحدى وتسعين وتسعمائة . ذكر الكتانى فى " يواقيت التاج " أنه مخطوط بالمكتبة الملكية بالرباط .

١٠- النور الوهاج فى الكلام على الإسراء والمعراج ، للإمام العلامة الشيخ

علي الأجهوري المالكي . المتوفى سنة ست وستين وألف .

قال فيه الشيخ يوسف النبهاني في "جواهر البحار" ٤٢٩/٣ : إنه اشتمل على فوائد كثيرة متنوعة وإن أكثر تلك الفوائد نقلها من معراج الحافظ الشامي .

١١ - حاشية العلامة الكبير المشارك الصوفي الشيخ الجليل أبي البركات أحمد بن محمد بن أبي حامد العدوي المالكي الأزهرى الخلوتي الشهير بالدردير ، المتوفى سنة إحدى ومائتين وألف ، على قصة المعراج التي جمعها الشيخ نجم الدين الغيطي في كتابه الكبير ، وقد وضع الشيخ الدردير حاشيته هذه على قصة المعراج التي ذكرها الشيخ الغيطي في كتابه الكبير فاقصر بهذه الحاشية على القصة فقط التي ساقها الغيطي في معراجه الكبير (الابتهاج) وهي حاشية مفيدة جامعة لخص فيها كثيراً من الأقوال ، وجمع كثيراً من المسائل ، وقد اشتهرت وانتشرت هذه الحاشية مع القصة في كثير من البلاد وصارت تقرأ في المجالس والمجامع واستفدت منها كثيراً في رسالتي هذه .

١٢ - النور الوهاج في قصة الإسراء والمعراج ، للعلامة الإمام الفقيه المحقق الكاتب البليغ السيد زين العابدين بن محمد الهادي بن زين العابدين البرزنجي المدني مفتي المدينة المنورة المتوفى سنة سبع وسبعين ومائة وألف .

قال عنه حفيده العلامة السيد جعفر البرزنجي : إنه جمع أحاديث

القصة الشريفة و رصعها أحسن ترصيع والتزم سردها على قافيتين من أنواع البديع ، يوقف في الأولى على تاء التأنيث قبلها تحتية مفتوحة مشدودة ، وفي الثانية على الهاء قبلها ألفٌ ممدودة ، ناسقاً دراريها على نسق قصة المولد النبوى لجدنا العارف بالله السيد جعفر بن حسن ، ناسجاً على منواله بنسجٍ رائق حسن . ونكتة الوقف في القافية الأخيرة على «آه» : التبركُ بذكر اسم الله والتأوه والتوجع من خشية الله والاتصاف بالصفة الإبراهيمية ﴿إن إبراهيم لحليم أولاه﴾^(١) . وجعله على فصول بين كل فصل وفصل تعطيرة كتعطيرة المولد ، وهذا لفظها : «ضَوِّع اللهم معهده الشميم بنشر غَوالٍ من صلاة وتسليم - اللهم صل وسلم وبارك عليه» وقد نقله الشيخ يوسف النبهاني في «جواهر البحار» من (ص ٤٤٨) إلى (ص ٤٦١) من الجزء الثالث . طبع مستقلاً بمصر والشام وإندونيسيا وسنغفوره وماليزيا مرات عديدة .

١٣ - تاج الابتهاج على النور الوهاج ، للعلامة الأديب المشارك السيد جعفر ابن إسماعيل بن زين العابدين المدني البرزنجي ، وهو شرحٌ لمعراج جده السابق المسمى "بالنور الوهاج" ، وقد طبع بمصر بالمطبعة الحميدية سنة ١٣١٤ هـ وبهامشه قصة المعراج السابقة الذكر .

١٤ - قصة المعراج ، للعالم الفاضل الجليل اللوذعي النيل قدوة المحققين العلامة المحقق العارف بالله الإمام السيد عثمان شطا بن العارف بالله تعالى السيد محمد شطا المكي رحمهما الله تعالى . طبع بمطبعة الشرقى

الماجدية العثمانية بمكة المشرفة المحمية سنة ١٣٣١ هـ . وهو رسالة مختصرة مسجوعة على طريقة الموالد ، اقتصر فيها على قصة المعراج فقط وكانت تقرأ في المجالس بمكة .

١٥ - نيل المنى وغاية السؤل بذكر معراج النبي المختار الرسول ، للعلامة الحافظ المحدث العارف بالله أبي عبد الله محمد بن جعفر الكتاني الإدريسي الحسني ، المتوفى سنة خمس وأربعين وثلاثمائة وألف . ذكره الكتاني .

١٦ - المنهاج السامي مختصر المعراج الشامي ، للعلامة المشارك حسان زمانه وبوصيريه الشيخ يوسف بن إسماعيل النبھاني المتوفى بفلسطين سنة خمسين وثلاثمائة وألف ، اختصر فيه كتاب الحافظ الشامي ، فقال رحمه الله في " جواهر البحار " (ج ٣ ص ٣٧٤) : وقد اختصرته بإثبات فوائده وحذف ما لا ضرورة له في شؤون المعراج سالكا سبيل الاعتدال على أقرب طريق وأحسن منهاج ، وقد أثبتته في كتابه " جواهر البحار " ٣ / ٣٧٤ - ٤٢٩ .

١٧ - كتاب في الإسراء والمعراج ، للعلامة الكبير الأصولي المحقق والمرجع في الفقه الحنفي الشيخ محمد بخيت بن حسين المطيعي مفتي الديار المصرية المتوفى سنة أربع وخمسين وثلاثمائة وألف بمصر .

١٨ - حسن الابتهاج بالإسراء والمعراج ، معراج نظمي للعلامة الأديب الشيخ محمد عارف أفندي الدمشقي الشهير بابن المنير ، يقول فيه بعد

وبعدُ فالإيمانُ بالإسراء وجوبُهُ حتمٌ بلا مرأى
قد جاء في القرآن نصاً وضَّحاً وخبر المعراج أيضاً صحَّحاً

- ١٩ - المعراج النبوى ، للعلامة الجليل الشيخ حسن الشطى .
٢٠ - اختصار معراج الشطى ، للعلامة الصالح محمد الشطى ، اختصر فيه
معراج والده المذكور .

٢١ - كتاب فى الإسراء والمعراج ، للعلامة الجليل المحدث الصوفى
أبى عبد الله محمد بن أحمد بن الحاج السلمى المرداسى الكتانى
طريقة ، المتوفى بفاس سنة أربع وستين وثلاثمائة وألف .

٢٢ - رسالة فى المعراج ، لأبى العباس أحمد بن محمد العمرانى الحسنى
الفاسى العلامة الجليل المؤلف المكثّر أحد كبار علماء جامعة القرويين
الذين أفنوا أعمارهم فى التدريس المتوفى بفاس سنة سبعين وثلاثمائة
وألف .

٢٣ - حلل الديباج المطروزة بقصة الإسراء والمعراج ، للفقهاء العلامة المؤلف
المجيد أبى العباس أحمد بن محمد الرهوانى التطوانى وزير العدل
بشمال المغرب وشيخ الجماعة بتطوان ، المتوفى بها سنة ثلاث
وسبعين وثلاثمائة وألف .

٢٤ - ضوء السراج فى فضل رجب وقصة المعراج ، للإمام العلامة العارف
بالله الشيخ محمد أمين الكردى الإربلى وهى رسالة تُقع فى مائة

صفحة تقريباً ، اشتملت على مباحث متعددة فى فضل شهر رجب والعمل فيه ، ثم ذكر فصلاً فى قصة الإسراء والمعراج ، ثم ذكر فصلاً فى بعض مآزاه فى تلك الرحلة من العجائب والغرائب ، ثم ذكر بحثاً مفيداً جامعاً عن رؤية الله سبحانه وتعالى وما يدور فى هذا الباب . وقد طبعت سنة ١٣٤٠ تقريباً .

٢٥ - الإسراء والمعراج المعجزة الكبرى لسيد الأنبياء ، تأليف الشيخ الفقيه العلامة الشيخ نافع الجوهرى الخفاجى التلبانى الشافعى ، طبعت بتعليق الأستاذ محمد عبد المنعم خفاجى ، وهى رسالة مختصرة تقع فى ستين صفحة .

٢٦ - يواقيت التاج الوهاج فى قصة الإسراء والمعراج ، للإمام العلامة المشارك الداعية المجاهد فى سبيل الله أبى الهدى محمد الباقربن الشيخ محمد الكتانى الشهيد المتوفى بسلا سنة أربع وثمانين وثلاثمائة وألف . وهو كتابٌ قيمٌ جمع بين الطريقتين القديمة والحديثة حيث جعله على نسق الموالد التى تقرأ فى المجامع والنوادر والمحافل فى فصول قصيرة ، وبين كل فصل وفصل تعطيرة متضمنة الصلاة والسلام على النبى صلى الله عليه وسلم ، وهذا لفظها :

(عمر اللهم قلوبنا بأنوار سيدنا الرسول وحلنا يا وهاب يا كريم بتيجان القبول . وخذ بأيدي هذه الأمة المحمدية إلى مواطن الهدى والرشاد وبوئها المكانة اللائقة بها فى مصاف الدول إلى يوم التناد . وصل اللهم

وسلم عليه وعلى آله ووفقنا لاتِّباع أقواله وأفعاله) مع أسلوب رصين رائق وفهم راق ذائق وإشارات عالية وحكم سامية وتحليل بديع وتصوير رفيع . وقد طبع باهتمام ولديه السيد عبد الرحمن والسيد محمد وهما من أفاضل علماء المغرب وكتبوا له مقدمة مفيدة سديدة استفدتُ منها ومن الكتاب فوائد عديدة .

٢٧- درسٌ قيّم في الإسراء والمعراج ، للعلامة الكبير والداعية الشهير أبى سالم عبد الله بن عبد الصمد كنون المستارى الحسنى الفاسى ثم الطنجى الأمين العام لرابطة علماء المغرب تحت عنوان " معجزة الإسراء والمعراج وما تضمنته من الآيات والعبر " ، ألقاه بالمسجد الأعظم بطنجة ثم نشره فى عدد من مجلّة لسان الدين .

٢٨- السراج الوهاج فى الإسراء والمعراج ، تأليف الشيخ الإمام الداعى إلى الله العلامة السيد محمد ماضى أبى العزائم أستاذ الشريعة الإسلامية بجامعة الخرطوم ، وهى رسالة عظيمة مشتملة على تحليلات علمية وحقائق عقلية مع الرد على منكرى المعراج ودفع شبههم وذكر بعض القصائد فى هذا الباب . وقد نشره أخيراً أخونا الأستاذ السيد المرحوم عز الدين أبو العزائم حفيد المؤلف .

٢٩- أفضل منهاج فى إثبات الإسراء والمعراج ، لفضيلة الأستاذ العلامة المحقق الشيخ عبد الله مصطفى المراغى وهى رسالة تقع فى سبعين صفحة مشتملة على القصة مع الرد على بعض المنكرين ، وقد طبعت سنة ١٣٦٧ هـ .

٣٠- الإسراء والمعراج ، لفضيلة العلامة الداعى إلى الله حبيبنا شيخ الأزهر
المرحوم الشيخ عبد الحليم محمود ، وهو مشتمل على ذكر القصة مع
بعض التحليلات والحكم والفوائد المهمة ويقع فى مائة صفحة ، وقد
طبع سنة ١٣٧٥هـ .

٣١- السراج الوهاج فى الإسراء والمعراج ، تأليف الشيخ محمد الأمير
الصعيدى العمرانى ، وهى رسالة صغيرة تقع فى خمسين صفحة ،
ومقسمة على فصول على طريقة الموالد المسجعة ، وبين كل فصل
وفصل تعطيرة متضمنة الصلاة والسلام على النبي صلى الله عليه
وسلم ، ولفظها : (اللهم صل وسلم وبارك على خير الأنام الجامع بين
الإسراء والمعراج فى اليقظة والنام) .

٣٢- الإسراء والمعراج ، مجموعة مقالات لجملة من العلماء أصدرتها مجلة
منبر الإسلام التابعة للمجلس الأعلى للشؤون الإسلامية بالقاهرة
وطبعت سنة ١٣٩٢هـ رجب .

٣٣- الجمانة اليتيمة فى ذكر معراج الذات العظيمة ، للإمام العارف بالله
الشيخ محمد المجذوب بن قمر الدين المجذوب السودانى وهى رسالة
صغيرة اشتملت على قصة الإسراء والمعراج ومقسمة على فصول على
طريقة الموالد ، وبين كل فصل وفصل تعطيرة وهى :

علّ يارب هذا القدر ما ارتفعت أعلام ألوية المعراج فى رجب

٣٤- مجموع مقالات فى الإسراء والمعراج ، للعلامة السيد عبد الله كنون

المتقدم ذكره ، نُشرت واحدة منها بمجلة الوعي الإسلامى الكويتية بعنوان «المعراج رحلة إلى السماء الحقيقية لا اللغوية ، وهى رحلةٌ فريدة فى تاريخ الإنسانية لم تقع لغير نبي الإسلام ولن تقع لأحد بعده» ، وثانية نشرت بمجلة دعوة الحق المغربية ، وثالثة نشرت بجريدة الميثاق لسان رابطة علماء المغرب بعنوان : «هل المعراج موسم شرعي؟» .

٣٥- إظهار السرور والابتهاج بقصة الإسراء والمعراج ، للعلامة الداعية أبى اليمن عبد الحفيظ بن عبد الصمد كنون المستارى الحسنى الفاسى ثم الطنجى خطيب المسجد الأعظم بطنجة ، اعتمد فيه على الأحاديث الواردة فى الصحاح عن هذه الآية الكبرى .

٣٦- الإسراء والمعراج ، لصاحب الفضيلة الأستاذ الشيخ عبد الرحمن تاج شيخ الجامع الأزهر ، وهى رسالةٌ صغيرة تقع فى ثلاثين صفحة من الحجم الصغير ، طبعت سنة ١٣٧٥هـ .

٣٧- الإسراء والمعراج ، تأليف الأستاذ محي الدين الجراح وهى رسالة صغيرة موجزة تقع فى ثلاثين صفحة ومطبوعة بدمشق .

٣٨- الإسراء والمعراج ، لفضيلة العلامة المفسر الشيخ محمد متولى الشعراوى ، وأصلها أحاديث تليفزيونية له ، قام بتقديمها الأستاذ أحمد فراج ، ثم طبعها فى رسالة تقع فى مائة صفحة ، طبعت بمصر .

٣٩- معجزة الإسراء والمعراج ، لفضيلة الشيخ أحمد قلاش والشيخ محمد

زينو ، وهى رسالة مختصرة تقع فى خمسين صفحة ، طبعت بحلب

سنة ١٣٨٥هـ .

٤٠ - الإسراء والمعراج ، للأستاذ محمد أنس المراد ، وهى رسالة علمية

قدّمت لكلية الشريعة بدمشق بإشراف الدكتور محمد أديب الصالح ،

اشتملت على فوائد علمية وتحقيقات سنّية ، أجاد فيها المؤلف وأفاد

تقع فى مائة صفحة .

٤١ - الإسراء والمعراج ، تأليف الأستاذ موسى محمد الأسود وهو بحث

قيّم فيه دراسة شاملة عن القصة ، يقع فى مائة وخمسين صفحة ، وطبع

سنة ١٤٠٧هـ بالكويت .

هذا هو الذى اطلعت عليه من الكتب الخاصة بالمعراج المستقلة بذكره

ولاشك أن هناك كتباً كثيرة مخطوطة ومطبوعة لم أظفر بها ولكن الظاهر أنه

لم يفتنى بسببها علم كثير لأن العلماء من الحفاظ والمحدثين والمحققين قد

اطلعوا على أكثرها ونقلوها إلينا والحمد لله على ذلك .

وهذه المباحث التى كتبتها فى موضوع الإسراء والمعراج نقلت فيها من

الفوائد السابقة ما فيه كفاية ، واخترت فيها مما كتبه العلماء ما ترجحت عندى

أهميته لحاجة الناس إليه ، وقد جمعت فيه بين الطريقتين القديمة والحديثة

حيث بدأت بذكر آيات الإسراء والمعراج فى القرآن وشرحتها شرحاً

مفصلاً ، ثم ذكرت نصوص الروايات التى وردت فى هذا الباب كما جمعها

السيوطى ، ثم زدت عليها بعض ما تيسر لى الاطلاع عليه من الروايات ، ثم

ذكرت بعض المباحث المهمة والمسائل المشككة التي جرى فيها البحث بين العلماء والأخذ والرد والاعتراض والنقد ، وعمدتى فى ذلك ماكتبه الحافظ الشامى والشيخ نجم الدين الغيطى والشيخ أحمد الدردير المالكى والسيد يوسف بن إسماعيل النبهانى والسيد البرزنجى وغيرهم من العلماء ممن تقدم ذكرهم . ثم ذكرت قصة الإسراء والمعراج مرتبة منظمة جمعت فيها بين روايتى الشامى والغيطى فى سياق واحد فجاءت جامعة شاملة شافية وافية بفضل الله تعالى ، وعلقت عليها تعليقا خفيفا يوضح معانيها ويفسر غريبها ، ثم ذكرت بعض القصائد والمدائح النبوية التى تكلمت عن هذه المعجزة العظيمة الباهرة .

ثم رأيت أن أفصل قصة المعراج فى رسالة مستقلة وأضيف إليها معراج البرزنجى المسمى " بالسراج الوهاج " ليقرا فى الجامع والمجالس وليكونا فى متناول أيدي العامة حفظاً لهم من أن يشتغلوا بالكتب المكذوبة الباطلة والروايات الواهية المخالفة للكتاب والسنة ، وسميت هذه الرسالة المختصرة : (الأنوار البهية من إسراء ومعراج خير البرية) أسأل الله سبحانه وتعالى أن ينفع بها ويجعلها خالصة لوجهه الكريم إنه سميع مجيب وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم .

وكتبه الفقير إلى عفو مولاه الغنى السيد محمد بن السيد علوى المالكى الحسنى ، عامله الله بلطفه السنى ، وغفر له ولوالديه ومشايخه ، آمين .
وكان ذلك فى شهر رجب الحرام من عام ١٤١٧ هـ .

آية الإسراء في القرآن

بسم الله الرحمن الرحيم (سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ) (١).

سبب النزول

سبب نزولها كما قاله الإمام أبو حيان : أن النبي ﷺ لما ذكر الإسراء به كذبوه فأنزلها الله تعالى : ووجه اتصال هذه السورة بما قبلها ومناسبتها لها أنه تعالى لما أمر النبي ﷺ بالصبر ونهاه عن الحزن عليهم وأن يضيق صدره من مكربهم (٢) وكان من مكربهم نسبته إلى الكذب والسحر والشعر وغير ذلك مما رموه به ، أعقب الله تعالى ذلك بشرفه وفضله واحتفائه وعلو منزلته عنده بذكر الإسراء في أول هذه السورة ، وأيضا لما أمره بالصبر في آخر السورة المتقدمة بقوله : ﴿وَاصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِاللَّهِ﴾ (٣) والصبر هو التحمل للمكاره ، والتحمل من جملة ما يؤدي إلى التجميل ، ومنه ما ذكره في أول هذه السورة .

فضائل سورة الإسراء :

وقد روى البخاري عن ابن مسعود أنه قال في سورة بني إسرائيل

(١) الإسراء : ١

(٢) بقوله جل ذكره (واصبر وما صبرك إلا بالله ولا تحزن عليهم ولا تك في ضيق مما يمكرون إن الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون . (النحل ١٢٧ - ١٢٨) .

(٣) النحل : ١٢٧

والكهف ومريم وطه والأنبياء : هُنَّ من العتاق الأوّل وهن من تِلادى .
والعتاق بكسر العين المهملة جمع عتيق ، والعرب تجعل كل شيء بلغ الغاية
فى الجودة عتيقا ، والأوّل بضم الهمزة وفتح الواو المخففة ، والأولية باعتبار
حفظها أو باعتبار نزولها لأنها مكيات ، وقوله من تِلادى بكسر التاء الفوقية
وتخفيف اللام وبعد الألف دال مهملة أى مما حفظته قديما وهو ضد الطارف
ومراداه أن لهن فضلا باعتبار ما تقدم وما تضمنه مفتتح كل منها من أمر
غريب وقع فى العالم خارق للعادة وهو الإسراء وقصة أصحاب الكهف
وقصة مريم وهذا وجه فى ترتيبها وهو اشتراكها فى قدم النزول وكونها
مكيات وكلها مشتملة على القصص . وروى الإمام أحمد عن عائشة رضى
الله عنها قالت : كان رسول الله ﷺ يقرأ فى كل ليلة بنى إسرائيل والزمير .

افتتاح السورة بالتسبيح :

والحكمة فى افتتاح هذه السورة بالتسبيح كما قاله فى " زاد المسير "
وجهان ؛ أحدهما أن العرب تسبح عند الأمر العجيب فكأن الله سبحانه
وتعالى عَجَّب خلقه بما أسدى إلى رسوله ﷺ من الإسراء به . الثانى أن
يكون خرج مخرج الرد عليهم لأنه ﷺ لما حدثهم عن الإسراء كذبوه ،
فيكون المعنى تنزه الله تعالى أن يتخذ رسولا كذابا ، فإن قلت : ما الحكمة
فى افتتاح سورة الإسراء بالتسبيح والكهف بالتحميد ؟ أجيب : بأن التسبيح
حيث جاء قدّم على التحميد نحو (فسبح بحمد ربك) (سبحان الله والحمد
لله) لأن التسبيح هو التنزيه والحمد هو الثناء فالأول من باب التخلية والثانى

من باب التحلية ، والتخلية مقدّمة على التحلية ، وأجيب أيضا : بأن سورة "سبحان" لما اشتملت على الإسراء وكذب المشركون به النبي ﷺ وتكذيبه تكذيب لله تعالى ؛ أتى بسبحان لتنزيه الله عز وجل عما لا يليق به وينسب إليه من الكذب ، وسورة الكهف لما نزلت بعد سؤال المشركين عن قصة أصحاب الكهف وتأخر الوحي نزلت مبيّنة أن الله تعالى لم يقطع نعمته عن نبيه ﷺ ولا عن المؤمنين ، بل أتمّ عليهم النعمة بإنزال الكتاب فناسب افتتاحها بالحمد على هذه النعمة .

« سبحان » :

وأما سبحان فهو اسمٌ بمعنى التسييح الذي هو التنزيه فهو اسمٌ واقع موقع المصدر ولا يكاد يستعمل إلا مضافا ، وقد يستعمل علماً فيقطع عن الإضافة ويمنع من الصرف وانتصابه بفعل مضمّر أي أسبح الله سبحان ، ثم نزل سبحان منزلة الفعل فسدّ مسده ودلّ على التنزيه البليغ لأن في حذف العامل وإقامته مقامه الدلالة على أن المقصود بالذات هو المصدر ، والفعل تابع ، فيفيد الإخبار بسرعة وجود التنزيه .

وقد روى الحاكم أن طلحة بن عبيد الله رضي الله تعالى عنه سأل رسول الله ﷺ عن معنى سبحان الله فقال : تنزيه الله من كل سوء . وروى ابن أبي حاتم عن علي رضي الله تعالى عنه قال : سبحان الله كلمة أحبّها الله لنفسه ورضيها وأحب أن يقال له .

فضل التسبيح :

وقد ورد في فضل التسبيح ما رواه مسلم وغيره عن أبي ذر رضي الله تعالى عنه قال : قال رسول الله ﷺ : ألا أخبرك بأحب الكلام إلى الله سبحانه وتعالى ؟ إن أحب الكلام إلى الله سبحانه وتعالى ؛ سبحان الله وبحمده . وفي رواية الترمذي : سبحان ربي وبحمده ، وفي رواية لمسلم : أن رسول الله ﷺ سئل أي الكلام أفضل قال : ما اصطفى الله لملائكته أو لعباده ؛ سبحان الله وبحمده ، وهذا محمول على كلام الآدميين ، وإلا فالقرآن أفضل من التسبيح والتهليل المطلق ، وأما المأثور في وقت أو حال فالاشتغال به أفضل . وفي صحيح مسلم من حديث أبي هريرة رضي الله تعالى عنه أن رسول الله ﷺ قال : من قال سبحان الله وبحمده في يوم مائة مرة عُفرت ذنوبه وإن كانت مثل زبد البحر . قال الطيبي : يوم مطلق لم يعلم في أي وقت من أوقاته . وقال غيره : ظاهر الإطلاق يشعر بأنه يحصل هذا الأجر المذكور لمن قال ذلك مائة مرة ، سواء أقالها متوالية أو متفرقة في مجالس أو بعضها أول النهار وبعضها آخره . وقوله غفرت ذنوبه أي الصغائر من حقوق الله تعالى ، لأن حقوق الناس لا تغفر إلا باسترضاء الخصوم . وروى البزار عن عبد الله بن عمر رضي الله تعالى عنهما قال : قال رسول الله ﷺ : (من قال سبحان الله العظيم وبحمده غرست له نخلة في الجنة) ، وأخرج الطبراني في الأوسط والخرائطي وابن مردويه عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ : من قال إذا أصبح

"سبحان الله وبحمده" ألف مرة فقد اشترى نفسه من الله وكان آخر يومه عتيق الله . قال الحافظ الهيثمي في "مجمع الزوائد" بعد إيراد ما رواه الطبراني في الأوسط : وفيه من لم أعرفه اهـ .

«أسرى» :

وقوله تعالى "أسرى بعبد" قال أهل اللغة : أسرى وسرى لغتان زاد بعضهم أنهما مختصان بسير الليل وأسرى لازم كسرى فيحتاج إلى التعدية ، والهمزة هنا ليست للتعدية خلافاً لابن عطية وإنما المعدى الباء في بعبد ولا تقتضى مضاحبة الفاعل للمفعول فى الفعل عند الجمهور خلافاً للمبرد والسهيلي ، والعبد فى اللغة المملوك من نوع من يعقل ، وقال فى "المحكم" : العبد الإنسان حراً كان أو رقيقاً لأنه مملوك لبارئه . وقال سيويه : إنه فى الأصل صفة ولكنه استعمل استعمال الأسماء .

«بعبد» :

وأجمع المسلمون على أن المراد بالعبد هنا سيدنا محمد رسول الله ﷺ . قال شيخ الإسلام زكريا الأنصارى رحمه الله : وقال هنا بعبد دون نبيه أو حبيبه لثلاث تفضل أمته كالنصارى ، أو لأن وصفه بالعبودية المضافة إلى الله تعالى أشرف المقامات . قال الأستاذ أبو على الدقاق رحمه الله تعالى : ليس للمؤمن صفة أتم ولا أشرف من العبودية ، ولهذا أطلقها الله تعالى على نبيه فى أشرف المواطن كقوله : «سبحان الذى أسرى بعبد» (١) .

(١) الإسرائ : ١

«الحمد لله الذى أنزل على عبده الكتاب» (١) . «تبارك الذى نزل الفرقان على عبده» (٢) . «فأوحى إلى عبده ما أوحى» (٣) . قال الشيخ عبد الباسط البلقينى رحمه الله تعالى : ومن هنا يؤخذ الجواب عن وصفه ﷺ بالعبودية . ووصف يحيى عليه السلام بالسيادة فى قوله تعالى : «وسيدا وحسورا» (٤) .

أنشد الأستاذ أبو القاسم القشيري :

يا قوم قلبى عند زهراء يعرفه السامع والرأى
لا تدعنى إلا ياعبدها فإنه أشرف أسمائى

قال الطوفى رحمه الله تعالى : والسبب فى ذلك أن الإلهية والسيادة الحقيقية والربوبية إنما هى فى الحقيقة لله عز وجل لا غير والعبودية لمن دونه فإذا كان فى مقام العبودية فهو فى رتبته الحقيقية ، والرتبة الحقيقية أشرف المقامات ، إذ ليس بعد الحقيقة إلا المجاز ولا بعد الحق إلا الضلال .

أقوال العلماء فى العبودية :

وأقوال العلماء فى العبد والعبودية كثيرة ، وكل أحد تكلم بلسان قاله على قدر مقامه وحاله ، فقال ابن عطاء الله : العبد الذى لا ملك له . وقال رويم أحد كبار الأئمة العارفين : يتحقق العبد بالعبودية إذا سلم القياد من نفسه إلى ربه وتبرأ من حوله وقوته وعلم أن الكل له وبه . وقال عبد الله ابن محمد : حُزرت صفة العبودية إن كنت لا ترى لنفسك ملكاً وتعلم أنك لا تملك لها نفعاً ولا ضرراً . وما أحسن ما قيل فى هذا القبيل :

(١) الكهف : ١ (٢) الفرقان : ١ (٣) النجم : ١٠ (٤) آل عمران : ٣٩

وكنـت قديما أطلب الوصل منهم فلما أتاني العلم وارتفع الجهل
تيقنت أن العبد لا طلب له فإن قربوا فضل وإن أبعادوا عدل
وإن أظهروا لم يظهروا غير وـصفهم وإن ستروا فالستر من أجلهم يحلو

وقال أبو حفص النيسابوري رحمه الله تعالى : العبد هو القائم بأوامر سيده على حد النشاط حيث جعله محل أمره .

« ليلاً » :

قال شيخ الإسلام الحافظ ابن حجر : قوله تعالى : " ليلاً " ، هو ظرف للإسراء واستشكل كثير من الناس كون ليلاً ظرفاً للإسراء لأنه تقدم أن الإسراء هو سير الليل فإذا أطلق الإسراء فهم منه أنه واقع ليلاً فهو كالصباح في شرب الصباح لا يحتاج إلى قوله شربت الصباح صباحاً ، وجوابه أن الأمر وإن كان كذلك إلا أن العرب تفعل مثل ذلك في بعض الأوقات إذا أرادت تأكيد الأمر ، والتأكيد نوع من أنواع كلامهم وأسلوب منه ، والعرب تقول : أخذ بيده وقال بلسانه ومشى برجليه . وقال بعضهم : فائدة التأكيد هنا رفع توهم المجاز لأنه قد يطلق على سير النهار أيضاً . وقال الزمخشري : أراد بقوله ليلاً بلفظ التنكير تقليل مدة الإسراء وأنه وقع السرى به في بعض الليل من مكة إلى الشام مسيرة أربعين ليلة ، وذلك أن التنكير فيه قد دل على معنى البعضية ، وقال : يشهد لذلك قراءة عبد الله وحذيفة " من الليل " أي بعض الليل . وقال غيره : فكان المعنى سبحان الذي أسرى بعبده في ليل

واحد من كذا إلى كذا وهو موضع التعجب ، وإنما عدل عن ليلة إلى ليل لأنهم إذا قالوا سرى ليلة كان ذلك فى الغالب لاستيعاب الليلة بالسرى فقلوه (ليلاً) أى بعض ليلة .

ما أكرم الله به نبيه ﷺ فى الليل :

قال ابن دحية : أكرم نبينا ﷺ ليلاً بأمر : منها ، انشقاق القمر وإيمان الجن به ورأى أصحابه نيرانهم كما فى صحيح مسلم وخرج إلى الغار ليلاً والليل أصلٌ ولهذا كان أول الشهر ، وسواده يجمع ضوء البصر ، ويحد كليل النظر ، ويستلذ فيه السمر . وكان أكثر أسفاره ﷺ ليلاً . وقال عليه الصلاة والسلام : (عليكم بالدلجة فإن الأرض تطوى بالليل) ، والليل وقت الاجتهاد للعبادة ، وكان ﷺ يقوم حتى تورمت قدماه ، وكان قيام الليل فى حقه واجباً فلما كانت عبادته ليلاً أكرم بالإسراء فيه وليكون أجر المصدق به أكثر ليدخل فيمن آمن بالغيب دون من عاينه نهاراً ، وقدم الحق تبارك وتعالى ذكر الليل فى كتابه على ذكر النهار ، فقال عز وجل : ﴿وجعلنا الليل والنهار آيتين﴾ (١) ﴿وهو الذى جعل الليل والنهار خلفة لمن أراد أن يذكر أو أراد شكوراً﴾ (٢) إلى غير ذلك من الآيات . وصح أنه ﷺ قال : (ينزل ربنا تبارك وتعالى كل ليلة إلى سماء الدنيا حين يبقى ثلث الليل الآخر ، فيقول : من يدعونى فأستجيب له ، من يسألنى فأعطيه ، من يستغفرنى فأغفر له) . . الحديث ، وهذه الخصيصة لم تجعل للنهار . نبه بها ﷺ لما فى ذلك الوقت من الليل من سعة الرحمة ومضاعفة الأجر وتعجيل الإجابة

(١) الإسراء : ١٢ (٢) الفرقان : ٦٢

ولإبطال كلام الفلاسفة أن الظلمة من شأنها الإهانة والشر^(١)، ولأن الله تعالى أكرم أقواماً في الليل بأنواع الكرامات ، كقوله في قصة إبراهيم عليه السلام ﴿فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ﴾^(٢) الآية . وفي لوط عليه السلام بقوله : ﴿فَأَسْرَبَ بِهَبْلِكِ بَقِيعَ اللَّيْلِ﴾^(٣) وفي موسى عليه السلام ﴿وَوَاعَدْنَا مُوسَى ثَلَاثِينَ لَيْلَةً﴾^(٤) وناجاه ليلاً وأمره بإخراج قومه ليلاً .

ليلة الإسراء وليلة القدر:

قال أبو أمامة بن النقاش رحمه الله تعالى : ليلة الإسراء أفضل من ليلة القدر في حق النبي صلى الله عليه وآله ، وليلة القدر أفضل في حق الأمة لأنها لهم خير من عمل أكثر من ثمانين سنة ممن كان قبلهم ، وأما ليلة الإسراء فلم يأت في أرجحية العمل فيها حديث صحيح ولا ضعيف ، ولذلك لم يبينها النبي صلى الله عليه وآله ، وقول الإمام البلقيني رحمه الله تعالى في قصيدته التي مدح فيها النبي صلى الله عليه وآله :

أولاًك رؤيته في ليلة فضلت ليالي القدر فيها الرب أرضاك

يؤخذ منه أن ليلة الإسراء أفضل من ليلة القدر ، ولعل الحكمة في ذلك كما قاله في "الاصطفاء" اشتمالها على رؤيته التي هي أفضل كل شيء ، ولذلك لم يجعلها ثواباً عن عمل من الأعمال مطلقاً ، بل من بها على عباده المؤمنين يوم القيامة تفضلاً منه تعالى . اهـ . وهذا يؤيد ما قدمناه آنفاً في تفضيل الليل لكن يبقى النظر في تحرير محل الخلاف ، وقد حرره بعضهم كما وجد بخط الحافظ ابن حجر نقلاً عن المهدوي فقال : إن كان المراد أن

(١) وهو ما أشار إليه المتنبي بقوله : وكم لظلام الليل عندي من يد تخبر أن المائتية تكذب

(٢) الأنعام : ٧٦

(٣) الحجر : ٦٥

(٤) الأعراف : ١٤٢

ليلة الإسراء ونظائرها من كل عام أفضل من ليلة القدر بحيث يكون قيامها والدعاء فيها أفضل من ليلة القدر ، فهذا باطل لم يقله أحد من المسلمين وهو معلوم الفساد بالاضطرار ، وإن أراد الليلة المعينة التي أسري فيها بالنبي ﷺ وحصل له فيها ما لم يحصل له في غيرها من غير أن يشرع تخصيصها بقيام ولا عبادة ، فهذا صحيح إن قام دليل على أن إنعام الله تعالى على نبيه ﷺ ليلة الإسراء كان أعظم من إنعامه عليه بإنزال القرآن ليلة القدر ، وهذا لا يعلم إلا بوحى ولا يجوز لأحد أن يتكلم فيه بلا علم ، ولا يعرف عن أحد من الصحابة أنه خص ليلة الإسراء بأمر من الأمور ، ولهذا لا يعرف أي ليلة كانت ، وإن كان الإسراء في نفسه من أعظم فضائله ، كما أنه ﷺ لم يفضل غار حراء الذى أنزل عليه فيه الوحي ولا خص اليوم الذى ابتدئ فيه بالوحي بشئ اهـ . وظاهر هذا الكلام أن الخلاف بين الليلة المعينة التي أسري فيها بالنبي ﷺ وبين ليلة القدر التي أنزل فيها القرآن كما يدل عليه قوله إن قام دليل على أن إنعام الله تعالى على نبيه ليلة الإسراء كان أعظم من إنعامه عليه بإنزال القرآن ليلة القدر ، قلت : أما الليلة المعينة التي أسري به ﷺ فيها وليلة القدر من كل عام فينبغى أن يكون فيها قول أبي أمامة بن النقاش المتقدم ، وأما نظائر الليلة المعينة من كل عام فلا شك أن ليلة القدر من كل عام أفضل منها لما لا يخفى (١) .

(١) وانظر مزيد تفصيل لهذه المفاضلة في كتابنا «مفاهيم يجب أن تصحح» ص ٢٠١ وفيها فتوى للشيخ ابن تيمية وابن القيم ذكر فيها أفضلية ليلة الإسراء بعينها التي وقع فيها الإسراء على ليلة القدر لا على نظائرها من كل عام وهو الحق الذى ندين به وإن تقول علينا المفترون خلافه ونقول : حسبنا الله ونعم الوكيل .

« من المسجد الحرام » :

وقوله تعالى : ﴿ من المسجد الحرام ﴾ " من " لا ابتداء الغاية " والمسجد "

لغة مفعّل بالكسر اسم لمكان السجود وبالفتح اسم للمصدر ، وأما شرعاً فكل موضع من الأرض لقوله ﷺ : جُعِلَتْ لِي الْأَرْضُ مَسْجِداً وَتَرْتِبُهَا طَهُوراً . ولما كان السجود أشرف أفعال الصلاة لقرب العبد من ربه ، اشتق اسم المكان منه ، فقليل مسجد ولم يقولوا ، مَرَكَعٌ ثم إن العرف خصص المسجد بالمكان المهيأ للصلوات الخمس حتى يخرج المصلّي المجتمع فيه للأعياد ونحوها فلا يعطى حكمه ، وكذلك الرُّبُط^(١) والمدارس فإنها هيئت لغير ذلك ، والحرام أي المحرم وهو ضد الحلال ، وذلك لما منع المحرم فيه مما يجوز لغيره ولما منع من الحرم مما يجوز في غيره من البلاد . قال الماوردي : كل موضع ذكر الله فيه المسجد الحرام فالمراد به الحرم إلا في قوله تعالى : ﴿ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ ﴾^(٢) فإنه أراد به الكعبة^(٣) . وقال بعضهم : المراد بالمسجد الحرام في قوله تعالى : ﴿ سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ ﴾^(٤) مكة ، لأنه ﷺ كان في بيت أم هانئ ، وأول مسجد وضع على الأرض المسجد الحرام وهو مسجد مكة شرفها الله تعالى ، كما قال تعالى : ﴿ إِنْ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا ﴾^(٥) وفي الصحيحين عن أبي ذر رضي الله تعالى عنه قال : سألتُ رسول الله ﷺ عن أول مسجد وضع على الأرض ، قال : المسجد الحرام . قلت : ثم أي؟ قال :

(١) جمع رباط . (٢) البقرة : ١٥٠ (٣) سيأتي مزيد تفصيل لهذه المسألة

(٤) الإسراء : ١ (٥) آل عمران : ٩٦

المسجد الأقصى . قلت : وكم بينهما؟ قال : أربعون عاماً . . الحديث ، وقد أشكل هذا الحديث على بعضهم فقال : معلوم أن سليمان بن داود عليه السلام لما بنى بيت المقدس سأل الله تعالى ثلاثاً . . الحديث الآتى إن شاء الله تعالى وهو بعد إبراهيم عليه السلام كما قاله أهل التاريخ بأكثر من ألف عام ، وهذا القائل جهل التاريخ فإن سليمان عليه الصلاة والسلام إنما كان له من المسجد الأقصى تجديده لا تأسيسه والذي أسسه هو يعقوب بن إسحاق عليه السلام بعد بناء إبراهيم الكعبة بهذا القدر . وقال بعضهم : إن هذين المسجدين وُضعا قديماً ثم خربا ثم بنيا . اهـ . وزعم بعضهم أن أول من بنى البيت آدم ، وأن غيره من ولده وضع بيت المقدس بعده بأربعين عاماً ، حكاه ابن الجوزى وغيره . وذكر ابن هشام فى " التيجان " أن آدم عليه الصلاة والسلام لما بنى البيت أمره جبريل بالمسير إلى بيت المقدس وأن يبينه فبناه ونسك فيه أى ذبح .

« إلى المسجد الأقصى » :

وقوله تعالى : ﴿ إلى المسجد الأقصى ﴾ كلمة " إلى " لانتهاى الغاية ، ومدلولها هنا أنه وصل إلى حد ذلك المسجد ، ولا دلالة فى اللفظ على أنه دخله ، لكن القرينة تدل على دخوله وهى العلم بأنه إنما أُسرى به إلى بيت المقدس ليدخله ، ويبعد أن يسرى به إلى بيت المقدس ولا يدخله ، وصرحت السنة الصحيحة بما اقتضته القرينة من دخوله عليه السلام المسجد الأقصى وهو الذى عمّره نبي الله سليمان عليه السلام بأمر الله عز وجل كما تقدم ، وما زال مكرماً محترماً ، وهو أحد المساجد الثلاثة التى لا تشد الرحال شرعاً إلى مسجدٍ إلا إليها .

وقد روى النسائي وابن ماجه وغيرهما أن نبي الله سليمان عليه الصلاة والسلام لما بنى بيت المقدس سأل الله تعالى ثلاثاً ، سأل ملكاً لا ينبغي لأحد من بعده فأعطاه إياه ، وسأله حكماً يواطىء حكمه فأعطاه إياه ، وسأله من أتى هذا البيت يريد بيت المقدس لا يريد إلا الصلاة فيه أن يخرجه من ذنوبه كيوم ولدته أمه ، فقال رسول الله ﷺ : وأنا أرجو أن يكون قد أعطاه الثالثة . وروى الإمام أحمد وابن ماجه عن ميمونة مولاة النبي ﷺ قالت : قلت يا رسول الله ! أفتنا في بيت المقدس ، قال : (أرض المحشر والمنشر ، اتوه فصلوا فيه فإن صلاة فيه كألف صلاة في غيره) ، قلت : أرايت إن لم أستطع أن أتحمّل إليه ، قال : (فتهدى له زيتاً يسرج فيه ، فمن فعل ذلك فهو كمن أتاه) . . الحديث (١) ، وهو معدن الأنبياء من لدن الخليل ﷺ . ولذا اجتمعوا له هناك كلهم وأمهم في محلهم ودارهم ليدل ذلك على أنه الرئيس المقدّم والإمام الأعظم ﷺ .

«الأقصى» :

والأقصى أفعل من القصي ، والقصي هو البعيد ، وسمي بالأقصى لبعده المسافة بينه وبين المسجد الحرام ، فبينهما مسافة ثلاثين يوماً بالسير عادة ، أو لأنه لم يكن وراءه مسجد فثبت له هذا النعت وإن كان وراءه بعد مساجد هي أقصى منه ، لأن العلمية إذا ثبتت لسبب لم يضر زوال ذلك

(١) وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد ٧/٤ باب الصلاة في المسجد الحرام ومسجد النبي ﷺ وبيت المقدس وقال : روى أبو داود قطعة منه من حديث ميمونة مولاة النبي ﷺ ورواه أبو يعلى بتمامه من حديث ميمونة زوج النبي ﷺ - والله أعلم - ورجاله ثقات .

النسب ، ويحتمل أن يريد بالأقصى البعيد دون مفاضلة ، فأفعل التفضيل ليس على بابهِ وكان أقصى أي أبعد مسجد عن أهل مكة يعظم بالزيارة ، وقيل وصفه بالأقصى منهم أي من العرب أو من الكعبة أو من أهل مكة أو من النبي ﷺ .

وقوله تعالى : ﴿ الذي باركنا حوله ﴾ البركة : الزيادة والنماء ، قال الراغب : البركة ثبوت الخير الإلهي في الشيء ، والمبارك مافيه ذلك الخير ، فإن قيل : كيف قال باركنا حوله ولم يقل باركنا عليه أو فيه مع أن البركة في المسجد أكثر من خارج المسجد وحوله ، خصوصاً المسجد الأقصى ، قلنا : أراد البركة الدنيوية كالأنهار الجارية والأشجار المثمرة وذلك حوله لافيه ، وقيل أراد البركة الدينية فإنه مقر الأنبياء عليهم الصلاة والسلام ومُتَعَبِّدُهُمْ ومهبطُ الوحي والملائكة ، وإنما قال باركنا حوله لتكون بركته أعم وأشمل ، فإنه أراد بما حوله ما أحاط به من أرض الشام وما قاربه منها وذلك أوسع من مقدار بيت المقدس ، ولأنه إذا كان هو الأصل وقد بارك في لواحقه وتوابعه من البقاع كان هو مباركا فيه بالطريق الأولى بخلاف العكس ، وقيل : أراد البركتين الدنيوية والدينية وفيه مأمَرٌ من التوجيه ، وقيل : المراد باركنا حوله من بركة نشأت منه فعمَّتْ جميع الأرض . فإن قيل : إذا كانت البركة حول المسجد الأقصى كما ذكر فيما إذا يُمَيِّز عليه المسجد الحرام ؟ أجيب : بأن البركة حول المسجد الأقصى إما باعتبار الدنيا ورفاهيتها وخصيها والبركة حول المسجد الحرام باعتبار الدين والفضل وتضعيف الحسنات فيه للطائفتين

والعاكفين والمتوطنين والوافدين ، لأن الأجر يكون على قدر النصب وهو واد غير ذى زرع ، نزهه الله تعالى عن خصب الدنيا وسعتها لئلا يكون القصد إليه ممزوجاً بقصد الدنيا ، وهذه البركة الدينية أفضل من تلك البركة الدنيوية . وإما أن يكون المراد بالبركة فى المسجد الأقصى اليركتين الدنيوية والدينية فالبركة الدينية التى فى المسجد الحرام تفضلها باعتبار ما تقدم .

«لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا» :

معنى الرؤية هو مارأى تلك الليلة من عجائب السموات والأرض والآيات الدالة على قدرة الله تعالى ، ومنها ما ذكر فى القصة من ذهابه فى برهة من الليل مسيرة شهر ومشاهدته بيت المقدس وتمثيل الأنبياء له ووقوفه على مقاماتهم ، "ومن" هنا للتعويض وإنما أتى بها هنا تعظيماً لآيات الله تعالى ، فإن هذا الذى رآه محمد ﷺ وإن كان جليلاً عظيماً ، فهو بعض بالنسبة إلى جملة آيات الله تعالى وعجائب قدرته وجليل حكمته .

«إنه هو السميع البصير» :

وقوله تعالى : ﴿إنه هو السميع البصير﴾ الصحيح أن الضمير فى "إنه" لله تبارك وتعالى أى "إنه هو السميع" لأقوال محمد "البصير" بأفعاله . وقال بعض المحققين : ولا يبعد أن يرجع الضمير إلى العبد وهو النبي ﷺ كما نقله أبو البقاء عن بعضهم ، قال : "إنه هو السميع" لكلامنا "البصير" لذاتنا ، وأما توسط ضمير الفصل فلإشعار باختصاصه بهذه

الكرامة وحده ، ولعل السر في مجيئ الضمير محتملاً للأمرين : الإشارة إلى المطلوب ، وأنه ﷺ إنما رأى رب العزة به وسمع كلامه به . قال الماوردي : في الحكمة في الإتيان بالسميع البصير هنا وجهان ، أحدهما : أنه تعالى وصف نفسه بهما وإن كانا من صفاته اللازمة لذاته في الأحوال كلها لأنه حفظ رسوله عند الإسراء به في ظلمة الليل فلم يضره أن لا يبصر فيها وسمع دعاءه فأجابه إلى ما سأل ، الثاني أن قومه لما كذبوه حين أخبرهم بإسرائه فقال " السميع " يعنى لما يقولون من تصديق أو تكذيب " البصير " فيما يفعله من الإسراء والمعراج . اهـ . وهذا بناء على أن الضمير لله تعالى وعليه فالسميع هو الذى لا يعزب عن إدراكه مسموع وإن خفي فيسمع السر والنجوى ، بل ماهو أدق وأخفى ، يدرك ديب النملة السوداء ، فى الليلة الظلماء ، على الصخرة الصماء ، يسمع بغير أصمخة وآذان ، وسمعه منزّه أن يتطرق إليه الحدثنان ، فالسمع فى حقه عبارة عن صفة ينكشف بها كمال صفات المسموعات ، والبصير هو الذى يشاهد ويرى ولا يعزب عنه ماتحت الثرى ، إبصاره منزّه عن أن يكون بحدقة وأجفان ، مقدس عن انطباع الصور والألوان ، فى ذاته تعالى كما ينطبع فى حدقة الإنسان ، فالبصر فى حقه تعالى عبارة عن الصفة التى ينكشف بها كمال نعوت المصنوعات ، وقد ختم الله تعالى وتقدس الآية الدالة على إسرائه ﷺ وما يتعلق به بهاتين الصفتين العظيمتين لما ذكرنا ، والحكمة فى تأخير الكلام عن المعراج فى آية الإسراء هو استدراجهم إلى الإيمان بذكر الإسراء أولاً ، فلما ظهرت أمارات

صدقه ووضحت لهم براهين رسالته واستأنسوا بتلك الآية الخارقة ، أخبرهم بما هو أعظم منها وهو المعراج فحدثهم النبي ﷺ به وأنزله الله تعالى في كتابه

في سورة النجم

آيات المعراج في القرآن

قال الله تعالى : ﴿بسم الله الرحمن الرحيم . والنجم إذا هوى .
ماضل صاحبكم وماغوى . وماينطق عن الهوى . إن هو إلا وحي يوحى .
علمه شديد القوى . ذو مرة فاستوى . وهو بالأفق الأعلى . ثم دنا فتدلى .
فكان قاب قوسين أو أدنى . فأوحى إلى عبده ما أوحى . ماكذب الفؤاد ما
رأى . أفتمارونه على ما يرى . ولقد رآه نزلةً أخرى . عند سدرة المنتهى .
عندها جنة المأوى . إذ يغشى السدرة ما يغشى . مازاغ البصر وما طغى . لقد
رأى من آيات ربه الكبرى﴾ (١) .

القسم في الآية :

أقسم سبحانه وتعالى بالنجم على عدم ضلال سيدنا محمد ، فقال :
" والنجم " وذلك ردًا على الكفار حين نسبوه صلى الله عليه وسلم إلى
الجنون والشعر والكهانة .

قال الإمام القشيري :

فإن قيل : كيف أقسم بالخلق وقد ورد النهي عن القسم بغير الله
تعالى ؟ قلنا : أجيب عنه بأوجه : الأول أنه على حذف مضاف أي وربّ
النَّجْم ، وكذا الباقي (٢) . الثاني : أن العرب كانت تُعَظِّم هذه الأشياء
وتُقَسِّم بها فنزل القرآن على ما يعرفونه . الثالث : أن الأقسام إنما تكون
بِمَا يَعَظِّمُهُ الْمُقْسِم وَيُجِلُّهُ وَهُوَ فَوْقَهُ . والله سبحانه وتعالى ليس فوقه شيء ،

(٢) أي مما أقسم به كالليل والنهار والشمس والقمر .

(١) النجم : ١- ١٨

فأقسم تارةً بنفسه وتارةً بمخلوقاته لأنها تدل على باري وصانع .
وروى ابن أبي حاتم عن الحسن قال : إن الله تعالى يقسم بما شاء من
خلقه وليس لأحد أن يقسم إلا بالله تعالى .
قال ابن القيم : اعلم أن الله سبحانه وتعالى يقسم بأمر على أمور
وإنما يقسم بنفسه الموصوفة بصفاته وآياته المستلزمة لذاته وصفاته ، وإقسامه
ببعض المخلوقات دليل على أنه من عظيم آياته ، فالقسم إما على جملة
خبرية وهو الغالب كقوله تعالى : ﴿فَوَرَبُّ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ لَحَقٌّ﴾ (١) وإما
على جملة طلبية كقوله تعالى : ﴿فَوَرَبِّكَ لَنَسْأَلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ . عَمَّا كَانُوا
يَعْمَلُونَ﴾ (٢) ، مع أن هذا القسم قد يراد به تحقيق القسم عليه ، فيكون من
باب الخبر ، وقد يراد به تحقيق القسم ، فالمقسم عليه يراد بالقسم توكيده
وتحقيقه ، فلا بد أن يكون مما يحسن فيه ذلك كالأمور الغائبة والخفية إذا أقسم
على ثبوتها ، فأما الأمور المشهورة الظاهرة كالشمس والقمر والليل والنهار
والسما والارض فهذه يقسم بها ولا يقسم عليها ، وأما ما أقسم عليه الرب
فهو من آياته ، فيجوز أن يكون مقسماً به ولا ينعكس .

والنجم :

النجم هو الكوكب الطالع ، والنجم أيضاً الثريا ، والنجم من النبات
ما نجم على غير ساق ، والنجم الوقت المضروب .

قال ابن القيم : اختلف الناس في المراد بالنجم ، فقال الكلبي عن ابن
عباس : أقسم بالقرآن إذ أنزل نجوماً على رسول الله ﷺ أربع آيات وثلاث

(٢) الحجر : ٩٢ - ٩٣

(١) الذاريات : ٢٣

آيات والسورة ، وكان بين أوله وآخره عشرون سنة ، وكذلك روى عطاء عنه ، وهو قول مقاتل والضحاك ومجاهد واختاره القراء .

والهوي على هذا القول النزول من أعلى إلى أسفل ، وعلى هذا سمي القرآن نجماً لتفرقه في النزول ، والعرب تسمى التفرق تنجماً والمتفرق منجماً ، ونجوم الكتاية أقساطها ، وتقول : جعلت مالي على فلان نجوماً منجّمة كل نجم كذا وكذا ، وأصل هذا أن العرب كانت تجعل مطالع منازل القمر ومساقطها مواقيت لحلول ديونها وأجالها فيقولون : إذا طلع النجم - يريدون الثريا - حلّ عليك كذا ، ثم جعل كلمة نجم تفرقاً وإن لم يكن مؤقتاً بطولوع نجم .

قال الإمام جعفر بن محمد رضي الله عنهما كما نقله القاضى : أراد به النبي ﷺ إذا نزل ليلة المعراج ، والهوى النزول ..

وقال صاحب السراج : ويعجبني هذا التفسير لما أئتمته من وجوه فإنه ﷺ نجم هداية ، خصوصاً لما هدى إليه من فرض الصلاة تلك الليلة ، وقد علمت منزلة الصلاة من الدين ، ومنها أنه أضاء في السماء والأرض ، ومنها التشبيه بسرعة السير ، ومنها أنه كان ليلاً ، وهو وقت ظهور النجم ، فهو لا يخفى على ذي بصر ، وأما أرباب البصائر فلا يمترون كأبي بكر الصديق رضي الله عنه ، انتهى .

وقال ابن عباس في رواية عكرمة : أراد النجوم التي ترمى بها الشياطين إذا سقطت في آثارها عند استراق السمع ، وهذا قول أبي الحسن

المأوردى وسببه أن الله تعالى لما أراد بعث محمد ﷺ رسولا أكثر انقضا من الكواكب قبل مولده ، فذعر أكثر العرب منها وفزعوا إلى كاهن كان يخبرهم بالحوادث فسأله عنها ، فقال : انظروا إلى البروج الاثني عشر فإن انقض منها شيء فهو ذهاب الدنيا ، وإن لم ينقض منها شيء فسيحدث في الدنيا أمر عظيم ، فاستشعروا ذلك ، فلما بعث النبي ﷺ كان هو الأمر العظيم الذي استشعروه فأنزل الله تعالى : ﴿والنجم إذا هوى﴾ ، أى ذلك النجم الذى هوى هوى لهذه النبوة التى حدثت .

قال ابن القيم : وهذه الرواية عن ابن عباس أظهر الأقوال ، ويكون الحق سبحانه وتعالى قد أقسم بهذه الآية الظاهرة المشاهدة التى تصيها آية وحفظاً للوحي من استراق الشياطين له ، على أن ما أتى به رسوله حق وصدق لا سبيل للشياطين ولا طريق لهم إليه ، بل قد حرس بالنجم إذا هوى رسداً بين يدي الوحي وحرساً له ، وعلى هذا فالارتباط بين المقسم به والمقسم عليه فى غاية الظهور ، وفى المقسم به دليل على المقسم عليه ، فإن النجوم التى ترمى بها الشياطين آية من آيات الله تعالى ، يحفظ بها دينه ووحيه وآياته المنزلة على رساله التى بها ظهر دينه وشرعه وأسماءه وصفاته ، وجعلت هذه النجوم المشاهدة خدماً وحرساً لهذه النجوم الهادية ، وليس بالبين تسمية القرآن عند نزوله بالنجم إذا هوى ولا تسمية نزوله هويّاً ولا عهداً فى القرآن بذلك ، فيحمل هذا اللفظ عليه وليس بالبين أيضاً تخصيص هذا المقسم بالترياء وحدها إذا غابت ، وليس بالبين المقسم

(١) إضافة من تفسير القرطبي (ج ١٧ ص ٨٣) لضبط السياق .

بالنجوم عند تناثرها يوم القيامة ، بل هذا مما يقسم الرب عليه ، ويدل عليه بآياته فلا يجعله نفسه دليلاً لعدم ظهوره للمخاطبين ولا سيما منكرى البعث ، فإنه سبحانه وتعالى إنما يستدل بما لا يمكن جحده ولا المكابرة فيه .
«ماضِلٌ صاحبكم وماغوى» :

هذا جواب القسم «ماضِلٌ» أى ماكفر ، ويحتمل أن يكون معنى «ماضِلٌ» أى ماجُنٌ ، فإن المجنون ضالٌّ ، وعلى هذا فهو كقوله تعالى : «ما أنت بنعمة ربك بمجنون»^(١) إشارة إلى إنه ماغوى بل هو رشيدٌ مُرشدٌ إلى حضرة الله تعالى ، وقوله : «وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ»^(٢) إشارة إلى قوله هنا : «وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى»^(٣) ، فإن هذا خُلُقٌ عَظِيمٌ ، وقد أشار قوله تعالى «ماضِلٌ» إلى أنه على الطريق «وماغوى» إشارة إلى أنه على الطريق المستقيم «وماينطق عَنِ الْهَوَى» إلى أنه مسلك الحادّة .

قال ابن القيم : نفى الله سبحانه وتعالى عن رسوله الضلال المتأفى للهدى والغى المتأفى للرشد ، ففى ضمن هذا النفى الشهادة له بأنه على الهدى والرشد ، فالهدى فى علمه والرشد فى عمله ، وهذان الأصلان هما غاية كمال العبد ، وهما سعادته وصلاحه ، وبهما وصف النبى ﷺ خلفاءه فقال (عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدى) .

فالرأشد ضد الغاوى ، والمهدى ضد الضال وهو الذى زكّت نفسه بالعلم النافع والعمل الصالح وهو صاحب الهدى ودين الحق ، ولا يشتهبه الراشد المهدي بالضالّ الغاوى إلا على أجهل الخلق وأعماهم قلباً وأبعدهم

(٣) النجم : ٣

(٢) القلم : ٤

(١) القلم : ٢

من حقيقة الإنسانية ، ورَّحِمَ الله القائل :
وما انتفاعُ أخى الدنيا بناظره إذا استوت عنده الأنوار والظُّلُمُ

وتأمل كيف قال تعالى : ﴿ مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ ﴾ ولم يقل : محمداً .
تأكيداً لإقامة الحجة عليهم بأنه صاحبهم ، وهم أعلم الخلق به وبحاله
وأقواله وأعماله ، وأنهم لا يعرفونه بكذب ولا غي ولا ضلال ، ولا ينقمون
عليه أمراً واحداً قط ، وقد نبّه تعالى على ذلك بقوله : ﴿ أَمْ لَمْ يَعْرِفُوا
رَسُولَهُمْ ﴾ ^(١) وبقوله ﴿ وَمَا صَاحِبُكُمْ بِمَجْنُونٍ ﴾ ^(٢) .

« وما ينطق عن الهوى »

قال تعالى أولاً : ﴿ مَا ضَلَّ ﴾ و (ماغوى) بصيغة الماضي ، وعبر هنا
بصيغة المستقبل ، وهو ترتيب فى غاية الحُسْن ، أى ماضٍ حين اعتزلكم
وماتعبدون حين اختلى بنفسه . ﴿ وما ينطق عن الهوى ﴾ الآن حيث أرسل
إليكم وجعل شاهداً عليكم ، فلم يكن أولاً ضالاً ولا غاوياً ، وصار الآن
مُنْقِذاً من الضلالة ومُرْشِداً وهادياً ، والله سبحانه وتعالى يصون من يريد
إرساله فى صغره عن الكفر والمعائب ، فقال تعالى : ﴿ مَا ضَلَّ ﴾ أى فى
صغره لأنه لا ينطق عن الهوى .

قال ابن القيم : نزه تعالى نطق رسوله ﷺ عن أن يصدر عن هوى ،
وبهذا الكمال هداة وأرشده ، ولم يقل : وما ينطق بالهوى ، لأن نفي نطقه
عن الهوى أبلغ فإنه يتضمّن أن نطقه لا يصدر عن هوى ، وإذا لم يصدر عن

(٢) التكوير : ٢٢

(١) المؤمنون : ٦٩

هوى فكيف ينطق به؟ فتَضَمَّنَ نفى الأمرين : انفى الهوى عن مصدر النطق ونَفَيْهِ عن النطق نفسه ، فَنُطِقُهُ بالحق ، ومصدره الهُدَى والرَّشَاد ، لا الغَى والضلال .

«الهَوَى» :

قال الشعبي : «إِنَّمَا سُمِّيَ الهوى هَوًى لِأَنَّهُ يَهْوَى بِصَاحِبِهِ» . وقال بعض الحكماء : «الهوى إله معبود ، له شيطان شديد ، يخدمه شيطانٌ مريد ، فمن عبد أوثانه ، وأطاع سلطانه واتبع شيطانه ، ختم الله تعالى على قلبه ، وحرَّم الرِّشَادَ مِنْ رَبِّهِ ، فأصبح صريع غِيَّةٍ غريق ذنبه ، وقال عزَّ من قائل : ﴿أَفَرَأَيْتَ مَنْ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ وَأَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَى عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَى سَمْعِهِ وَقَلْبِهِ وَجَعَلَ عَلَى بَصَرِهِ غِشَاوَةً فَمَنْ يَهْدِيهِ مِنْ بَعْدِ اللَّهِ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾»^(١) وقال تعالى : ﴿وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنْ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدًى مِنَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾^(٢) .

وقال النبي ﷺ : (ثلاثٌ منجيات : خشية الله فى السر والعلانية والحكم بالعدل فى الرضا والغضب ، والاقتصاد فى الفقر والغنى . وثلاثٌ مهلكات : شحٌّ مطاع ، وهوى متبع ، وإعجاب المرء بـرأيه) رواه البزار وأبو نعيم والبيهقى عن أنس . قال الحافظ العراقى : سنده ضعيف .

وقال ﷺ : (ما تحت ظل السماء من إله يُعبد من دون الله أعظم عند الله من هوى متبع) رواه الطبرانى عن أبى أمامة . وقال بعض الحكماء : الهوى خادع الألباب ، صَادٌّ عَنِ الصَّوَابِ ، يخرج صاحبه من الصحيح إلى

(٢) القصص : ٥٠

(١) الجاثية : ٢٣

المعتل ، ومن الصريح إلى المحتمل ، فهو أعمى يبصر وأصم يسمع ، كما قال
النبي ﷺ : (حُبَّكَ الشَّيْءُ يُعْمَى وَيُصَمُّ) رواه أحمد في المسند . قال الحافظ
العراقي : إسناده ضعيف .

قال آخر : على قدر بصيرة العقل يرى الإنسان الأشياء ، فمن سلم
عقله من الهوى يراها على حقيقتها ، والنفس الكدرة المتبعة لهواها ترى
الأشياء على طبعها . وقيل : كان على خاتم بعض الحكماء : من غلب على
عقله افتضح . وقال ابن دُرَيْد في مقصورته :

وأفة العقل الهوى فمن علا على هوى عقله فقد نجأ

« إن هو إلا وحي يوحى » :

قال الإمام الرازي : هذا تكملة للبيان ، وذلك أن الله تعالى لما قال :
﴿ وما ينطق عن الهوى ﴾ كأن قائلًا يقول فَعَمَّ ذَا ينطق عَنْ الدليل والاجتهاد؟
فقال : لا ، إنما ينطق عن حضرته تعالى بالوحي ، وهذا اللفظ أبلغ من أن
لو قيل : هو وحي يوحى .

قال ابن القيم : أعاد الضمير على المصدر المفهوم من الفعل ، أى
مناطقه إلا وحي يوحى ، وهذا أحسن من قول من جعل الضمير عائدا إلى
القرآن فإنه يعم نطقه بالقرآن والسنة ، وأن كليهما وَحْيٌ . قال الله تعالى :
﴿ وَأَنْزَلَ اللَّهُ عَلَيْكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ ﴾ ^(١) وهما القرآن والسنة .

وروى الدارمي عن يحيى بن أبي كثير قال : كان جبريل ينزل على
النبي ﷺ بالسنة كما ينزل عليه بالقرآن . قلت : وفي الصحيحين أن رجلا

سأل النبي ﷺ وهو بالجعرانة ، فقال : يا رسول الله ! كيف ترى في رجل
أحرم بعمره بعدما تضحخ بالخلق ؟ فنظر إليه رسول الله ﷺ ساعة ثم
سكت ، فجاءه الوحي ، ثم سري عنه ، فقال : أين السائل ؟ فجئ به ، فقال :
انزع عنك الجبة واغسل أثر الطيب واصنع في عمرتك ما تصنع في حجتك .

وروى الإمام أحمد وأبو داود عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي
الله عنهما قال : كنت أكتب كل شيء أسمعه من رسول الله ﷺ أريد حفظه
فنهتني قريش وقالوا : تكتب كل شيء سمعته من رسول الله ﷺ ، ورسول
الله ﷺ بشر يتكلم في الرضا والغضب ؟ فأمسكت عن الكتابة حتى ذكرت
ذلك لرسول الله ﷺ ، فأوماً بأصبعه إلى فيه وقال : (اكتب فوالذي نفسي
بيده ما يخرج مني إلا حقاً) .

وروى الإمام أحمد عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال : قال
رسول الله ﷺ : (إني لا أقول إلا حقاً) وقال بعض أصحابه : إنك تداعبنا
يا رسول الله ، قال : (إني لا أقول إلا حقاً) .

وروى الإمام أحمد والطبراني والضياء في " المجموعة المختارة " عن
أبي أمامة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : (لِيَدْخُلَنَّ الْجَنَّةَ بِشَفَاعَةِ
رَجُلٍ مِثْلِ الْحَيِّينِ أَوْ مِثْلِ أَحَدِ الْحَيِّينِ رُبْعَةً وَمَضْر . فقال رجل : يا رسول
الله وما ربعة ومضر ؟ قال : (إني ما أقول إلا ما أقوله - بضم الهمزة وفتح
القاف والواو المشددة - أي ما يقوله الله لي من الوحي) .

«عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَى» :

أخبر تعالى عن وصف من عَلَّمَهُ بالوحي أنه مضادٌ لأوصاف الشيطان معلَّم الضلالة والغواية ، وهو نظير قوله تعالى : «ذِي قُوَّةٍ عِنْدَ ذِي الْعَرْشِ مَكِينٍ»^(١) وفي وصفه بذلك تنبيهٌ عَلَى أمور :

الأول : أنه بقوته يمنع الشياطين أن تدنو منه وأن ينالوا منه شيئاً أو يزيدوا فيه أو ينقصوا منه ، بل إذا رآه الشيطان هرب منه ولم يقربهُ .

الثاني : أنه موال لهذا الرسول الذي كَذَّبْتُمُوهُ ومعاضدٌ له وناصر ، كما قال تعالى : (فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ مَوْلَاهُ وَجِبْرِيلُ وَصَالِحُ الْمُؤْمِنِينَ)^(٢) الآية . ومن كان هذا القويُّ وليَّه ومعلَّمه ومن أنصاره وأعوانه فهو المهديُّ المنصور ، والله هاديهِ وناصِرُهُ .

الثالث : أن من عادى هذا الرسول فقد عادى صاحبه ووليَّه جبريل ومن عادى ذا القوة والشدة فهو عرضةٌ للهلاك .

الرابع : أنه قادر على تنفيذ ما أمر به بقوته فلا يعجز عن ذلك بل هو مؤدِّله كما أمر .

ثم في قوله : (شَدِيدُ الْقُوَى) فوائد :

الأولى : أن مدح المعلَّم مدح للمتعلم ، فلو قال : عَلَّمَهُ جِبْرِيلُ ولم يصفه ، ما كان يحصل للنبي ﷺ فضيلةٌ ظاهرة .

(١) التكوين : ٢٠ (٢) التحريم : ٤

الثانية : أن فيه ردّاً عليهم بحيث قالوا : أساطير الأولين ، فقال : لم يُعلِّمه أحدٌ من الناس بل علَّمه شديد القوى .

الثالثة : فيه الوثوق بقول جبريل عليه السلام ، ففي قوله تعالى : «شديد القوى» جميع ما يوجب الوثوق ، لأن قوة الإدراك شرط الوثوق بقول القائل على ما عرف ، وكذلك قوة الحفظ فقال : (شديد القوى) ليجمع هذه الشرائط ، فيصير كقوله تعالى : (ذي قوة عند ذي العرش مكين ، مطّاع ثم أمين)(١) .

«ذو مرة» :

قال قطرب : تقول العرب لكل جَزَلٍ الرأي حَصِيفُ العقل ذو مرة ، قال الشاعر :

قَدْ كُنْتُ قَبْلَ لِقَاكُمْ ذَا مِرَّةٍ عِنْدِي لِكُلِّ مُخَاصِمٍ مِيزَانُهُ

وكان من جزالة رأيه وحصافة عقله أن الله تعالى ائتمنه على وحيه إلى جميع رُسُلِهِ .

قال الجوهري : «والمِرَّةُ القُوَّةُ وشدة العقل ، ورجلٌ مَرِيرٌ أى قويٌّ

ذو مِرَّةٍ . قال :

تَرَى الرَّجُلَ النَحِيفَ فَتَزْدِرِيهِ وَحَشَوْثِيَابَهُ أَسَدٌ مَرِيرٌ

قال ابن القيم : أي جميل المنظر حسن الصورة ذو جلاله ، ليس شيطانياً أقبح خلق الله تعالى وأشوههم صورة ، بل هو من أجمل الخلق

(١) التكوير : ٢٠ - ٢١

وأقواهم وأعظمهم أمانةً ومكانةً عند الله ، وهذا تعديل لسند الوحي والنبوة
وتزكية له ، كما ذكر نظيره في سورة التكويد ، فوصفه بالعلم والقوة وجمال
المنظر وجلالته . وهذه كانت أوصاف الرسول البشري والملكى ، وكان
رسول الله ﷺ أشجع الناس وأعلمهم وأجملهم وأصفاهم نفساً .
«فَاسْتَوَى . وَهُوَ بِالْأَفْقِ الْأَعْلَى» :

«فاستوى» يعنى جبريل أى ارتفع وعلا إلى مكانه في السماء بعد أن
علمَ محمداً ﷺ ، قاله ابن المسيب وابن جبير .

وقيل «فاستوى» أى ظهر فى صورته التى خلقه الله تعالى عليها ، لأنه
كان يأتى النبى ﷺ فى صورة الآدميين كما كان يأتى إلى الأنبياء ، فسأله
رسول الله ﷺ أن يُريَه نفسه التى خلقه الله عليها ، فأراه نفسه مرتين : مرةً
فى الأرض ومرة فى السماء ، فأما فى الأرض فقد كانت والنبى ﷺ بحراء
فى أوائل البعث بعد فترة الوحي كما قال ابن كثير .

وروى الإمام أحمد وعبد بن حميد وابن المنذر والبيهقي وأبو نعيم عن
ابن مسعود رضى الله عنه قال : رأى رسول الله ﷺ جبريل فى صورته ، له
ستمائة جناح ، كل جناح منها قد سدَّ الأفق وتسقط من أجنحته التهاويل
والدر والياقوت ما الله به عليم .

وأما التى فى السماء فعند سدرة المنتهى .

«ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّى» :

قال الإمام الرازي : فيه وجوه : الأول - وهو أشهرها - : أن جبريل دنا من النبي ﷺ ، أى بعد ما مد جناحه وهو بالأفق الأعلى عاد إلى الصورة التي كان يعتاد التزول عليها ، وقرب من النبي ﷺ .

الوجه الثاني : أن المراد دنا من ربه تبارك وتعالى ، والمراد بالدنو هنا المنزلة كما في قوله ﷺ حاكيا عن ربه عز وجل : مَنْ تَقَرَّبَ مِنِّي شَبْرًا تَقَرَّبْتُ مِنْهُ ذِرَاعًا وَمَنْ أَتَانِي يَمْشِي أَتَيْتُهُ هَرْوَكَةً . وهذا إشارة إلى المعنى ، ولهذا مزيد بيان في شرح القصة .

الوجه الثالث : دنا جبريل من ربه ، قاله مجاهد .

الوجه الرابع : أنه ﷺ دنا من ربه ، ويحمل هو والذي قبله كما قال الإمام الرازي على القرب من المنزلة .

«فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى» :

قال الإمام الرازي : أى فكان بين جبريل ومحمد ﷺ مقدار قوسين أو أقل ، فهذا على استعمال العرب وعاداتهم ، فإن الأميرين منهم أو الكبيرين إذا اصطلحا وتعاقدا خرجا بقوسيهما وجعل كل واحد منهما قوسه يطرف قوس صاحبه ، ومن دونهما من الرعية يكون كفه بكف صاحبه فيمدان باعيهما لذلك فسمي مبايعة ، وعلى هذا ففيه مقدار قوسين أو كان جبريل سفيراً بين حضرة الله تعالى ومحمد ﷺ فكان كالتبع لمحمد ﷺ ، فصار

كالمبايع الذي يمدّ الباع لا القوس .

وقال القرطبي : وقال سعيد بن جبير وعطاء و أبو إسحق الهمداني وأبو وائل شقيق بن سلمة «فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ» أى قدر ذراعين ، والقوس الذراع يقاس بها كل شئ ، وهى لغة بعض الحجازيين .

قال الحافظ : وينبغى أن يكون هذا القول هو الراجح ، فقد روى الطبراني وابن مردويه والضياء بسند صحيح عن ابن عباس قال : القاب القيد والقوسان الذراعان .

«أَوْأَدْنَى» .

«أو» هنا ليست للشك بل لتحقيق قدر المسافة وأنها لا تزيد على قوسين البتة ، كما قال تعالى : «وَأَرْسَلْنَاهُ إِلَى مِائَةِ أَلْفٍ أَوْ يَزِيدُونَ»^(١) ، تحقيقاً لهذا القدر ، وأنهم لا ينقصون عن مائة ألف أو يزيدون رجلاً واحداً .

«فَأَوْحَى إِلَى عَبْدِهِ مَا أَوْحَى» :

أى أوحى الله تعالى إلى محمد ما أوحى إليه به ، أبهمه للتفخيم والتعظيم .

وفى «ما أوحى» وجوه : الأول : فضل الصلاة ، الثاني : أن أحداً من الأنبياء لا يدخل الجنة قبلك ولا قبل أمّتك ، الثالث : أن «ما» للعموم ، والمراد كل ما جاء به جبريل .

(١) الصافات : ١٤٧

« مَا كَذَّبَ الْفُؤَادَ مَا رَأَى » :

قال ابن القيم : أخبر الله تعالى عن تصديق فؤاده لما رآته عيناه ، وأن القلب صدَّق العين ، وليس كمن رأى شيئاً على خلاف ما هو به ، فكذب فؤاده بصره ، بل مارآه ببصره صدَّقه الفؤاد وعلم أنه كذلك . يُقال كَذَّبَتْهُ عَيْنُهُ وَكَذَّبَ قَلْبُهُ وَكَذَّبَ جَسَدُهُ إِذَا أَخْلَفَ مَا ظَنَّهُ وَحَدَسَهُ . قال الشاعر :

كَذَّبَتْكَ عَيْنُكَ أَمْ رَأَيْتَ بِوَاسِطٍ غَلَسَ الظَّلَامُ مِنَ الرَّبَابِ خَيْالاً

أى أرتك مالا حقيقة له . فنفى الله تعالى هذا عن رسول الله ﷺ ، وأخبر أن فؤاده لم يكذب مارآه .

قال الماوردي : في الفؤاد قولان : أحدهما : أنه أراد صاحب الفؤاد فعبّر عنه بالفؤاد ، لأنه قطب الجسد وبه قوام الحياة ، الثاني : أنه أراد نفس الفؤاد لأنه محل الاعتقاد .

« مَا كَذَّبَ الْفُؤَادَ مَا رَأَى » وقراءة أخرى :

قرأ الجمهور بتخفيف الذال من كذب والمعنى : ما كذب قلب محمد ﷺ مارآه محمد ﷺ بعينه ، وإن القلب صدق العين ، وليس كمن رأى شيئاً على خلاف ما هو به فكذب فؤاده بصره ، وقرأ هشام وأبو جعفر بتشديد الذال من كذب أي ما كذب الفؤاد مارآه البصر ، ولم يقل إن مارآه البصر خيالاً لا حقيقة له بل صدقه على مارآه ، وهذا بناء على أن الرائي البصر ، وأما على القول بأن الرائي الفؤاد فالمعنى ما كذب الفؤاد مارآه الفؤاد ، أي لم

يقول إنه جني أو شيطان بل يثقن أن ما رآه بفؤاده صدقٌ صحيح .

من هو المرئي :

واختلفوا في المرئي من هو ؟ ، فقليل جبريل ، رآه وله ستمائة جناح كما ثبت عن ابن مسعود في الصحيح في تفسير هذه الآية ، وفي رواية عنه : رأى جبريل عليه حلتان على رقف أخضر قد ملأ ما بين السماء والأرض كما رواه الفريابي والترمذي وصحاحه ، وقليل المرئي الآيات العجينة ، وقليل المرئي هو الله سبحانه وتعالى ، وهو قول ابن عباس وأتس وأبى أمامة وغيرهم من الصحابة والتابعين ، ثم منهم من يقول رآه بعينه من غير كيف ولا انحصار رؤيا لا ثقة بجلاله وكماله وهو المشهور عن ابن عباس ، ومنهم من يقول رآه بقلبه وهو مروي عن ابن عباس أيضا وعن غيره .

« أفتمارونه على ما يرى » :

قوله تعالى : ﴿ أفتمارونه على ما يرى ﴾ أنكر تعالى عليهم مكابرتهم وجحدهم له على ما يراه كما يتكر على الجاهل مكابرتة لعالم ومماراته على ما علمه ، ف يقال مبتدأً بهمزة الاستفهام الإنكاري " أفتمارونه " أي أفتجادلونني من المراء وهو الملاحاة والمجادلة ، واشتقاقه من مريت الناقة مرياً إذا مسحت ضرعها لتدر ، وعير بالمفاعلة في هذه القراءة إشارة إلى اجتهدهم في تشكيكه ، لأن كلاً من المتجادلين يرى ما عند صاحبه أي يستخرجه ، من مري الشيء استخرجه ، ومريت الفرس إذا استخرجت ما عنده من الجري بسوط أو غيره .

وقال الزمخشري وتبعه البيضاوى معنى "أفتمارونه" أف تغلبونه فى المراء من ماريته فمريته ، قال السبكى : وهو معنى جيد وورود مرية بمعنى جحدت فى كلام العرب لا يدفع هذا لثبوت المعنيين لغة^(١) ، والتعدية بعلى على معنى الغلبة واضحة ، وأما على معنى الجحد فلتضمنه معنى الغلبة فإن الممارى والجاحد يقصدان بفعلهما غلبة الخصم .

« ولقد رآه نزلة أخرى » :

قوله تعالى : ﴿ ولقد رآه نزلة أخرى ﴾ قال ابن القيم : أخبر الله تعالى عن رؤيته لجبريل مرة بعد أخرى ، فالمرّة الأولى كانت دون السماء بالأفق الأعلى ، والثانية هذه كانت فوق السماء عند سدرّة المنتهى . قال الحافظ ابن كثير : هذه هي المرة الثانية التى رأى رسول الله ﷺ فيها جبريل على صورته التى خلقه الله تعالى عليها وكانت ليلة الإسراء ، وقد روى الإمام أحمد بسند جيد كما قال الحافظ المذكور عن عبد الله بن مسعود رضى الله تعالى عنه قال : رأى رسول الله ﷺ جبريل على سدرّة المنتهى له ستمائة جناح ، كل جناح منها قد سدّ الأفق تسقط من أجنحته التهاويل من الدرّ والياقوت ما الله به عليم ، وأصل الحديث رواه مسلم اهـ . وأما المرة الأولى فكانت فى حراء فى أوائل البعثة كما تقدم .

« عند سدرّة المنتهى »

قوله تعالى : ﴿ عند سدرّة المنتهى ﴾ والسدرّة شجرة النبق رآها النبى ﷺ ليلة الإسراء ، رأى عندها جبريل فى صورته الأصلية وهى فى السماء

(١) قال القرطبى : والمعنيان متداخلان لأن مجادلهم جحود اهـ

السابعة كما فى حديث أنس رضى الله تعالى عنه ، ووقع فى حديث ابن مسعود أنها فى السادسة ، وحديث أنس هو قول الأكثر وهو الذى يقتضيه وصفها بكونها التى ينتهى إليها علم كل نبي مرسل وكل ملك مقرب ، وما خلفها غيبٌ لا يعلمه إلا الله تعالى أو من أعلمه ، و يترجح حديث أنس بأنه مرفوع وحديث ابن مسعود بأنه موقوف^(١) ، وقد جمع بينهما بأن أصلها فى السادسة ، وأغصانها وفروعها فى السابعة ، وليس فى السادسة منها إلا أصل ساقها . قال مقاتل : وهى عن يمين العرش . قال الخليل : قد أظلت السموات والجنة . قال بعضهم : وهى طوبى التى ذكرها الله تعالى فى سورة الرعد بقوله : ﴿الذين آمنوا وعملوا الصالحات طوبى لهم وحسن مآب﴾^(٢) وهى شجرةٌ يسير الراكب فى ظلها مائة عام ، وفى "الكشاف" سبعين عاما لا يقطعها ، ويستظل فى الغصن منها مائة ألف راكب ، ولو وضعت ورقةٌ منها فى الأرض لأضاءت لأهل الأرض ، ورقها كأذان الفيلة ، ونبقها كقلال هجر ، يخرج من أصلها أربعة أنهار ، نهران ظاهران : النيل والفرات ، ونهران باطنان فى الجنة^(٣) فيها فراشٌ من ذهب ، وإنما قيل لها سدرة المنتهى لأن علم الملائكة ينتهى عندها لا يجاوزها ولم يجاوزها أحد إلا رسول الله ﷺ ، وقيل لأنه ينتهى إليها ما يهبط من فوقها وما يصعد من تحتها من أمر الله تعالى لا يعدوها ، وقيل ينتهى إليها علم الخلائق وعلم كل عالم ، لا يعلم ما وراءها صعودا إلا الله تعالى ، وقيل لأنه ينتهى إليها من

(١) قلت وكلاهما صحيح أخرجه مسلم فى كتاب الإيمان فى باب الإسراء برسول الله ﷺ .

(٢) الرعد : ٢٨

(٣) قال مقاتل : وهما السلسيل والكوثر . كذا فى شرح النووى على مسلم ٢ / ٢٢٤ .

مات على سنة محمد ﷺ وهم المؤمنون حقاً ، وقيل غير ذلك ..

«المنتهى» :

"والمنتهى" اسم مكان بمعنى موضع الانتهاء أو مصدر ميمي بمعنى الانتهاء كأنها فى منتهى الجنة وآخرها ، وإضافة السدرة إلى المنتهى إما من إضافة الشيء إلى مكانه كقولك أشجار بلدة كذا ، فالمنتهى حينئذ موضع لا يتعداه ملكٌ ولا روحٌ من الأرواح ، أو من إضافة المحل إلى الحال فيه كقولك كتاب الفقه ، وعلى هذا فالتقدير سدرَةٌ عندها أو فيها منتهى العلوم ، أو المراد بالمنتهى هو الله تعالى ، وحينئذ يكون التقدير المنتهى إليه ، قال الله تعالى : ﴿ وَأَن إِلَىٰ رَبِّكَ الْمُنْتَهَىٰ ﴾ ^(١) ، فإضافة السدرة إلى المنتهى من إضافة الملك إلى مالكه ، فالإضافة إليه كإضافة البيت إليه للتشريف والتعظيم .

«عندها جنة المأوى» :

قوله تعالى : ﴿عندها جنة المأوى﴾ أي عند سدرة المنتهى جنة المأوى ، وهذه الجملة تحتمل الحال والاستئناف ، والحال أظهر ، كما قاله السبكي وهو تعريف لموضع جنة المأوى وأنها عندها سدرة المنتهى وهي عن يمين العرش كما تقدم ، وقال ابن عباس وأكثر المفسرين : جنة المأوى التى تأوى إليها أرواح الشهداء ، وقيل أوى إليها آدم عليه السلام إلى أن خرج منها ، وقيل إن جبريل وميكائيل عليهما السلام يأويان إليها ، وقيل إن أرواح المؤمنين كلهم فى جنة المأوى وهي تحت العرش ينعمون بنعيمها ، وقالت

(١) النجم : ٤٢

عائشة وزر بن حبیش : جنة من الجنان ، ومال إليه ابن عطية ، والجنات كلها يأوي إليها المتقون ، أراد الله تعالى أن يعظم مكان سدرۃ المنتهى بأن جعل الجنة عندها ، وفي ذلك تعظيمٌ لمكانها وتشريف له ، وقرأ علي بن أبي طالب وأبو الدرداء وجماعة من الصحابة والتابعين جنة المأوى بالهاء في جنة فعلاً ماضياً ، والهاء ضمير المفعول يعود للنبي ﷺ والمأوى فاعل أي ضمه وستره إيواء الله تعالى وجميل صنعه تعالى ، وقد أنكرت عائشة رضي الله تعالى عنها وجماعة معها هذه القراءة وقالوا : أجن الله تعالى من قرأها ، وإذا ثبت قراءة هؤلاء فلا سبيل إلى ردها ، ولكن المستعمل إنما هو أجنه رباعياً فإن استعمل ثلاثياً تعدى بعلی كقوله تعالى : ﴿ فلما جن عليه الليل ﴾ (١) وقال أبو البقاء : هو شاذ والمستعمل أجنه .

« إذ يغشى السدرۃ ما يغشى » :

قوله تعالى ﴿ إذ يغشى السدرۃ ما يغشى ﴾ قال ابن القيم : لما ذكر الله سبحانه وتعالى رؤية محمد لجبريل صلى الله عليهما وسلم عند سدرۃ المنتهى ؛ استطرد منها وذكر أن جنة المأوى عندها وأنها يغشاها من أمره وخلقه ما يغشى ، وهذا من أحسن الاستطراد وهو أسلوب لطيف جداً في القرآن ، وفي التعبير (بما) تعظيمٌ وتكثير لما يغشاها ، وقد علم بهذه العبارة أن ما يغشاها من الدال على عظمة الله وجلاله ما لا يحده النعت ولا يحيط به الوصف ، وقد جاء بيانه ففي صحيح مسلم وغيره كما رواه ابن مسعود وابن عباس مرفوعاً إلى النبي ﷺ قال : (رأيت السدرۃ يغشاها فراشٌ من

(١) الأنعام : ٧٦

ذهب ، ورأيت على كل ورقة ملكاً يسبح الله تعالى) ، وقيل (ملائكة يغشونها كأنهم طيور يرتقون إليها متشوقين متبركين بها زائرين كما يزور الناس الكعبة . وأخرج عبد بن حميد عن سلمة بن وهران قال : (١) " إذ يغشى السدرة ما يغشى " قال : استأذنت الملائكة الرب تبارك وتعالى أن ينظروا إلى النبي ﷺ فأذن لهم فغشيت الملائكة السدرة لينظروا إلى النبي ﷺ ، وروي مرفوعاً غشيتها من نور الله عز وجل حتى ما يستطيع أحد ينظر إليها ، وقيل لما غشيتها ما غشيتها تحولت ياقوتاً وزمرداً ، وإنما اختيرت السدرة لهذا الأمر دون سائر الأشجار لأنها تختص بثلاثة أوصاف ، ظل مديد ، وطعم لذيذ ، ورائحة ذكية ، فشابهت الإيمان الذي جمع قولاً وعملاً ونية ، فظلمها كالعمل ، وطعمها كالنية ، ورائحتها كالقول ، وأما ما جاء من الأحاديث في النهي عن قطع السدر من قوله ﷺ الذي رواه أبو داود وغيره : (من قطع سدره صوب الله برأسه في النار) ، فمحمول على سدر الحرم كما زاده الطبراني في روايته في قوله يعنى من سدر الحرم ، أو على من قطعه من فلاة يستظل بها ابن السبيل والبهائم عبثاً وظلماً بغير حق يكون له فيه على ما قاله أبو داود ، وقد روى البيهقي أن أبا ثور سأل الشافعي رضي الله عنه عن قطع السدر فقال : لا بأس به ، وقد روي أن النبي ﷺ قال (اغسلها بماء وسدر) ، وقد احتج المزني بما احتج به الشافعي من إجازة النبي ﷺ أن يغسل الميت بالسدر ، ولو كان حراماً لم يجز الانتفاع به ، والورق من السدر كالغصن ، وقد سوى رسول الله ﷺ فيما حرم قطعه من شجر الحرم بين ورقه وغيره ، فلما لم يمنع من السدر دل على جواز قطع السدر .

(١) هذا الأثر ليس بمرفوع .

« مازاغ البصر وماطغى » :

قوله تعالى : ﴿ مازاغ البصر وماطغى ﴾ وصف الله تعالى وتقدس فى هذه الآية أدب النبى ﷺ فى ذلك المقام وثبوته ، ونفى عنه ما يعرض للرأى الذى لا أدب له بين يدي العظماء إذا ورد على مقام يدهش فيه من التفاته يمينا وشمالا ، ومجاوزه بصره إلى ما بين يديه بقوله ﴿ مازاغ البصر ﴾ أي ما مال ، والزيع ميل البصر أي بصر النبى ﷺ ﴿ وماطغى ﴾ أي بصره أي ما تجاوز وامتد أمامه إلى حيث ينتهى . قال ابن عباس : مازاغ البصر يمينا ولا شمالا ولا جاوز ما أمر به وكما أن معنى الآية وصف أدب النبى ﷺ ، فهي متضمنة أيضا لو صف قوة نظره ويقينه وقلبه لتحقيق الأمر ونفي وجوه الريب عنه ، فلم يلتفت جانبا يمينا ولا شمالا ، ولا قصر عن كشف الأمر وحقيقته ، ولا جاوزه ولا مد بصره إلى شيء غير المقصود مما رآه من الآيات ، واستقبله من العجائب ، وأثبت ما رآه إثباتا مستقيما صحيحا وذلك غاية القوة والأدب ، أو ما عدل عن رؤية العجائب التى أمر برؤيتها ومكن منها وما جاوز ما أمر برؤيته ، بل قام مقام العبد الذى أوجب أدبه وإطراقه وإقباله على ما أريه دون التفاته إلى غيره ، ودون تطلعه إلى ما لم يره مع ما فى ذلك من ثبات الجأش وسكون القلب وطمأنينته ، وهذا غاية الكمال ، وقد نزه الله تعالى فى هذه السورة علمه عن الضلال ، وقصده وعمله عن الغي ، ونطقه عن الهوى ، وفؤاده عن تكذيب بصره ، وبصره عن الزيع والطغيان ، وهكذا يكون المدح ..

« لقد رأى من آيات ربه الكبرى » :

قوله تعالى : ﴿ لقد رأى من آيات ربه الكبرى ﴾ قد أكد سبحانه وتعالى مذكره في هذه الآية بالقسم فقال ﴿ لقد رأى ﴾ أي والله لقد رأى أي أبصر من آيات ربه وعجائب الملكية والملكوتية ليلة المعراج أو من آيات ربه الكبرى الدالة على قدرته وعظمته ، والآيات جمع آية وهي العلامة ، ووصفها بالكبرى لتمييزها عن غيرها ولبيان نوعها ، وآيات الله تعالى لا تحصى ، أو لعظم الآيات الكبرى فلا يحاط بها ، والشيء إذا لم يحط به فلا يدرك تعيينه .

تعيين مارآه من تلك الآية الكبرى :

واختلفوا في تعيين مارآه من تلك الآية الكبرى ، ف قيل جبريل في صورته . قال الإمام الرازي : والظاهر أن هذه الآيات غير تلك لأن جبريل وإن كان عظيماً لكن ورد في الأخبار أن لله ملائكة أعظم منه ، والكبرى تأنيث الأكبر فكأنه تعالى قال : لقد رأى من آيات ربه الكبرى آيات هي أكبر الآيات ، وقيل : المرئي السدرة ، وقيل : ما رآه حين رقى به إلى السموات وما فوقها من عجائب الملكوت وغير ذلك . وأما قول القرطبي : وقيل هو ما رآه تلك الليلة في مسراه وعوده وبدئه وهذا أحسن ؛ فلا يناسب قوله في آية الإسراء ﴿ لنريه من آياتنا ﴾ (١) .

(١) الإسراء : ١

خاتمة البحث

قال الحافظ الشامي : اشتلمت هذه الآيات على قَسَمه تعالى على هداية نبيه محمد ﷺ وتنزيهه عن الهوى وصدقه فيما تلا ، وأنه وَحِيٌّ يُوحَى ، يُوصِّلُه إليه جبريل الشديد القوى عن الله تبارك وتعالى العلي الأعلى ، واحتوت أيضا على تزكية جملته ﷺ وعصمته من الارتياب في هذا المسرى ، ثم أخبر تعالى فيها عن فضيلته بقصة الإسراء وانتهائه إلى سِدْرَةِ المنتهى ، وتصديق بصره فيما رآه من آيات ربه الكبرى .

الصحابة الذين روى واقصة الإسراء والمعراج :

روى قصة الإسراء والمعراج عددٌ كبير من الصحابة وهم أبي بن كعب وأسامة بن زيد وأنس بن مالك وبريدة وبلال بن حمامة وبلال بن سعد وجابر بن عبد الله وحذيفة بن اليمان وسمرة بن جندب وسهل بن سعد وشداد بن أوس وصهيب بن سنان وعبد الله بن عباس وعبد الله بن عمر بن الخطاب وعبد الله بن عمرو وعبد الله بن الزبير وعبد الله بن أبي أوفى وعبد الله بن أسعد بن زرارة وعبد الله بن مسعود وعبد الرحمن بن عابس والعباس بن عبد المطلب وعثمان بن عفان وعلي بن أبي طالب وعمر بن الخطاب ومالك بن صعصعة وأبو بكر الصديق وأبو الحمراء وأبو أيوب الأنصاري وأبو الدرداء وأبو ذر الغفاري وأبو سعيد الخدري وأبو سفيان بن حرب وأبو سلمة وأبو سلمى الراعي وأبو ليلى الأنصاري وأسما بنت أبي بكر وعائشة أم المؤمنين وأم كلثوم بنت رسول الله ﷺ وأم سلمة أم المؤمنين رضي الله عنهم .

نصوص الأحاديث المروية

فى هذا الباب ^(١)

(الحديث الأول)

١ - قال السيوطى : ولنبداً بأجودها وأتقنها ، وهو حديث حماد بن سلمة عن ثابت ، عن أنس فإنه جوده وأتقنه فسلم مما فى غيره من التعارض .

قال مسلم : حدثنا شيبان بن فروخ ، عن حماد بن سلمة ، عن ثابت البناني ، عن أنس رضي الله عنه ، أن رسول الله ﷺ قال : (أتيت بالبُرَاق وهو دابة أبيض طويل فوق الحمار ودون البغل ، يضع حافره عند منتهى طرفه ، قال : فركبته حتى أتيت بيت المقدس ، فربطته بالحلقة التي يربط بها الأنبياء ، ثم دخلت المسجد فصليت فيه ركعتين ، ثم خرجت ، فجاءني جبريل (عليه السلام) بإناء من خمر وإناء من لبن فاخترت اللبن ، فقال جبريل : اخترت الفطرة .

ثم عرج بنا إلى السماء الدنيا ، فاستفتح جبريل ؛ فقيل من أنت ؟ قال : جبريل . قيل : ومن معك ؟ قال محمد . قيل : وقد بعث إليه ؟ قال : بعث إليه . ففتح لنا فإذا أنا بآدم ، فرحب بي ودعا لي بخير .

ثم عرج بنا إلى السماء الثانية فاستفتح جبريل ، فقيل من أنت ؟ فقال : جبريل . قيل ومن معك ؟ قال : محمد ، قيل : وقد بعث إليه ؟ قال : بعث

(١) انظر هذه الأحاديث فى كتاب « الآية الكبرى فى شرح قصة الإسراء » للإمام الحافظ جلال الدين السيوطى ، بتحقيق الأستاذ الجليل الفاضل محى الدين مستو .

إليه . ففتح لنا فإذا أنا بابني الخالة عيسى ابن مريم ويحيى بن زكريا ، فرحاً بي ودعوا لي بخير .

ثم عرج بنا إلى السماء الثالثة ، فاستفتح جبريل ، فقيل : من أنت؟ فقال : جبريل . قيل : ومن معك؟ قال محمد . قيل : وقد بعث إليه؟ قال : قد بعث إليه . ففتح لنا ، فإذا أنا بـيوسف وإذا هو قد أعطي شطر الحسن ، فرحب بي ودعا لي بخير .

ثم عرج بنا إلى السماء الرابعة ، فاستفتح جبريل ، قيل : من هذا؟ قال : جبريل . قيل : ومن معك؟ قال : محمد . قيل : وقد بعث إليه؟ قال : قد بعث إليه . ففتح لنا ، فإذا أنا بإدريس ، فرحب بي ودعا لي بخير . قال الله تعالى : (ورفعناه مكاناً علياً) ^(١) .

ثم عرج بنا إلى السماء الخامسة ، فاستفتح جبريل ، قيل : من هذا؟ قال : جبريل . قيل : ومن معك؟ قال : محمد . قيل : وقد بعث إليه؟ قال : قد بعث إليه . ففتح لنا فإذا أنا بهارون ، فرحب بي ودعا لي بخير .

ثم عرج بنا إلى السماء السادسة ، فاستفتح جبريل ، قيل : من هذا؟ قال : جبريل . قيل : ومن معك؟ قال : محمد . قيل : وقد بعث إليه؟ قال : قد بعث إليه . ففتح لنا ، فإذا أنا بموسى فرحب بي ودعا لي بخير .

ثم عرج بنا إلى السماء السابعة ، فاستفتح جبريل ، فقيل : من هذا؟ قال جبريل . قيل : ومن معك؟ قال : محمد . قيل : وقد بعث إليه؟ قال :

(١) مريم : ٥٧

قد بعث إليه . ففتح لنا فإذا أنا بإبراهيم مسنداً ظهره إلى البيت المعمور ،
وإذا هو يدخله كل يوم سبعون ألف ملك لا يعودون إليه ، ثم ذهب بي إلى
سندرة المنتهى فإذا ورقها كآذان الفيلة وإذا ثمرها كالقلال ، قال : فلما غشيها
من أمر الله ما غشي تغيرت ، فما أحد من خلق الله يستطيع أن ينعتها من
حسنها ، قال : فأوحى إليّ ما أوحى ، ففرض عليّ خمسين صلاة في كل
يوم وليلة ، فنزلت حتى انتهيت إلى موسى ، فقال : ما فرض ربك عليّ
أمتك؟ قلت : خمسين صلاة . قال : ارجع إلى ربك فاسأله التخفيف فإن
أمتك لا يطيقون ذلك ، فإني قد بلوت بني إسرائيل وخبرتهم قال : فرجعت
إلى ربي ، فقلت : يارب خفف عن أمتي . فحط عني خمساً . فرجعت
إلى موسى ، فقلت : حط عني خمساً . قال : إن أمتك لا يطيقون ذلك
فارجع إلى ربك فاسأله التخفيف . قال فلم أزل أرجع بين ربي وبين موسى
حتى قال : يا محمد ! إنهن خمس صلوات لكل يوم وليلة ، لكل صلاة عشر
فتلك خمسون صلاة ، ومن همّ بحسنة فلم يعملها كتبت له حسنة ، فإن
عملها كتبت له عشرأ ، ومن همّ بسيئة فلم يعملها لم تكتب شيئاً ، فإن
عملها كتبت سيئة واحدة . فنزلت حتى انتهيت إلى موسى فأخبرته ، فقال :
ارجع إلى ربك فاسأله التخفيف . فقلت : قد رجعت إلى ربي حتى
استحييت منه) .

(الحديث الثاني)

٢- قال البخاري : حدثنا يحيى بن بكير ، حدثنا الليث عن يونس عن ابن شهاب ، عن أنس بن مالك قال : كان أبو ذر يحدث أن رسول الله ﷺ قال : (فرج عن سقف بيتي وأنا بمكة ، فنزل جبريل ففرج صدري ، ثم غسله بماء زمزم ، ثم جاء بطست من ذهب ممتلئ حكمة وإيماناً فأفرغه في صدري ثم أطبقه .

ثم أخذ بيدي فخرج بي إلى السماء فلما جئت إلى السماء الدنيا ، قال جبريل لخازن السماء : افتح ، قال : من هذا؟ قال : جبريل . قال : هل معك أحد؟ قال : نعم ، معي محمد . فقال : أأرسل إليه؟ قال : نعم . فلما فتح علونا السماء الدنيا فإذا رجل قاعد ، على يمينه أسودة ، وعلى يساره أسودة ، إذا نظر قبل يمينه ضحك ، وإذا نظر قبل شماله بكى ، فقال : مرحباً بالنبي الصالح والابن الصالح ، قلت لجبريل : من هذا؟ قال : هذا آدم ، وهذه الأسودة عن يمينه وشماله نسمة بنيه ، فأهل اليمين منهم أهل الجنة ، والأسودة التي عن شماله أهل النار ، فإذا نظر عن يمينه ضحك ، وإذا نظر قبل شماله بكى . حتى عرج بي إلى السماء الثانية ، فقال لخازنها : افتح . فقال له خازنها مثل ما قال الأول ففتح .

قال أنس : فذكر أنه وجد في السماوات آدم وإدريس وموسى ، وعيسى وإبراهيم - صلوات الله عليهم - ولم يثبت كيف منازلهم ، غير أنه

ذكر أنه وجد آدم في السماء الدنيا ، وإبراهيم في السماء السادسة ، قال أنس : فلما مر جبريل عليه السلام بالنبي ﷺ بإدريس قال : مرحباً بالنبي الصالح والأخ الصالح . قلت : (من هذا؟ قال : هذا إدريس . ثم مررت بموسى فقال : مرحباً بالنبي الصالح والأخ الصالح . قلت : من هذا؟ قال : هذا موسى . ثم مررت بعيسى فقال : مرحباً بالأخ الصالح والنبي الصالح . قلت : من هذا؟ قال عيسى . ثم مررت بإبراهيم فقال : مرحباً بالنبي الصالح والابن الصالح . قلت : من هذا؟ قال : إبراهيم .

ثم عرج بي حتى ظهرت لمستوى أسمع فيه صريف الأقلام ففرض الله على أمتي خمسين صلاة فرجعت بذلك حتى مررت على موسى ، فقال : ما فرض الله على أمتك؟ قلت : فرض خمسين صلاة ، قال : فارجع إلى ربك فإن أمتك لا تطيق ، فراجعت فوضع شطرها ، فرجعت إلى موسى قلت : وضع شطرها ، قال : ارجع إلى ربك فإن أمتك لا تطيق ، فرجعت فوضع شطرها ، فرجعت إليه ، فقال : ارجع إلى ربك فإن أمتك لا تطيق ذلك . فراجعته فقال : هي خمس وهي خمسون لا يبدل القول لدى ، فرجعت إلى موسى قال : ارجع إلى ربك . قلت : قد استحييت من ربي ، ثم انطلق بي حتى انتهى بي إلى سدرة المنتهى وعشيتها ألوان لا أدري ماهي ، ثم أدخلت الجنة فإذا فيها حبال اللؤلؤ ، وإذا ترابها المسك) .

(الحديث الثالث)

٣- قال البخاري أيضاً : حدثنا عبد العزيز بن عبد الله ، حدثني سليمان - وهو ابن بلال - عن شريك بن عبد الله - يعني ابن أبي نمر - قال : سمعت أنس بن مالك يقول : (ليلة أسري برسول الله ﷺ من مسجد الكعبة جاءه ثلاثة نفر قبل أن يوحى إليه وهو نائم في المسجد الحرام ، فقال أولهم : أيهم هو؟ فقال أوسطهم : هو خيرهم ، فقال آخرهم : خذوا خيرهم ، وكانت تلك الليلة فلم يرههم حتى أتوه ليلة أخرى فيما يرى قلبه وتنام عينه ولا ينام قلبه ، وكذلك الأنبياء تنام أعينهم ولا تنام قلوبهم ، فلم يكلموه حتى احتملوه فوضعوه عند بئر زمزم ، فتولاه منهم جبريل فشق جبريل ما بين نحره إلى لبتة حتى فرغ من صدره وجوفه ، فغسله من ماء زمزم بيده حتى أنقى جوفه ، ثم أتى بطست من ذهب محشو إيماناً وحكمة فحشا به صدره ولناديده - يعني عروق حلقه - ثم أطبقه .

ثم عرج به إلى السماء الدنيا فضرب باباً من أبوابها ، فناداه أهل السماء : من هذا؟ فقال : جبريل ، قالوا : ومن معك؟ قال : معي محمد . قالوا : وقد بعث؟ ، قال : نعم . قالوا : مرحباً به وأهلاً ، يستبشر به أهل السماء ، لا يعلم أهل السماء بما يريد الله به في الأرض حتى يعلمهم . ووجد في السماء الدنيا آدم فقال له جبريل : هذا أبوك آدم ، فسلم عليه ، فسلم عليه ، ورد عليه آدم وقال : مرحباً وأهلاً بابني ، نعم الابن أنت .

فإذا هو في السماء الدنيا بنهرين يطردان فقال : ما هذان النهران يا جبريل؟
قال : هذا النيل والفرات عنصرهما . ثم مضى به في السماء فإذا هو بنهر
آخر عليه قصر من لؤلؤ وزبرجد ، فضرب يده فإذا هو مسك أذفر ، فقال :
ما هذا يا جبريل؟ قال : هذا الكوثر الذي خبأ لك ربك .

ثم عرج به إلى السماء الثانية فقالت الملائكة له مثل ما قالت له الأولى :
من هذا؟ قال : جبريل . قالوا : ومن معك؟ قال : محمد . قالوا : وقد
بعث إليه؟ قال : نعم . قالوا : مرحباً وأهلاً .

ثم عرج به إلى السماء الثالثة فقالوا له مثل ما قالت الأولى والثانية ،
ثم عرج إلى السماء الرابعة فقالوا له مثل ذلك ، ثم عرج به إلى السماء
الخامسة فقالوا له مثل ذلك ، ثم عرج به إلى السماء السادسة فقالوا له مثل
ذلك ، ثم عرج به إلى السماء السابعة فقالوا له مثل ذلك ، كل سماء فيها
أنبياء قد سمّاهم ، فأوعيت منهم إدريس في الثانية ، وهارون في الرابعة ،
وآخر في الخامسة لم أحفظ اسمه ، وإبراهيم في السادسة ، وموسى في
السابعة بتفضيل كلام الله ، فقال موسى : رب لم أظن أن يرفع علي أحد .

ثم علا به فوق ذلك بما لا يعلمه إلا الله حتى جاء سدرة المنتهى ، ودنا
الجبار رب العزة فتدلّى حتى كان منه قاب قوسين أو أدنى فأوحى الله إليه
فيما أوحى خمسين صلاة كل يوم وليلة ، ثم هبط به حتى بلغ موسى ،
فاحتبسه موسى فقال : يا محمد ماذا عهد إليك ربك؟ قال : عهد إليّ
خمسين صلاة كل يوم وليلة ، قال : إن أمتك لا تستطيع ذلك ، فارجع

فليخفف عنك ربك وعنهم ، فالتفت النبي ﷺ إلى جبريل كأنه يستشير في ذلك ، فأشار إليه جبريل أن نعم إن شئت ، فذكر نحو ما تقدم .

قال العلماء : اضطرب شريك في هذا الحديث وساء حفظه ولم يضبطه

(الحديث الرابع)

٤- قال البزار : حدثنا سلمة بن شبيب ، حدثنا سعيد بن منصور ، حدثنا الحارث بن عبيد ، عن أبي عمران الجوني ، عن أنس بن مالك قال : قال رسول الله ﷺ : «بينا أنا قاعد إذ جاء جبريل عليه السلام فوكز^(١) بين كتفي ، فقامت إلى شجرة فيها كوكري^(٢) الطير ، فقعد في أحدهما ، وقعدت في الآخر ، فمتم وارتفعت حتى^(٣) سدت الخافقين وأنا أقلب طرفي ، ولو شئت أن أمس السماء لمست ، فالتفت فإذا جبريل كأنه جلس لأطى^(٤) ، فعرفت فضل علمه بالله علي ، وفتح لي باب من أبواب السماء فرأيت النور الأعظم وإذا دون الحجاب زفر الدر والياقوت ، وأوحى إلي ما شاء أن يوحى^(٥) .

قال الحافظ عماد الدين ابن كثير : إن صح هذا الحديث فهي واقعة غير واقعة الإسراء لأنه لم يذكر فيها بيت المقدس ولا الصعود إلى السماء^(٦) .

(١) «فوكز بين كتفي» : الوكز : الضرب بجمع الكف برفق .

(٢) «كوكري الطير» : تثنية وكز : وهو عش الطائر إن كان في جبل أو شجر ، والمراد هنا : بيتان شبيهان بعشه في الهيئة والوضع لا في المقدار .

(٣) «في سبل الهدى والرشاد» : للشامي ص ١٠٥ : «فتمت وارتفعت حتى سدت الخافقين» : أي زادت الشجرة وارتفعت . وفي تفسير ابن كثير ٩/٥ «فنشأت» أي : ارتفعت . وفي مجمع الزوائد ١/٧٥ «فسمت وارتفعت» .

(٤) «جلس لأطى» : المجلس : الكساء الذي يلي ظهر البعير تحت القتب ، ولأطى : أي لاصق والمراد أن جبريل عليه السلام لزم مكانه ، وكان مثله مثل الكساء الذي يلي ظهر البعير ، فهو ملتصق لا يفارقه .

(٥) مجمع الزوائد ١/٧٥ وقال الحافظ الهيثمي : رواه البزار والطبراني في الأوسط ، ورجاله رجال الصحيح . وفي الخصائص الكبرى للسيوطي ١/٣٩١ : أخرج الحديث ابن سعد ، وسعيد بن منصور في سننه ، والبزار ، والبيهقي ، وابن مردويه ، وابن عساكر

(٦) تفسير ابن كثير ٥/٧٥ . وقال ابن حجر في فتح الباري ٧/١٩٨ بعد أن ساق الحديث : «ورجاله لا بأس بهم إلا أن الدارقطني ذكر له علة تقتضي إرساله ، وعلى كل حال فهي قصة أخرى الظاهر أنها وقعت بالمدينة . . .» قلت : ولعل

السبب في قول الحافظ ابن كثير : «إن صح» هو وجود الحارث بن عبيد في سند الحديث ، وهو كما قال : أبو قدامه

الإريادي ، أخرج له مسلم في صحيحه ، إلا أن ابن معين ضعفه ، وقال : ليس هو بشيء . وقال الإمام أحمد : مضطرب

الحديث . وقال أبو حاتم الرازي : يكتب حديثه ولا يحتج به . وقال ابن حبان : كثر وهمه فلا يجوز الاحتجاج به إذا انفرد

وهذا الحديث من غرائب رواياته ، فإن فيه نكارة وغرابة ألفاظ وسياقاً عجيباً ، ولعله منام ، والله أعلم . اهـ مستو .

(الحديث الخامس)

٥- قال البيهقي في "الدلائل" : أخبرنا أبو الحسن بن عيدان ، أخبرنا أحمد بن عبيد الصفار ، حدثنا محمد بن إسماعيل الترمذي ، حدثنا أبو علي بن مقلاص ، حدثنا عبد الله بن وهب ، حدثني يعقوب بن عبد الرحمن الزهري ، عن أبيه عبد الرحمن ، عن هاشم بن هاشم بن هاشم بن عتبة بن أبي وقاص ، عن أنس بن مالك قال : لما جاء جبريل بالبراق إلى الرسول ﷺ فكأنها أصرت^(١) أذنيها ، فقال لها جبريل : مه يا براق فوالله إن ركبك^(٢) مثله ، فسار رسول الله ﷺ فإذا هو يعجوز على جنب الطريق ، فقال : ماهذه يا جبريل ؟ قال جبريل : سر يا محمد . فسار ما شاء الله أن يسير فإذا هو بشيء يدعوهُ متنحياً عن الطريق يقول : هلم يا محمد ، فقال له جبريل : سر يا محمد فسار ما شاء الله أن يسير . قال : فلقية خلق من الخلق فقالوا : السلام عليك يا أول ، السلام عليك يا آخر ، السلام عليك يا حاشر . فقال له جبريل : اردد السلام يا محمد . فرد السلام ، ثم لقية الثانية فقال له مثل مقالته الأولى ، ثم الثالثة كذلك ، حتى انتهى إلى بيت المقدس ، فعرض عليه الماء والخمر واللبن فتناول رسول الله ﷺ اللبن ، فقال له جبريل : أصبت الفطرة ولو شربت الماء لغرقت وغرقت أمتك ، ولو شربت الخمر لغويت وغوت أمتك . ثم بعث له آدم فمن دونه من الأنبياء ، فأمرهم رسول الله ﷺ تلك الليلة ، ثم قال له جبريل : أما

(١) «أَصْرَتْ أذْنِيهَا» : نصبتُهما وسوتُهما ، وأصل الصَّر : الجمع والشد .

(٢) «إِنْ رَكَبَكَ مِثْلُهُ» ما ركبك مثله .

العجوز التي رأيت على جنب الطريق فلم يبق من الدنيا إلا ما بقي من عمر
تلك العجوز ، وأما الذي أراد أن تميل إليه فذاك عدو الله إبليس أراد أن تميل
إليه ، وأما الذين سلموا عليك فإبراهيم وموسى وعيسى عليهم السلام) .
قال الحافظ ابن كثير : في بعض ألفاظه نكارة وغرابة .

(الحديث السادس)

٦- قال ابن أبي حاتم في "تفسيره": حدثني أبي ، حدثنا هشام بن عمار ، حدثنا خالد بن يزيد بن أبي مالك ، عن أبيه ، عن أنس بن مالك رضي الله عنه ، قال : لما كان ليلة أسري برسول الله ﷺ أتاه جبريل بداية فوق الحمار ودون البغل ، حملة جبريل عليها ، ينتهي خفها حيث ينتهي طرفها ، فلما بلغ بيت المقدس وبلغ المكان الذي يقال له «باب محمد» أتى إلى الحجر الذي ثمة ، فغمره جبريل بأصبعه فنفقه^(١) ثم ربطها ، ثم صعد ، فلما استويا في صرحة^(٢) المسجد ، قال جبريل : يا محمد هل سألت ربك أن يريك الحور العين؟ قال : نعم ، فقال : فانطلق إلى أولئك النسوة فسلم عليهن ، وهن جلوس عن يسار الصخرة . قال : (فأتيتهن فسلمت عليهن فرددن علي السلام ، فقلت : من أنتن؟ فقلن : نحن خيرات حسان ، نساء قوم أبرار ، نُقُوا فلم يدرنوا^(٣)) ، وأقاموا فلم يظعنوا ، وخلدوا فلم يموتوا . ثم انصرفت فلم ألبث إلا يسيراً حتى اجتمع ناسٌ كثير ثم أذن مؤذن وأقيمت الصلاة ، قال : فقمنا صفوفاً منتظرين من يؤمنا ، فأخذ بيدي جبريل عليه السلام فقدمني فصليت بهم ، فلما انصرفت قال جبريل : يا محمد أتدري من صلى خلفك؟ قال : قلت : لا . قال : صلى خلفك كل نبي بعثه الله .

قال : ثم أخذ بيدي جبريل فصعد بي إلى السماء فلما انتهينا إلى الباب

(١) كذا في جميع النسخ ، وفي تفسير ابن كثير ١١/٥ (فتحه)

(٢) «صرحة المسجد» : ساحته

(٣) «نقوا فلم يدرنوا» : أي طهروا فلم يتسخوا .

استفتح^(١) فقالوا : من أنت؟ قال : أنا جبريل ، قالوا : ومن معك؟ قال : محمد ، قالوا : وقد بعث؟ قال : نعم . ففتحوا له وقالوا : مرحباً بك وبمن معك . قال : فلما استوى على ظهرها إذا فيها آدم ، فقال لي جبريل : يا محمد ألا تسلم على أهلك آدم؟ قال : قلت : بلى فأتيته فسلمت عليه ، فرد عليّ وقال : مرحباً بابني والنبي الصالح .

قال : ثم عرج بي إلى السماء الثانية فاستفتح ، قالوا : من أنت؟ قال : جبريل ، قالوا : ومن معك؟ قال : محمد ، قالوا : وقد بعث؟ قال : نعم . قال : ففتحوا له وقالوا : مرحباً بك وبمن معك ، فإذا فيها عيسى وابن خالته يحيى عليهما السلام .

ثم عرج بي إلى السماء الثالثة ، فاستفتح ، قالوا : من أنت؟ قال : جبريل ، قالوا : ومن معك؟ قال : محمد ، قالوا : وقد بعث؟ قال : نعم . ففتحوا له وقالوا : مرحباً بك وبمن معك فإذا فيها يوسف ، ثم عرج بي إلى السماء الرابعة فاستفتح قالوا : من أنت؟ قال : جبريل ، قالوا : ومن معك؟ قال : محمد ، قالوا : وقد بعث؟ قال : نعم ففتحوا وقالوا : مرحباً بك وبمن معك فإذا فيها إدريس عليه السلام ، ثم عرج بي إلى السماء الخامسة فاستفتح ، قالوا : من أنت؟ قال : جبريل ، قالوا : ومن معك؟ قال : محمد ، قالوا : وقد بعث؟ قال : نعم ، ففتحوا وقالوا : مرحباً بك وبمن معك . فإذا فيها هارون ، ثم عرج بي إلى السماء السادسة فاستفتح فقالوا : من؟ قال : جبريل ، قالوا : ومن معك؟ قال : محمد ، قالوا :

(١) أى استفتح جبريل

وقد بعث؟ قال : نعم ، ففتحوا وقالوا مرحباً بك وبمن معك فإذا فيها موسى عليه السلام ، ثم عرج بي إلى السماء السابعة فاستفتح قالوا : من أنت؟ قال : جبريل ، قالوا ، ومن معك؟ قال : محمد ، قالوا : وقد بعث؟ قال : نعم ، ففتحوا وقالوا : مرحباً بك وبمن معك وإذا فيها إبراهيم عليه السلام ، فقال جبريل : يا محمد ألا تسلم على أبيك إبراهيم؟ فقلت : بلى ، فأتيته فسلمت عليه فرد السلام ، وقال : مرحباً بابني والنبي الصالح .

قال : ثم انطلق بي على ظهر السماء السابعة حتى انتهى إلى نهر عليه جام الياقوت واللؤلؤ والزبرجد وعليه طيرٌ خضراء نعم طير رأيت ، فقلت : يا جبريل إن هذا الطير لناعم ، فقال : يا محمد آكله أنعم منه ، ثم قال : يا محمد أتدري أي نهر هذا؟ قلت : لا ، قال : هذا الكوثر الذي أعطاك الله إياه فإذا فيه آنية الذهب والفضة يجري على رضراض^(١) من الياقوت والزمرد ، ماؤه أشد بياضاً من اللبن . قال : فأخذت من آنيته فاغترفت من ذلك الماء فشربت ، فإذا هو أحلى من العسل وأشد رائحةً من المسك ، ثم انطلق بي حتى انتهى إلى الشجرة فغشيتني سحابة فيها من كل لون فرفعني^(٢) جبريل وخررت ساجداً لله عز وجل ، فقال الله : يا محمد إني يوم خلقت السماوات والأرض فرضت عليك وعلى أمتك خمسين صلاة فقم بها أنت وأمتك . قال : ثم انجلت عني السحابة وأخذ بيدي جبريل فانصرفت سريعاً فأتيته على إبراهيم فلم يقل لي شيئاً ، ثم أتيت على موسى

(١) «رضراض» : الحصى الصغار .

(٢) كذا في جميع النسخ ، وفي تفسير ابن كثير ١٢/٥ «فرفضني» : أي تركني

فقال : ما صنعت يا محمد؟ فقلت : فرض ربي عليّ وعلى أمتي خمسين صلاةً . قال : فلن تستطيعها أنت ولا أمتك فارجع إلى ربك فاسأله أن يخفف عنك . فرجعت سريعاً حتى انتهيت إلى الشجرة فغشيتني السحابة ورفعتني جبريل وخررت ساجداً وقلت : رب إنك فرضت عليّ وعلى أمتي خمسين صلاةً وإنني لا أستطيعها أنا ولا أمتي فخفف عنا ، قال : قد وضعت عنكم عشراً ، قال : ثم انجلت عني السحابة وأخذ بيدي جبريل وانصرفنا سريعاً حتى أتيت على إبراهيم فلم يقل شيئاً ، ثم أتيت على موسى فقال لي : ما صنعت يا محمد؟ فقلت : وضع عني ربي عشراً قال : أربعون صلاةً ، قال : لن تستطيعها أنت ولا أمتك فارجع إلى ربك فاسأله أن يخفف عنكم) ، فذكر الحديث كذلك إلى خمس صلوات وخمس بخمسين ، ثم أمره موسى أن يرجع فيسأل التخفيف . فقلت : (إنني قد استحييت منه تعالى).

قال : ثم انحدر فقال رسول الله ﷺ لجبريل : (ما لي لم آت أهل سماء إلا رحبوا بي وضحكوا إليّ غير رجل واحد فسلمت عليه فرد عليّ السلام ورحب بي ولم يضحك إليّ؟ قال : يا محمد ذاك مالك خازن جهنم لم يضحك منذ خُلِقَتْ^(١) ولو ضحك إلى أحد لضحك إليك .

قال : ثم ركب منصرفاً) ، فبينما هو في بعض طريقه مرّ بغير لقريش تحمل طعاماً ، منها جمل عليه غرارتان : غرارة^(٢) سوداء وغرارة بيضاء ،

(٢) «غرارة» : قرية .

(١) أي منذ خُلِقَتْ النار

فلما حاذى بالغير نفرت منه واستدارت وصرع ذلك البعير وانكسر ، ثم إنه مضى فأصبح فأخبر عما كان ، فلما سمع المشركون قوله أتوا أبابكر فقالوا : يا أبابكر هل لك في صاحبك يخبر أنه أتى في ليلته هذه مسيرة شهر ثم رجع في ليلته ، فقال أبوبكر : إن كان قاله فقد صدق ، وإنا لنصدقك فيما هو أبعد من هذا ، نصدقك على خبر السماء .

فقال المشركون لرسول الله ﷺ : ما علامة ما تقول؟ قال : مررت بغير لقريش وهي في مكان كذا وكذا ، فنفرت الإبل واستدارت ، وفيها بعير عليه غرارتان : غرارة سوداء وغرارة بيضاء فصرع فانكسر ، فلما قدمت العير سألوهم فأخبروهم الخبر على مثل ما حدثهم عليه رسول الله ﷺ ، ومن ذلك سمي أبوبكر الصديق .

وسألوهم فقالوا : هل كان فيمن حضر معك عيسى وموسى؟ قال : نعم ، قالوا : فصفهم؟ قال : نعم ، أما موسى فرجل آدم كأنه من رجال أزد عمان ، وأما عيسى فرجل ربعة يعلوه حمرة كأنما يتحادر من شعره الجمان» (١) .

قال ابن كثير : هذا سياق فيه غرائب عجيبة .

(١) «الجمان» : اللؤلؤ .

(الحديث السابع)

٧- قال أحمد في "مسنده" : حدثنا عفان ، حدثنا همام ، سمعت قتادة يحدث عن أنس بن مالك ، أن مالك بن صعصعة حدثه ، أن نبي الله ﷺ حدثهم عن ليلة أسري به قال : «بينما أنا في الحطيم - وربما قال قتادة في الحجر - مضطجعاً إذ أتاني آت فجعل يقول لصاحبه : الأوسط^(١) من الثلاثة قال : فأتى : فقد (وسمعت قتادة يقول : فشق)^(٢) ما بين هذه إلى هذه . (وقال قتادة : فقلت للجارود وهو إلى جنبي : ما يعني؟ قال : من ثغرة نحره إلى شعرته ، وسمعته يقول : من قصته^(٣) إلى شعرته) . قال : فاستخرج قلبي فأتيت بطست من ذهب مملوءة إيماناً وحكمة فغسل قلبي ثم جشني ، ثم أعيد ، ثم أتيت بدابة دون البغل وفوق الحمار أبيض (قال : فقال الجارود : وهو البراق يا أبا حمزة؟ قال : نعم) يضع^(٤) خطوه عند أقصى طرفه . قال : فحملت عليه فانطلق بي جبريل حتى أتى بي السماء الدنيا فاستفتح ، فقليل : من هذا؟ قال : جبريل ، قيل : ومن معك؟ قال : محمد ، قيل : أو قد أرسل إليه؟ قال : نعم ، فقليل : مرحباً به ونعم المجيء جاء . قال : ففتح فلما خلصت فإذا فيها آدم عليه السلام قال : هذا أبوك

(١) في تفسير ابن كثير ١٣/٥ «الأوسط بين الثلاثة» .

(٢) ما بين القوسين سقط من النسخ المخطوطة ، وأثبتته من المسند ٢٠٨/٤ - ٢١٠ .

(٣) «قصته» كذا في المسند ٢٠٨/٤ ولعلها «قصه» والقص : عظم الصدر ، وفي النهاية : لابن

الأثير ٣/٣٩٠ : «أتاني آت فقد من قصي إلى شعرتي» .

(٤) في «ب» والمسند ٢٠٨/٤ «يقع» .

آدم فسلم عليه ، فسلمت عليه ، فرد السلام ، ثم قال : مرحباً بالابن الصالح والنبى الصالح .

ثم صعد حتى أتى السماء الثانية فاستفتح ، فقبل : من هذا؟ قال : جبريل ، قيل : ومن معك؟ قال : محمد ، قيل : أوقد أرسل إليه؟ قال : نعم ، قيل : مرحباً به ونعم المجيء جاء ، قال : ففتح فلما خلصت فإذا يحيى وعيسى وهما ابنا الخالة . قال : هذا يحيى وعيسى فسلم عليهما ، قال : فسلمت ، فردا السلام ، ثم قال : مرحباً بالأخ الصالح والنبى الصالح .

ثم صعد حتى أتى السماء الثالثة فاستفتح فقبل : من هذا؟ قال : جبريل . قيل : ومن معك؟ قال : محمد . قيل : أوقد أرسل إليه؟ قال : نعم ، قيل : مرحباً به ونعم المجيء جاء ، ففتح فلما خلصت فإذا يوسف عليه السلام فسلمت عليه ، فرد السلام ، ثم قال : مرحباً بالأخ الصالح والنبى الصالح .

ثم صعد حتى أتى السماء الرابعة فاستفتح ، قيل : من هذا؟ قال : جبريل ، قيل : ومن معك؟ قال : محمد ، قيل : أوقد أرسل إليه؟ قال : نعم ، قيل : مرحباً به ونعم المجيء جاء ، ففتح فلما خلصت فإذا إدريس . قال : هذا إدريس فسلم عليه ، فسلمت عليه ، فرد السلام ، ثم قال : مرحباً بالأخ الصالح والنبى الصالح .

ثم صعد حتى أتى السماء الخامسة فاستفتح ، فقبل : من هذا؟ قال :

جبريل ، قيل : ومن معك؟ قال : محمد ، قيل : أوقد أرسل إليه؟ قال :
نعم ، قيل : مرحباً به ونعم المجيء جاء ، ففتح فلما خلصت فإذا هارون .
قال : هذا هارون فسلم عليه ، فسلمت عليه ، فرد السلام ، ثم قال :
مرحباً بالأخ الصالح والنبى الصالح .

ثم صعد حتى أتى السماء السادسة فاستفتح فقيل : من هذا؟ قال :
جبريل ، قيل : ومن معك؟ قال : محمد ، قيل أوقد أرسل إليه؟ قال : نعم
، قيل : مرحباً به ونعم المجيء جاء ، ففتح فلما خلصت فإذا أنا بموسى .
قال : هذا موسى فسلم عليه ، قال : فسلمت عليه فرد السلام ، ثم قال :
مرحباً بالأخ الصالح والنبى الصالح ، قال : فلما تجاوزت بكى ، فقيل له :
ما يبكيك؟ قال : أبكي لأن غلاماً بعث بعدي يدخل الجنة من أمته أكثر ممن
يدخلها من أمتي .

ثم صعد حتى انتهى إلى السماء السابعة فاستفتح ، قيل : من هذا؟
قال : جبريل ، قيل : ومن معك؟ قال : محمد ، قيل : أوقد أرسل إليه؟
قال : نعم ، قيل : مرحباً به ونعم المجيء جاء ، ففتح ، فلما خلصت فإذا
بإبراهيم قال : هذا إبراهيم فسلم عليه قال : فسلمت عليه فرد السلام ، ثم
قال : مرحباً بالابن الصالح والنبى الصالح .

قال : ثم رفعت إلى سدرة المنتهى ، وإذا أربعة أنهار : نهران باطنان
ونهران ظاهران ، فقلت : وما هذا يا جبريل ؟ قال : أما الباطنان فنهران في
الجنة ، وأما الظاهران فالنيل والفرات .

قال : ثم رفع لي البيت المعمور . (قال قتادة : وحدثني الحسن ، عن أبي هريرة عن النبي ﷺ : أنه رأى البيت المعمور يدخله كل يوم سبعون ألف ملك ثم لا يعودون فيه . ثم رجع إلى حديث أنس قال :) ثم أتيت بإناء من خمر وإناء من لبن وإناء من عسل قال : فأخذت اللبن ، قال : (هذه الفطرة أنت عليها وأمتك ثم فرضت الصلاة) فذكر نحو ما تقدم أخرجه الشيخان .

(الحديث الثامن)

٨- قال البيهقي : أخبرنا أبو عبد الله (محمد بن عبد الله) الحافظ ،
حدثنا أبو العباس (محمد بن يعقوب) حدثنا أبو بكر يحيى بن أبي طالب ،
حدثنا عبد الوهاب بن عطاء ، حدثنا أبو محمد الحماني ، عن أبي هارون
العبدى ، عن أبي سعيد الخدرى رضى الله عنه ، عن النبي ﷺ أنه قال :
«بينا أنا نائمٌ عشاءً في المسجد الحرام ، إذ أتاني آت فأيقظني فاستيقظت فلم
أر شيئاً ، وإذا أنا بهيئة خيال فأتبعته بصري حتى خرجت من المسجد ، فإذا
أنا بدابة أدنى شبهة بدوابكم هذه . بغالكم هذه مضطرب الأذنين يقال له :
البراق وكانت الأنبياء تركبه قبلي ، يضع حافره عند مد بصره ، فركبته .
فبينما أنا أسير عليه ، إذ دعاني داع عن يميني : يا محمد ، انظرني أسألك ،
فلم أجبه (ولم أقم عليه) . فبينما أنا أسير عليه ، إذ دعاني داع عن يساري :
يا محمد ، انظرني أسألك . فلم أجبه (ولم أقم عليه) . فبينما أنا أسير عليه
إذا أنا بامرأة حاسرة عن ذراعيها ، وعليها من كل زينة خلقها الله ، فقالت :
يا محمد ، انظرني أسألك ، فلم ألتفت إليها ، ولم أقم عليها ، حتى أتيت
بيت المقدس فأوثقت دابتي بالحلقة التي كانت الأنبياء توثقها به . أتاني
جبريل بإناءين : أحدهما خمر ، والآخر لبن ، فشربت اللبن وتركت الخمر ،
فقال جبريل : أصبت الفطرة . فقلت : الله أكبر ، الله أكبر . فقال جبريل :
ما رأيت في وجهك هذا؟^(١) فقلت : بينما أنا أسير إذ دعاني داع عن يميني :
يا محمد ، انظرني أسألك ، فلم أجبه ولم أقم عليه قال : ذاك داعي

(١) يعنى : ماذا رأيت فى هذه الجهة والناحية ؟ .

اليهود ، أما إنك لو أحببته لتهودتْ أمتك : قال : وبينما أنا أسير إذ دعاني داعٍ عن يساري ، فقال : يا محمد ، انظرني أسألك ، فلم ألتفت إليه ولم أقم عليه قال : ذاك داعي النصارى ، أما إنك لو أحببته لتنصرت أمتك . وبينما أنا أسير إذا أنا بامرأة حاسرة عن ذراعيها ، عليها من كل زينة خلقها الله ، تقول : يا محمد ، انظرني حتى أسألك ، فلم أجبها ولم أقم عليها قال : تلك الدنيا ، أما إنك لو أحببتها لاختارت أمتك الدنيا على الآخرة . ثم دخلت أنا وجبريل بيت المقدس فصلى كل واحد منا ركعتين .

ثم أتيت بالمعراج الذي تعرج عليه أرواح بني آدم ، فلم ير الخلائق أحسن من المعراج ، أما رأييت الميت حين يشق بصره طامحاً إلى السماء فإن ذلك عجبُه بالمعراج . قال : فصعدت أنا وجبريل فإذا أنا بملك يقال له : إسماعيل ، وهو صاحب سماء الدنيا ، وبين يديه سبعون ألف ملك ، مع كل ملك جنده مائة ألف ملك ، قال : وقال الله تعالى : (وما يعلم جنود ربك إلا هو) ^(١) . قال : فاستفتح جبريل باب السماء ، قيل : من هذا؟ قال : جبريل . قيل : ومن معك؟ قال : محمد ، قيل : أوقد بعث إليه؟ قال : نعم . فإذا أنا بآدم كهيبته يوم خلقه الله على صورته ، تعرض عليه أرواح ذريته المؤمنين ، فيقول : روحٌ طيبةٌ ونفسٌ طيبةٌ اجعلوها في عليين ، ثم تعرض عليه أرواح ذريته الفجار ، فيقول : روحٌ خبيثةٌ ونفسٌ خبيثةٌ اجعلوها في سجين .

ثم مضيت هنيئةً فإذا أنا بأخونة ^(٢) عليها لحم مشرح ليس يقربه أحد ،

(١) المدثر : ٣١ (٢) «أخونة» : جمع حوان ، وهو المائدة التي يؤكل عليها .

وإذا أنا بأخونة أخرى عليها لحم قد أروح وتن ، عندها أناس يأكلون منها ،
فقلت : يا جبريل ، من هؤلاء؟ قال : هؤلاء قوم من أمتك يتركون الحلال
ويأتون الحرام .

قال : ثم مضيت هنيئة فإذا أنا بأقوام بطونهم أمثال البيوت كلما نهض
أحدهم خر يقول : اللهم لا تُقم الساعة ، قال : وهم على سابلة آل فرعون ،
قال : فتجيء السابلة فتطوهم ، فسمعتهم يضجون إلى الله تعالى ، قال :
قلت : يا جبريل من هؤلاء؟ قال : هؤلاء من أمتك الذين يأكلون الربا لا
يقومون إلا كما يقوم الذي يتخبطه الشيطان من المس^(١) .

قال : ثم مضيت هنيئة فإذا أنا بأقوام مشافرههم كمشافر الإبل ، فيفتح
على أفواههم ، ويلقمون من ذلك الجمر ، ثم يخرج من أسافلهم .
فسمعتهم يضجون إلى الله تعالى ، قلت : يا جبريل ، من هؤلاء؟ قال :
هؤلاء من أمتك الذين يأكلون أموال اليتامى ظلماً إنما يأكلون في بطونهم
ناراً وسيصلون سعيراً^(٢) .

قال : ثم مضيت هنيئة ، فإذا أنا بنساء معلقات بثديهن فسمعتهن
يضجن إلى الله تعالى ، قلت : يا جبريل ، من هؤلاء النساء؟ قال :
هؤلاء الزناة من أمتك .

قال : ثم مضيت هنيئة ، فإذا أنا بأقوام يقطع من جنوبهم اللحم
فيلقونه ، فيقال له : كُلْ كما كنت تأكل من لحم أخيك . قلت : يا جبريل
من هؤلاء؟ قال : هؤلاء الهمازون من أمتك اللمازون .

(١) البقرة : ٢٧٥ . (٢) النساء : ١٠ .

قال : ثم صعدنا إلى السماء الثانية ، فإذا برجل أحسن ما خلق الله قد فضل الناس بالحسن كالقمر ليلة البدر على سائر الكواكب ، قلت : يا جبريل من هذا؟ قال : هذا أخوك يوسف ومعه نفرٌ من قومه ، فسلمت عليه وسلم علي .

ثم صعدت إلى السماء الثالثة فإذا أنا بيحيى وعيسى ابني الخالة ، ومعهما نفرٌ من قومهما ، فسلمت عليهما وسلمما علي .

ثم صعدت إلى السماء الرابعة ، فإذا أنا بإدريس قد رفعه الله مكاناً علياً فسلمت عليه وسلم علي .

ثم صعدت إلى السماء الخامسة فإذا أنا بهارون ، ونصف خيته ييضاء ونصفها سوداء ، تكاد خيته تضيب سُرته من طولها ، قلت : يا جبريل من هذا؟ قال : هذا المحب في قومه ، هذا هارون بن عمران ومعه نفرٌ من قومه ، فسلمت عليه وسلم علي .

ثم صعد بي إلى السماء السادسة فإذا أنا بموسى بن عمران رجل آدم كثير الشعر ، لو كان عليه قميصان لنفذ شعره دون القميص ، وإذا هو يقول : يزعم الناس أنني أكرم على الله من هذا ، بل هذا أكرم على الله مني . قال : قلت : يا جبريل من هذا؟ قال : هذا أخوك موسى بن عمران ومعه نفرٌ من قومه ، فسلمت عليه وسلم علي .

ثم صعدت إلى السماء السابعة فإذا أنا بأبينا إبراهيم خليل الرحمن ، سائداً ظهره إلى البيت المعمور كأحسن الرجال ، قلت : يا جبريل من هذا؟

قال : هذا أبوك خليل الرحمن ومعه نفر من قومه ، فسلمت عليه وسلم عليّ ، وإذا أنا بأمتي شطرين : شطر عليهم ثيابٌ بيض كأنها القراطيس ، وشرط عليهم ثيابٌ رُمْدٌ ، قال : فدخلت البيت المعمور ، ودخل معي الذين عليهم الثياب البيض ، وجنّب الآخرون الذين عليهم ثيابٌ رُمْدٌ ، وهم على خيرٍ ، وصليت أنا ومن معي في البيت المعمور ، ثم خرجت أنا ومن معي ، قال : والبيت المعمور يصلي فيه كل يوم سبعون ألف ملك لا يعودون فيه إلى يوم القيامة .

ثم رُفعت إلى سدرة المنتهى ، فإذا كل ورقة منها يكاد تغطي هذه الأمة ، وإذا فيها عينٌ تجري يقال لها : سلسبيل ، فيُشَقُّ منها نهران : أحدهما الكوثر ، والآخر يقال له : نهر الرحمة ، فاغتسلت فيه فغفر لي ما تقدم من ذنبي وما تأخر .

ثم إنني رُفعت إلى الجنة فاستقبلتني جاريةٌ ، فقلت : لمن أنت يا جارية؟ قالت : لزيد بن حارثة ، وإذا أنا بأنهار من ماءٍ غير آسن ، وأنهارٍ من لبنٍ لم يتغير طعمه ، وأنهار من خمرٍ لذة للشاربين ، وأنهار من عسل مصفى ، وإذا رمانها كأنها الدلاء عظمًا ، وإذا بطيرها كأنها بُخْتِيكُم^(١) هذه ، فقال عندها ﷺ : إن الله قد أعد لعباده الصالحين ما لا عين رأت ، ولا أذن سمعت ، ولا خطر على قلب بشر .

قال : ثم عُرِضَت علي النار فإذا فيها غضب الله وزجره ونقمته ، لو

(١) «بُخْتِيكُم» : البختي : جمل طويل العنق ، ويقال أيضا للبعير الحرساني ذى السنامين .

طرحت فيها الحجارة والحديد لأكلتها ، ثم أغلقت دوني .

ثم رفعت إلى سدرۃ المنتهى ، فغشاني^(١) فكان بيني وبينه قاب قوسين أو أدنى ، قال : ونزل على كل ورقة ملكٌ من الملائكة ، وفُرضت علي خمسون .

فذكر مراجعته بين موسى وربه ، ثم أصبح بمكة يخبرهم بالعجائب ، إني أتيت البارحة بيت المقدس وعرج بي إلى السماء ورأيت كذا وكذا ، فقال أبو جهل - يعني ابن هشام - : ألا تعجبون مما يقول محمد؟ يزعم أنه أتى البارحة بيت المقدس ، ثم أصبح فينا وأحدنا يضرب مطيته مصعده شهراً ومنقلبه شهراً ، فهذا مسيرة شهرين في ليلة واحدة! قال : فأخبرهم بغير لقريش لما كانت في مصعدي رأيتها في مكان كذا وكذا ، وأنها نفرت فلما رجعت رأيتها عند العقبة ، وأخبرهم بكل رجل وبغيره كذا وكذا ، ومتاعه كذا وكذا ، فقال رجل من المشركين : أنا أعلم الناس ببيت المقدس ، وكيف بناؤه ، وكيف هيئته ، وكيف قربه من الجبل ، قال : فرفع لرسول الله ﷺ بيت المقدس من مقعده فنظر إليه كنظر أحدنا إلى بيته ، بناؤه كذا وكذا وهيئته كذا وكذا ، وقربه من الجبل كذا وكذا ، فقال : صدقت^(٢) .

(١) هكذا في الأصل ولعله سقطت كلمة (نورها) .
(٢) في سنده أبو هارون العبدى وهو تابعى متكلم فيه وهو متروك الحديث ، لذلك قال ابن كثير رحمه الله تعالى : وإنما سقناه ههنا لما فى حديثه من الشواهد لغيره .

(الحديث التاسع)

٩- قال البيهقي : حدثنا أبو سعد الماليني ، حدثنا ابن عدي ، حدثنا محمد بن الحسن السكوني ، حدثنا علي بن سهل ، حدثنا حجاج ، حدثنا أبو جعفر الرازي ، عن الربيع بن أنس ، عن أبي العالية الرياحي ، أو غيره ، عن أبي هريرة ، قال : جاء جبريل إلى النبي ﷺ ومعه ميكائيل ، فقال جبريل لميكائيل : ائتني بطست من ماء زمزم كيما أطهر قلبه ، وأشرح له صدره ، قال : فشق عنه بطنه فغسله ثلاث مرات ، واختلف إليه ميكائيل بثلاث طساس^(١) من ماء زمزم ، فشرح صدره ، ونزع ما كان فيه من غل ، وملاه حليماً وعلماً ، وإيماناً و يقيناً وإسلاماً ، وختم بين كتفيه بخاتم النبوة .

ثم أتاه بفرسٍ فحمل عليه ، كل خطوة منه منتهى بصره ، أو أقصى بصره ، فسار وسار معه جبريل ، فأتى على قوم يزرعون في يومٍ ويحصدون في يوم ، كلما حصدوا عاد كما كان ، فقال : يا جبريل ، من هؤلاء؟ قال : هؤلاء المجاهدون في سبيل الله ، تضاعف لهم الحسنات بسبعمائة ضعف ، وما أنفقوا من شيء فهو يخلفه .

ثم أتى على قومٍ ترسخ رؤوسهم بالصخر ، كلما رضخت عادت كما كانت ، ولا يفتر عنهم من ذلك شيء ، قال : يا جبريل : من هؤلاء؟ قال : هؤلاء الذين تناقلت رؤوسهم عن الصلاة المكتوبة .

(١) «طساس» : جمع طست .

ثم أتى على قوم على أقبالهم رقاعٌ ، وعلى أدبارهم رقاعٌ ، يشرحون
كما تشرح الإبل والغنم ، ويأكلون الضريع والزقوم ورضف جهنم
وحجارتها ، قال : من هؤلاء يا جبريل ؟ قال : هؤلاء الذين لا يؤدُّون
صدقات أموالهم ، وما ظلمهم الله شيئاً ، وما الله بظلام للعبيد .

ثم أتى على قوم بين أيديهم لحمٌ نضيج في قدورٍ ، ولحم آخر نيءٌ
خبث ، فجعلوا يأكلون من النيء الخبيث ويدعون النضيج الطيب ، قال :
يا جبريل من هؤلاء ؟ قال : الرجل من أمتك يقوم من عند امرأته حلالاً فيأتي
المرأة الخبيثة ، فيبيت معها حتى يصبح ، والمرأة تقوم من عند زوجها حلالاً
طيباً فتأتي الرجل الخبيث فتبيت عنده حتى تصبح .

ثم أتى على خشبة في الطريق لا يمر بها ثوبٌ إلا شقته ، ولا شيء إلا
خرقته ، قال : ما هذا يا جبريل ؟ قال : هذا مثل أقوام من أمتك ، يقعدون
على الطريق فيقطعونه ، ثم تلا : (ولا تقعدوا بكل صراطٍ توعدون) (١)

ثم أتى على رجل قد جمع حزمة عظيمة لا يستطيع حملها ، وهو يزيد
عليها ، فقال : ما هذا يا جبريل ؟ قال : هذا الرجل من أمتك يكون عليه
أمانات الناس لا يقدر على أدائها ، وهو يريد أن يحمل عليها .

ثم أتى على قوم تُقرض ألسنتهم وشفاههم بمقاريض من حديد ، كلما
قرضت عادت كما كانت لا يفتر عنهم من ذلك شيء قال : من هؤلاء
يا جبريل ؟ قال : خطباء الفتنة .

ثم أتى على جحر صغير يخرج منه ثور عظيم ، فيريد الثور أن يدخل من حيث خرج فلا يستطيع ، فقال : ما هذا يا جبريل ؟ قال : هذا الرجل يتكلم بالكلمة العظيمة فيندم عليها ، فلا يستطيع أن يردّها .

ثم أتى على واد فوجد ريحاً طيبةً باردةً ، وريح مسك ، وسمع صوتاً ، فقال : يا جبريل ما هذه الريح الطيبة الباردة وريح المسك وما هذا الصوت ؟ قال : هذا صوت الجنة ، تقول : يارب ائتني بما وعدتني فقد كثرت غرفي وإستبرقي وحزيري وسندسي وعبقري ومرجاني وفضتي وزهبي وأكوابي وصحافي وأباريقي وعسلي ومائي وخمري ولبني ، فأنتي ما وعدتني ، فقال : لك كل مسلم ومسلمة ، ومؤمن ومؤمنة ، ومن آمن بي وبرسلي وعمل صالحاً ولم يشرك بي ولم يتخذ من دوني أنداداً ، ومن خشيني فهو آمن ، ومن سألني أعطيته ، ومن أقرضني جزيته ، ومن توكل علي كفيته ، إني أنا الله لا إله إلا أنا لا أخلف الميعاد ، وقد أفلح المؤمنون ، وتبارك الله أحسن الخالقين ، قالت : رضيت .

ثم أتى على واد فسمع صوتاً منكراً ، ووجد ريحاً منتنةً ، فقال : ما هذه الريح يا جبريل : وما هذا الصوت ؟ قال : هذا صوت جهنم تقول : يارب ائتني بما وعدتني ، فقد كثرت سلاسل وأغلال وسعيري وحميمي وضريعي وغساقى وعذابى ، وقد بعد قعري ، واشتد حرّي ، فأنتي ما وعدتني ، قال : لك كل مشرك ومشركة ، وخبيث وخبيثة ، وكل جبار لا يؤمن بيوم الحساب ، قالت : رضيت .

قال : ثم سار حتى أتى بيت المقدس فنزل ، فربط فرسه إلى صخرة ،
ثم دخل فصلى مع الملائكة ، فلما قضيت الصلاة قالوا : يا جبريل من هذا
معك؟ قال : هذا محمد رسول الله خاتم النبيين ، قالوا : وقد أرسل إليه؟
قال : نعم ، قالوا : حياه الله من أخ وخليفة فنعم الأخ ونعم الخليفة ونعم
المجيء جاء .

ثم لقي أرواح الأنبياء فأثنوا على ربهم ، فقال إبراهيم عليه السلام :
الحمد لله الذي اتخذني خليلاً ، وأعطاني ملكاً عظيماً ، وجعلني أمةً قانتاً
يؤتمُّ بي وأنقذني من النار ، وجعلها عليّ برداً وسلاماً . ثم إن موسى عليه
السلام أثنى على ربه فقال : الحمد لله الذي كلمني تكليماً ، واصطفاني
وأنزل عليّ التوراة ، وجعل هلاك فرعون ونجاة بني إسرائيل على يدي ،
وجعل من أمتي قوماً يهدون بالحق وبه يعدلون . ثم إن داود عليه السلام
أثنى على ربه فقال : الحمد لله الذي جعل لي ملكاً عظيماً وعلمني الزبور ،
والآن لي الحديد ، وسخر لي الجبال يسبحن معي والطيور وآتاني الحكمة
وفصل الخطاب . ثم إن سليمان عليه السلام أثنى على ربه فقال : الحمد لله
الذي سخر لي الريح ، وسخر لي الشياطين يعملون ما شئت من محاريب
وتمائيل وجفان كالجواب^(١) وقدور راسيات ، وعلمني منطق الطير ، وآتاني
من كل شيء فضلاً ، وسخر لي جنود الشياطين والإنس والطيور ، وفضلني
على كثير من عباده المؤمنين ، وآتاني ملكاً عظيماً لا ينبغي لأحد من بعدي ،

(١) «الجوابي» : الحياض الكبيرة ؛ سميت بذلك ، لأن الماء يُجبي فيها ، أي : يُجمع .

وجعل ملكي ملكاً طيباً ليس فيه حساب . ثم إن عيسى عليه السلام أثنى على ربه فقال : الحمد لله الذي جعلني كلمته ، وجعل مثلي مثل آدم خلقه من تراب ثم قال له : كن فيكون ، وعلمني الكتاب والحكمة والتوراة والإنجيل ، وجعلني أخلق من الطين كهيئة الطير فأنفخ فيه فيكون طيراً بإذن الله ، وجعلني أبرىء الأكمه والأبرص وأحيي الموتى بإذن الله ، ورفعني وطهرني وأعاذني وأمي من الشيطان الرجيم ، فلم يكن للشيطان علينا سبيل .

قال : ثم إن محمداً ﷺ أثنى على ربه فقال : كلكم أثنى على ربه ، وإني مثنٍ على ربي ، الحمد لله الذي أرسلني رحمة للعالمين ، وكافة للناس بشيراً ونذيراً ، وأنزل عليّ الفرقان فيه بيان لكل شيء ، وجعل أمي خير أمة أخرجت للناس ، وجعل أمي أمة وسطاً ، وجعل أمي هم الأولين ، وهم الآخرين ، وشرح لي صدري ، ووضع عني وزري ، ورفع لي ذكري ، وجعلني فاتحاً وخاتماً . قال أبو جعفر الرازي : خاتم للنبوّة ، فاتح للشفاعة يوم القيامة .

ثم أتى بآية ثلاثة مغطاة أفواهها ، فأتي بإناء منها فيه ماء ، فقيل : اشرب منه ، فشرب منه يسيراً ، ثم دفع إليه إناء آخر فيه لبن فقيل له : اشرب منه ، فشرب منه يسيراً ، ثم دفع إليه إناء آخر فيه خمر ، فقيل له : اشرب ، فقال : لا أريده قد رويت ، فقال له جبريل : أما إنها ستحرم على أمتك ، ولو شربت منها لم يتبعك من أمتك إلا قليل .

ثم صعد به إلى السماء الدنيا فاستفتح ، قيل : من هذا؟ قال : جبريل ،
قيل : ومن معك؟ قال : محمد ، قالوا : وقد أرسل إليه؟ قال : نعم ،
قالوا : حياه الله من أخ وخليفة ، فنعم الأخ ونعم الخليفة ، ونعم المجيء
جاء ، فدخل فإذا هو برجل تام الخلق لم ينقص من خلقه شيء كما ينقص
من خلق الناس ، على يمينه باب يخرج منه ريح طيبة ، وعلى شماله باب
يخرج منه ريح خبيثة ، إذا نظر إلى الذي عن يمينه ضحك واستبشر ، وإذا
نظر إلى الباب الذي عن يساره بكى وحزن ، فقال : من هذا الشيخ؟ وما
هذان البابان؟ قال : هذا أبوك آدم ، وهذا الباب الذي عن يمينه باب الجنة إذا
نظر إلى من يدخله من ذريته ضحك واستبشر ، وهذا الباب الذي عن شماله
باب جهنم إذا نظر إلى من يدخله من ذريته بكى وحزن .

ثم صعد به جبريل إلى السماء الثانية فاستفتح ، فقيل : من هذا؟
فقال : جبريل ، قالوا : ومن معك؟ قال : محمد رسول الله ، قالوا : وقد
أرسل إليه؟ قال : نعم ، قالوا : حياه الله من أخ وخليفة ، فنعم الأخ ونعم
الخليفة ، ونعم المجيء جاء ، فدخل فإذا هو بشاين ، فقال : يا جبريل ،
من هذان الشابان؟ قال : عيسى ابن مريم ويحيى بن زكريا ابنا الخالة .

فصعد به إلى السماء الثالثة فذكر مثل ذلك وقولهم له : نعم الأخ
ونعم الخليفة ، وأنه لقي في الثالثة يوسف ، والرابعة إدريس ، والخامسة
هارون ، والسادسة موسى .

ثم صعد به إلى السماء السابعة ، فإذا برجل أشمط^(١) جالس عند باب الجنة على كرسي ، وعنده قوم جلوس ، بيض الوجوه أمثال القراطيس ، وقوم في ألوانهم شيء فدخلوا نهراً فاغتسلوا فيه فخرجوا قد خلص من ألوانهم شيء ، ثم دخلوا نهراً آخر فاغتسلوا فيه فخرجوا مثل ألوان أصحابهم . فقال : يا جبريل من هذا الأشمط؟ ثم من هؤلاء البيض الوجوه؟ ومن هؤلاء الذين في ألوانهم شيء؟ وما هذه الأنهار؟ قال : هذا أبوك إبراهيم أول من شمت على الأرض ، وهؤلاء البيض الوجوه قوم لم يلبسوا إيمانهم بظلم ، أما هؤلاء الذين في ألوانهم شيء فقوم خلطوا عملاً صالحاً وآخر سيئاً فتأبوا فتاب الله عليهم ، وأما الأنهار فأولها رحمة الله ، والثاني نعمة الله ، والثالث سقايم ربهم شراباً طهوراً .

ثم انتهى إلى السدرة ، فقليل له : هذه السدرة ينتهي إليها كل أحد من أمتك على سبيلك^(٢) ، فإذا هي شجرة يخرج من أصلها أنهار من ماء غير آسن ، وأنهار من لبن لم يتغير طعمه ، وأنهار من خمر لذة للشاربين ، وأنهار من غسل مصفى ، وهي شجرة يسير الراكب في ظلها سبعين عاماً لا يقطعها ، والورقة منها مغطية للأمة كلها ، فغشيتها نور الخلاق وغشيتها الملائكة أمثال الغربان حين يقعن على الشجر ، فكلمه تعالى عند ذلك فقال له : سل ، فقال : إنك اتخذت إبراهيم خليلاً ، وأعطيته ملكاً عظيماً ، وكلمت موسى تكليماً ، وأعطيت داود ملكاً عظيماً ، وألنت له الحديد ،

(١) «أشمط» : أشيب ، والشمط : بياض الرأس يخالطه سواد .

(٢) في تفسير ابن كثير ٣٥ / ٥ «على سبيلك» .

وسخرت له الجبال ، وأعطيت سليمان ملكاً عظيماً ، وسخرت له الجن والإنس والشياطين ، وسخرت له الرياح ، وأعطيته ملكاً لا ينبغي لأحد من بعده ، وعلمت عيسى التوراة والإنجيل ، وجعلته يبرئ الأكمه والأبرص ويحيي الموتى بإذنك ، وأعدته وأمه من الشيطان الرجيم ، فلم يكن للشيطان عليهما سبيل . فقال له ربه : قد اتخذتك حبيباً وهو مكتوب في التوراة محمد حبيب الرحمن ، وأرسلناك إلى الناس كافة بشيراً ونذيراً ، وشرحت لك صدرك ، ووضعت عنك وزرك ، ورفعت لك ذكرك فلا أذكر إلا ذكرت معي ، وجعلت أمتك خير أمة أخرجت للناس ، وجعلت أمتك أمة وسطاً ، وجعلت أمتك هم الأولين وهم الآخرين ، وجعلت أمتك لا تجوز لهم خطبة حتى يشهدوا أنك عبدي ورسولي ، وجعلت من أمتك أقواماً قلوبهم أناجيلهم ، وجعلت أول النبيين خلقاً ، وآخرهم بعثاً ، وأولهم يقضى له ، وأعطيتك سبعا من المثاني لم أعطها نبياً قبلك ، وأعطيتك خواتيم سورة البقرة من كنز تحت العرش لم أعطها نبياً قبلك ، وأعطيتك الكوثر ، وأعطيتك ثمانية أسهم : الإسلام ، والهجرة ، والجهاد والصلاة ، والصدقة ، وصوم رمضان ، والأمر بالمعروف ، والنهي عن المنكر ، وجعلتك فاتحاً وخاتماً .

وفرض عليه خمسين صلاة ، وذكر مراجعته بين موسى وربه ، وفي آخره : وكان موسى من أشدهم عليه حين مرّ به وخيرهم له حين رجع إليه . أخرج الحاكم وغيره ، ورجاله موثقون إلا أن أبا جعفر الرازي وثقه

بعضهم وضعفه بعضهم ، وقال أبو زرعة : يهمل كثيراً ، وقال الحافظ ابن كثير : الأظهر أنه سيء الحفظ ، قال : هذا الحديث في بعض ألفاظه غرابة ونكارة شديدة ، وفيه شيء من حديث المنام الطويل الذي عند البخاري من رواية سمرة ، والأشبه أنه مجموع من أحاديث شتى ، أو من منام وقصة أخرى غير الإسراء .

زيادة على هذه الرواية:

قلت : وقد جاءت في هذه الرواية زيادة في هذا الموضع لم يذكرها الحافظ السيوطي وذكرها غيره كما سيأتي وهي أن رسول الله ﷺ قال : (فضلني ربي وأرسلني رحمة للعالمين وكافة للناس بشيراً ونذيراً ، وألقى في قلب عدوي الرعب من مسيرة شهر ، وأحلّت لي الغنائم ، ولم تحل لأحد قبلي ، وجعلت الأرض كلها لي مسجداً وطهوراً ، وأعطيت فواتيح الكلام وخواتمه وجوامعه ، وعرضت عليّ أمتي فلم يخف عليّ التابع والمتبوع ، ورأيتهم أتوا عليّ قوم ينتعلون الشعر ، ورأيتهم أتوا عليّ قوم عراض الوجوه صغار الأعين كأنما حُرمت أعينهم بالمخيّط فلم يخف عليّ ما هم لأقون من بعدى ، وأمرت بخمسين صلاة فرجعت إلى موسى . اهـ . من دلائل النبوة للبيهقي وساق الحديث بتمامه . (ج ٢ ص : ٤٠٣) . ورواه البزار كذلك كاملاً ، كذا في كشف الأستار (ج ١ ص : ٤٤) . وذكره الهيثمي في "مجمع الزوائد" وقال : رواه البزار ورجاله موثقون إلا أن الربيع بن أنس قال عن أبي العالية أو غيره فتابعه مجهول^(١) . اهـ .

(١) مجمع الزوائد ٧٢/١

قلت : وقد جاءت هذه الزيادة منفصلة عن حديث الإسراء والمعراج
فقد روى البخاري في صحيحه بسنده عن أبي هريرة رضى الله عنه عن النبي
ﷺ قال : لا تقوم الساعة حتى تقاتلوا قوماً نعالهم الشعر . وفي رواية أخرى
عنه ، صغار الأعين . وفي رواية للبخاري أيضاً عن عمرو بن تغلب قال
: إن من أشراط الساعة أن تقاتلوا قوماً يتتعلون نعال الشعر وإن من أشراط
الساعة أن تقاتلوا قوما عراض الوجوه (١) .

وروى مسلم عن أبي هريرة رضى الله عنه أيضاً بلفظ : (لا تقوم
الساعة حتى تقاتلكم أمة يتتعلون الشعر . وفي رواية عنه حتى تقاتلوا قوماً
صغار الأعين) (٢) .

وهذه الزيادة لم يتعرض الشامي لها بالشرح وسنّين باختصار معناها :
فمعنى قوله : يتتعلون الشعر أى أنهم يجعلون نعالهم من حبال ضفرت من
الشعر ، أو المراد طول شعورهم وكثافتهم فهم لذلك يمشون فيها .

وقوله : عراض الوجوه أى أن وجوههم غليظة كثيرة اللحم وقد
شبهها في الحديث بالترس لبسطها وتدويرها فقال : (كأنها المجان المطرقة) .

والمجان : بفتح الميم والجيم وبعد الألف نون مشددة جمع مجن بكسر
الميم أى الترس .

والمطرقة : بضم الميم وسكون الطاء المهملة وفتح الراء مخففة وهى

(١) صحيح البخارى كتاب الجهاد والسير باب قتال الذين يتتعلون الشعر ١٣٠/٦ .

(٢) صحيح مسلم كتاب الفتن ٣٧/١٨ .

التي ألبست الطرق وهي جلدة تقدر على قدر الدرقه وتلصق عليها ، قال
البيضاوى : شبه وجوههم بالترس لبسطها وتدويرها وبالمطرقة لغلظها
وكثرة لحمها^(١) .

وقوله : المخيط بكسر الميم وسكون المعجمة وفتح الياء ما خيط به
الثوب .

والثوب : الثياب .
والخيط : الخيط .
والكسر : كسر الخيط .
والسكون : سكون الخيط .
والفتح : فتح الخيط .

والخيط : الخيط .
والكسر : كسر الخيط .
والسكون : سكون الخيط .
والفتح : فتح الخيط .

والخيط : الخيط .
والكسر : كسر الخيط .
والسكون : سكون الخيط .
والفتح : فتح الخيط .

والخيط : الخيط .

(١) إرشاد السارى ٤٥٦/٦ .

(الحديث العاشر)

١٠- قال السيوطي أخبرني أبو الفضل بن عمر بقراءتي عليه ، أخبرنا

أبو الفرج بن حماد ، أخبرنا الحافظ قطب الدين الحلبي ، أخبرنا العز
الحراني ، أخبرنا أبو الفرج بن كليب ، أخبرنا علي بن بيان ، أخبرنا محمد
بن مخلد ، أخبرنا أبو علي الصفار ، أخبرنا الحسن بن عرفة ، حدثنا مروان
بن معاوية الفزاري عن قنّان بن عبد الله النهمي ، حدثنا أبو ظبيان الجني ،
حدثنا أبو عبيدة - يعني عن أبيه عبد الله بن مسعود - قال : قال رسول الله
ﷺ : (أتاني جبريل بدابة فوق الحمار ودون البغل ، فحملني عليها ، ثم
انطلق يهوي بنا ، كلما صعد عقبة استوت رجلاه مع يديه ، وإذا هبط
استوت يده مع رجليه ، حتى مررنا برجل طوال سبط آدم كأنه من رجال
أزد شنوءة ، وهو يقول ويرفع صوته : أكرّمته وفضلته ، قال : فدفعنا إليه
فسلمنا ، فرد السلام ، وقال : من هذا معك يا جبريل ؟ قال : هذا أحمد قال :
مرحباً بالنبي الأمي العربي الذي بلغ رسالة ربه ونصح لأُمته ، ثم اندفعنا ،
فقلت : من هذا يا جبريل ؟ قال : هذا موسى بن عمران ، قال : قلت : ومن
يعاتب ؟ قال : يعاتب ربه فيك ، قلت : ويرفع صوته على ربه ؟ قال : إن
الله قد عرف له حدّه .

ثم اندفعنا حتى مررنا بشجرة كأن ثمرها السرح ، تحتها شيخ وعياله ،
فقال لي جبريل : اعمد إلى أبيك إبراهيم ، فدفعنا إليه فسلمنا عليه ، فرد
السلام ، فقال إبراهيم : يا جبريل من هذا معك ؟ قال : هذا ابنك أحمد ،

فقال : مرحباً بالنبي الأمي الذي بلغ رسالة ربه ونصح لأمته ، يا بني إنك لاق ربك الليلة ، وإن أمتك آخر الأمم وأضعفهم ، فإن استطعت أن تكون حاجتك أو جلها في أمتك فافعل .

ثم اندفعنا حتى أتينا إلى المسجد الأقصى فنزلت فربطت الدابة بالحلقة التي كانت الأنبياء تربط بها ، ثم دخلت المسجد فعرفت النبيين بين قائم وراكع وساجد ، ثم أتيت بكأسين من غسل ولبن فأخذت اللبن فشربته ، فضرب جبريل منكبي فقال : أصبت الفطرة . ثم أقيمت الصلاة فأممتهم ، ثم انصرفنا فأقبلنا .

قال ابن كثير : إسناده غريب ، وفيه من الغرابة أنه اجتمع بالأنبياء قبل دخوله المسجد الأقصى ، والصحيح أنه إنما اجتمع بهم في السماوات ، ثم نزل إلى بيت المقدس ثانياً وهم معه وصلى بهم فيه ثم ركب البراق ورجع إلى مكة .

(الحديث الحادي عشر)

١١- قال محمد بن إسحاق في مغازيه : وحدثني محمد بن السائب الكلبي ، عن أبي صالح ، عن أم هانئ بنت أبي طالب ، قالت : ما أسري برسول الله ﷺ إلا وهو في بيتي نائمٌ عندي تلك الليلة ، فصلى العشاء الآخرة ، ثم نام ونمنا ، فلما كان قبيل الفجر أهبنا رسول الله ﷺ ، فلما صلى الصبح وصلينا معه قال : (يا أم هانئ لقد صليتُ معكم العشاء الآخرة كما رأيت بهذا الوادي ، ثم جئتُ بيت المقدس فصليت فيه ، ثم صليت صلاة الغداة معكم الآن كما ترين) قال السيوطي الكلبي متروك ساقط .

(الحديث الثاني عشر)

١٢- قال أحمد : حدثنا أبو النضر ، حدثنا شيبان ، عن عاصم ، عن زر بن حبیش ، قال : أتيت على حذيفة بن اليمان ، وهو يحدث عن الإسراء ، وهو يقول : فانطلقا حتى أتيا بيت المقدس ، فلم يدخلاه ، ولا صلى فيه رسول الله ﷺ ، ومازايلا البراق حتى فتحت لهما أبواب السماء ، فرأيا الجنة والنار ووعد الآخرة ، ثم عادا عودهما على بدئهما ، ثم ضحك حتى بدت نواجذه ، وقال : تحدثون أنه ربطه لا يفر منه ، وإنما سخره له عالم الغيب والشهادة . وأخرجه الترمذي وصححه .

قال ابن كثير : وهذا الذي قاله حذيفة نفيٌ ، وما أثبتته غيره من الصلاة في بيت المقدس وربط الدابة بالحلقة مقدم عليه .

(الحديث الثالث عشر)

١٣ - قال أحمد : حدثنا محمد بن جعفر ، وروح ، قالا : حدثنا عوف ، عن زرارة بن أوفى ، عن ابن عباس ، قال : قال رسول الله ﷺ : «لما كان ليلة أسري بي وأصبحت بمكة فظعت بأمرى^(١) ، وعرفت أن الناس مكذبي ، فقعدت معترلاً حزيناً ، قال : فمر به عدو الله أبو جهل ، فجاء حتى جلس إليه ، فقال له كالمستهزئ : هل كان من شيء؟ فقال رسول الله ﷺ : نعم ، قال : وما هو؟ قال : إني أسري بي الليلة ، قال : إلى أين؟ قال : إلى بيت المقدس ، قال : ثم أصبحت بين ظهرانينا؟ قال : نعم . فلم ير أنه يكذبه مخافة أن يجحده الحديث إن دعا قومه إليه ، قال : أرأيت إن دعوت قومك أتحديثهم بما حدثني؟ قال رسول الله ﷺ : نعم . قال : هيا معشر بني كعب بن لؤي هلموا ، قال : فانقضت إليه المجالس ، وجأؤوا حتى جلسوا إليهما . قال : حدث قومك بما حدثني ، فقال رسول الله ﷺ : إني أسري بي الليلة ، قالوا : إلى أين؟ قال : إلى بيت المقدس ، قالوا : ثم أصبحت بين ظهرانينا؟ قال : نعم ، قال : فمن بين مُصَفَّق ، ومن بين واضح يده على رأسه متعجباً قالوا : وهل تستطيع أن تنعت لنا المسجد؟ وفي القوم من قد سافر إلى ذلك البلد ورأى المسجد ، قال رسول الله ﷺ : فذهبت أنعت فما زلت أنعت حتى التبس علي بعض النعت ، قال : فجيء

(١) «فَظَعْتُ بِأَمْرِي» : اشتد عليَّ وهبته .

بالمسجد وأنا أنظر حتى وضع دون دار عقيل - أو عقال - فنعتُهُ ، وأنا أنظر إليه ، قال : وكان مع هذا نعت لم أحفظه ، يقول عوف قال : فقال القوم : أما النعت فوالله لقد أصاب .

(الحديث الرابع عشر)

١٤ - قال البيهقي : أخبرنا أبو عبد الله الحافظ ، أخبرنا مكرم بن أحمد القاضي ، حدثنا إبراهيم بن الهيثم البلدي ، حدثنا محمد بن كثير الصنعاني ، حدثنا معمر بن راشد ، عن الزهري ، عن عروة ، عن عائشة قالت : لما أسري بالنبي ﷺ أصبح يحدث الناس بذلك ، فارتدَّ ناسٌ ممن كانوا آمنوا به وصدقوه (١) .

(١) دلائل النبوة ؛ للبيهقي ، ١١٢/٢ ، وإسناده صالح لا بأس به .
انظر الآية الكبرى في شرح قصة الإسراء للحافظ جلال الدين السيوطي بتحقيق الأستاذ الباحث الفاضل محي الدين مستو .

مفهوم الاجتماع لذكرى الإسراء والمعراج

جرت عادتنا أن نجتمع لإحياء جملة من المناسبات التاريخية كالمولد النبوى وذكرى الإسراء والمعراج وليلة النصف من شعبان والهجرة النبوية وذكرى نزول القرآن وذكرى غزوة بدر ، وفى اعتبارنا أن هذا الأمر عادى لا صلة له بالتشريع الحكيمى ، فلا يوصف بأنه مشروع أو سنة كما أنه ليس معارضاً لأصل من أصول الدين ، لأن الخطر هو فى اعتقاد مشروعية شئ ليس بمشروع ، وعندى أن أمثال هذه الأمور العادية العرفية لا يقال فيها أكثر من أنها محبوبة للشارع أو مبنغوضة ، وأظن أن هذا القدر متفق عليه ، ويدعى البعض أن هذه المناسبات التى يجتمع الناس لإحيائها ينقصها التوقيت المضبوط المتفق عليه ، فيقول : إن الناس تعودوا أن يجتمعوا ليلة السابع والعشرين لإحياء ذكرى الإسراء والمعراج ، وأن يجتمعوا ليلة الاثنى عشر من ربيع الأول لإحياء ذكرى المولد النبوى ، مع أن العلماء اختلفوا فى تعيين وقت هاتين الحادثتين بالضبط ، وأنا أقول : إن عدم الاتفاق على تعيين الوقت لا يؤثر لأننا لا نعتقد مشروعية تحديد الاجتماع بوقت مخصوص ، بل الأمر عادى كما أسلفنا ، والذى يهمنا هو اغتنام فرصة الاجتماع وكسب ذلك لتوجيهه إلى الخير ، فهذه الليلة قد اجتمع الناس فيها بشكل كبير وعظيم وسواء أخطأوا التوقيت أم أصابوا ، فإن مجرد اجتماعهم هذا على ذكر الله ومحبة رسول الله كافٍ فى استجلاب رحمة

الله وفضله . انما هذا الاجتماع هو لئلا يتركوا ما في قلوبهم من حقد

انى أعتقد تمام الاعتقاد أن اجتماع هؤلاء الناس ما دام أنه لله وفى الله فإنه مقبول عند الله ولو أخطأوا فى التوقيت ، وأضرب لذلك مثلاً لتقريب القضية للأذهان برجل دعا الى وليمة فى يوم معين فجاء بعض المدعوين فى غير وقت الدعوة ظناً منهم أنه هو الوقت ، فهل ترى أن صاحب الوليمة يطردهم ويردهم بحفوة وغلظة ويصد عنهم ويقول لهم : ارجعوا وانصرفوا عنى فليس هذا هو وقت الوليمة الذى دعوتكم إليه وحددته لكم ، أو ترى أنه يقابلهم بالحسنى ويشكرهم على قدومهم ويفتح لهم بابه ويطلب منهم الدخول ثم يطلب منهم الرجوع مرة أخرى فى الوقت المحدد؟ هذا الذى أنا أتصوره وهو اللائق بفضل الله وكرمه .

ونحن إذا اجتمعنا للإسراء والمعراج أو للمولد النبوى ولأى ذكرى من الذكريات التاريخية لا يهمنا تعيين الوقت بالضبط لأنه إن كان موافقاً للصواب فى الواقع ونفس الأمر فالحمد لله ، وإن كان غير ذلك فإن الله لا يردنا ولا يغلق بابه عنا .

فاغتنام فرصة الاجتماع بالدعاء والتوجه إلى الله سبحانه وتعالى والتعرض لتفحاته وخيراته وبركاته هو أجلُّ من فائدة الذكرى نفسها عندى واغتنام اجتماع الناس بتذكيرهم وإرشادهم ونصحهم وتوجيههم إلى الخير ، هو أولى من صدقهم وردهم والإنكار على اجتماعهم بما لا طائل تحته ، إذ المشاهد أن ذلك لا ينفع ولا يفيد وأن الناس يزيد إقبالهم ويعم

تمسكهم كلما زاد الإنكار عليهم ، أو اشتد حتى كأن الناهي لهم عن ذلك
أمرٌ لهم بفعله من حيث لا يشعرون .
إن العقلاء من أرباب الفكر والدعوة يتمنون بكل قلوبهم أن يجدوا
مكاناً يجتمع فيه الناس ليبثوا فيهم آراءهم ويكسبوهم إلى صفهم ، ولذلك
تراهم يرتادون الحدائق والنوادي والأماكن العامة التي يكثر فيها اجتماع
الناس ليصنعوا بهم ما يريدون ، ونحن نرى الأمة تجتمع في مناسبات متعددة
برغبة وهمة وحرص فما هو الواجب علينا نحوهم ؟ .
إن الاشتغال بالإنكار والأخذ والرد في حكم اجتماعهم وما إلى ذلك
هو عبثٌ بل وحمق وجهالة ، لأننا نضيع كنزاً عظيماً ونفوت فرصة لا يمكن
أن يعود الزمان بها إلا في مثل هذه المناسبات .

فلنغتنم هذه المجامع الكبرى .

دروس وعبر عن قصة الإسراء والمعراج

(١)

في معجزة الإسراء والمعراج دروسٌ عظيمةٌ وأسرارٌ جليلةٌ ، ومن أجلّ هذه الدروس فضل هذا النبي الكريم بما خصه الله تعالى به من أنواع التكريم ، وليس هذه الخصوصية فقط ، ولكن كثير من المزايا والمناقب ، ومنها أن الله أخبره ﷺ بأنه غفر له ماتقدم من ذنبه وما تأخر ، ولم ينقل أنه أخبر أحداً من الأنبياء بمثل ذلك .

ومنها أنه ﷺ أول شافع وأول مشفع ، وهذا يدل على تخصيصه وتفضيله ﷺ ، ومنها إثارة ﷺ على نفسه بدعوته إذ جعل الله لكل نبي دعوة مستجابة ، فكل منهم تعجل بدعوته في الدنيا واحتباً هو ﷺ دعوته شفاعاً لأمته ، ومنها أن الله تعالى أقسم بحياته ﷺ في قوله تعالى ﴿لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَفِي سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾ (١) والإقسام بحياته يدل على شرف حياته وعزتها عن المقسم بها ، وأن حياته ﷺ لجديرة أن يقسم بها لما كان فيها من البركة العامة والخاصة ، ولم يثبت هذا غيره .

ومنها أن الله تعالى وقره في ندائه فلم يناده باسمه بل ناداه بأسنى أوصافه ﷺ قال : «يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ» «يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ» وهذه الخصوصية لم تثبت لغيره بل إن كلا منهم نودي باسمه ، فقال الله تعالى : «يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ

(١) الحجر : ٧٢

وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ ﴿١﴾ إِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ اذْكُرْ نِعْمَتِي عَلَيْكَ ﴿٢﴾ يَا مُوسَى إِنَّهُ أَنَا اللَّهُ ﴿٣﴾ يَا نُوحُ اهْبِطْ بِسَلَامٍ ﴿٤﴾ يَا دَاوُدُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ ﴿٥﴾ يَا يَحْيَى خُذِ الْكِتَابَ ﴿٦﴾ .

ولا يخفى على أحد أن السيد إذا دعا أحد عبيده بأفضل ما وجد فيهم من الأوصاف العلية والأخلاق السنية ، ودعا الآخرين بأسمائهم الأعلام التي لا تشعر بوصف من الأوصاف ولا بخلق من الأخلاق ، أن منزلة من دعاه بأفضل الأسماء والأوصاف أعزّ عليه وأقرب إليه ممن دعاه باسمه العلم ، وهذا معلوم بالعرف أن من دعي بأفضل أسمائه وبأخلاقه كان ذلك مبالغة في تعظيمه واحترامه .

ومنها أن معجزة كل نبي انصرفت وانقضت ، ومعجزة سيد الأولين والآخرين ﷺ وهي القرآن العظيم باقية إلى يوم الدين ، ومنها تسليم الحجر عليه وحنين الجذع إليه ﷺ .

ومنها أنه وجد في معجزاته ﷺ ما هو أظهر في الإعجاز من معجزات غيره كتفجير الماء من بين أصابعه فإنه أبلغ في خرق العادة من تفجيره من الحجر لأن جنس الأحجار مما يتفجر منه الماء فكانت معجزاته ﷺ بانفجار الماء من بين أصابعه ؛ أبلغ من انفجار الحجر لموسى عليه السلام .

ومنها أن الله يكتب لكل نبي من الأنبياء من الأجر بقدر أعمال أمتة وأحوالها وأقوالها ، وأمتة ﷺ شطر أهل الجنة وقد أخبر الله تعالى أنهم خير أمة أخرجت للناس وإنما كانوا خير الأمم لما اتصفوا به من المعارف والأحوال

(٣) النمل : ٩

(٢) المائدة : ١١٠

(١) الأعراف : ١٩

(٦) مريم : ١٢

(٥) ص : ٢٦

(٤) هود : ٤٨

والأقوال والأعمال ، فما من معرفة ولا حالة ولا عبادة ولا مقالة ولا شيء يتقرب به إلى الله عز وجل مما دل رسول الله ﷺ ودعا إليه ، إلا وله أجر من عمل به لقوله ﷺ : (من دعا إلى هدى ، كان له أجره وأجر من عمل به) (١) ولا يبلغ أحد من الأنبياء إلى هذه المرتبة وقد جاء في الحديث (الخلق عيال الله وأحبهم إليه أنفعهم لعياله) (٢) فإذا كان ﷺ قد نفع شطر أهل الجنة وغيره من الأنبياء إنما نفع جزء الشطر ، كانت منزلته ﷺ في القرب على قدر منزلته في النفع ، فما من عارف من أمته إلا وله ﷺ مثل أجر معرفته مضافاً إلى معارفه ، وما من ذي حال من أمته ، إلا وله مثل أجره على حاله مضموماً إلى أحواله ﷺ ، وما من مقال يتقرب به إلى الله تعالى إلا وله ﷺ مثل أجر ذلك القول مضموماً إلى مقالته وتبليغ رسالته ، وما من عمل من الأعمال المقربة إلى الله عز وجل من صلاة وزكاة وعق وجهاد وبر ومعروف وذكر وصبر وعفو وصفح إلا وله ﷺ مثل أجر عامله مضموماً إلى أجره على أعماله ، وما من درجة عليّة ومرتبة سنّية نالها أحد من أمته بإرشاده ودلالته إلا وله مثل أجرها مضموماً إلى درجته ومرتبته ﷺ ويتضاعف ذلك بأن من دعا من أمته إلى هدى أو سنّ سنة حسنة كان له من أجر من عمل بذلك على عدد العاملين ، ثم يكون هذا المضاعف لبنينا ﷺ لأنه دل عليه وأرسل إليه ، ولأجل هذا بكى موسى عليه السلام ليلة الإسراء بكاء غبط به النبي ﷺ إذ يدخل من أمته الجنة أكثر مما يدخل من أمة موسى ولم يبك حسداً كما يتوهمه بعض الجهلة .

(١) رواه مسلم ٦٢/٨

(٢) رواه البزار حديث رقم (٣٣١٥) وأبو يعلى حديث رقم (١٩٤٩) كذا في مجمع الزوائد ٨/١٩١

ومنها أن الله عز وجل أرسل كل نبي إلى قومه خاصة وأرسل نبينا ﷺ إلى الإنس والجن ، فلكل نبي من الأنبياء ثواب تبليغه إلى أمته ، ولنبينا ﷺ ثواب التبليغ إلى كل من أرسل إليه تارةً مباشرةً الإبلاغ وتارةً بالسبب إليه ، ولذلك امتن الله عليه فقال : ﴿وَكُودُ شَيْئًا لَبَعَثْنَا فِي كُلِّ قَرْيَةٍ نَذِيرًا﴾^(١) ووجه الامتنان أنه لو بعث في كل قرية نذيراً لما حصل لرسول الله ﷺ إلا أجر إنذاره لأهل قريته . ومنها أن الله تعالى كلم موسى بالطور وبالوادي المقدس ، وكلم نبينا ﷺ فوق سدرة المنتهى وفي المقام الأعلى ، ومنها أنه ﷺ قال : (نحن الآخرون من أهل الدنيا والأولون يوم القيامة المقضي لهم قبل الخلائق ونحن أول من يدخل الجنة)^(٢) . ومنها أنه كما ذكر السؤدد مطلقاً فقد قيده بيوم القيامة فقال : (أنا سيد ولد آدم يوم القيامة وأول من ينشق عنه القبر وأول شافع وأول مشفع)^(٣) ومنها أنه ﷺ أخبر أنه يرغب إليه الخلق كلهم يوم القيامة حتى إبراهيم عليه السلام . ومنها أنه قال ﷺ : (الوسيلة منزلة في الجنة لا تنبغي أن تكون إلا لعباد الله وأرجو أن أكون أنا هو فمن سأل لي الوسيلة حلت عليه الشفاعة)^(٤) . ومنها أنه يدخل من أمته ﷺ الجنة سبعون ألفاً بغير حساب ولم يثبت ذلك لغيره ، ومنها الكوثر الذي أعطيه ﷺ في الجنة ، والحوض الذي أعطيه في الموقف ومنها قوله ﷺ : (نحن الآخرون السابقون)^(٥) أي الآخرون زماناً السابقون بالمناقب والفضائل ، ومنها أنه ﷺ أحلت له الغنائم ولم تحل لأحد قبله وجعلت صفوف أمته كصفوف الملائكة ، وجعلت له الأرض مسجداً وترابها طهوراً . وهذه الخصائص تدل على علو مرتبته .

(١) الفرقان : ٥١ (٢) رواه النسائي ٨١/٣ وابن ماجه ٣٤٢/١ (٣) رواه مسلم ٥٩/٧ (٤) رواه أبو عوانة ٣٣٦/١ (٥) رواه البخاري ٦٥/١

دروس وعبر من قصة الإسراء والمعراج

(٢)

أحداث التاريخ الإسلامي المجيد فيها فرصٌ طيبة لو عرفنا كيف نغتنمها في تذكير المسلمين بتاريخهم وإرشادهم إلى مصادر الخير وأسباب النجاح التي يرجع إليها مجد هذا التاريخ وعظمته .

إن في هذه القضايا التاريخية الدينية العظمى دروساً وعبراً وعظات وتوجيهات . ومن أعظم هذه الأحداث حدث الإسراء والمعراج .

ومن أعظم الدروس المستفادة في هذه الرحلة درس الصلاة . وبين فرضية الصلاة ومعجزة الإسراء والمعراج ارتباطٌ دقيق وثيق يناسب أن تسمى فيه الصلاة المعراج الروحي ، فإذا كان معراج نبينا ﷺ بجسمه وروحه إلى السماء معجزة ، فإن الله تعالى جعل للأمم المحمدية معراجاً روحياً في كل يوم خمس مرات ، تعرج فيها أرواحهم وقلوبهم إلى الرب سبحانه وتعالى يحققون به الترفع عن أهوائهم وشهواتهم ، ويشهدون به من عظمة الله تعالى وقدرته ووحدانيته ما يدفعهم إلى السيادة على الأرض لا عن طريق الاستعباد والقهر والغلبة ، بل عن طريق الخير والسمو وعن طريق الطهر والتسامي وعن طريق الصلاة .

فليست الصلاة طقوساً ولا حركات آلية لا يعقل لها معنى ، وإنما هي

مدرسة تربي المؤمنين على أنبل معاني الخير والحب والفضيلة في زحمة الحياة
وصخبها وشروورها .

والصلاة أعظم أعمال الإسلام ، من حافظ عليها سعد وريح ، ومن
أضاعها شقي وخسر ، فرضها الله على عباده المؤمنين لتكون صلةً
بحضرته ، وتذكيراً بعظمته ، وشكراً له على نعمته ، لذلك كانت أساس
الفوز والسعادة في الدنيا والآخرة ، قال رسول الله ﷺ : (وأول ما يحاسب
به العبد يوم القيامة الصلاة فإن صلحت صلح سائر عمله وإن فسدت فسد
سائر عمله)^(١) . ولا عجب أن تكون الصلاة عنوان العمل فإن المداومة على
أدائها كاملة بخشوع وخضوع لله تعالى تغرس في النفس مراقبته عز وجل .
ومن راقبه - جل علاه - خشيه واتقاه وأقبل على مافيه رضاه فصدق إذا حدث
، ووفى إذا وعد ، وأدى الأمانة ، وصبر عند النعمة ، وشكر عند النعمة ،
قال تعالى : ﴿ إِنَّ الْإِنْسَانَ خُلِقَ هَلُوعاً * إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعاً * وَإِذَا مَسَّهُ
الْخَيْرُ مَنُوعاً * إِلَّا الْمُصَلِّينَ الَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ دَائِمُونَ ﴾^(٢) ومن راقبه -
جل شأنه - امتنع عما يغضبه ، فلم يزن ، ولم يراب ، ولم يحقق ، ولم
يحسد ، ولم يماطل في حقوق الناس ، ولم يضيع حقوق أهله وعياله
وجيرانه وأقاربه ومواطنيه ، قال تعالى : ﴿ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ
وَالْمُنْكَرِ ﴾^(٣) ومن لم يخشع في صلاته ، ولم تغرس في نفسه مراقبة الله ،
كان عاصياً واستحق عذاب الله ، قال رسول الله ﷺ : (من لم تنهه صلاته

(١) زواه الطبراني في الأوسط ، ذكره في «مجمع الزوائد» ٢٩١ / ١

(٢) العنكبوت : ٤٥

(٣) المعارج : ١٩ - ٢٣

عن الفحشاء والمنكر لم يرد من الله إلا بعداً^(١) . ومن رحمته تعالى جعل الصلاة في خمسة أوقات تيسيراً على عباده وتركياً لمن يخشى وتذكراً لمن ينسى ، فالعبد المحافظ على أداء الصلاة كاملة ، لا يغفل عن مراقبة الله بالاشتغال بأعمال الحياة ، وأن من حافظ على أداء الصلاة بخشوع غفر ذنبه وأحبه ربه ، قال رسول الله صلوات الله وسلامه عليه : (إن كل صلاة تحط ما بين يديها من خطيئة)^(٢) وقال ﷺ : (من علم أن الصلاة حق واجب دخل الجنة)^(٣) ومن لم يحافظ على الصلاة حرم في الدنيا نعمة البركة في العمر والتوفيق للخير وعذب بعد الوفاة بكسر رأسه بصخرة كلما كسر عاد كما كان ، وجاء يوم القيامة بلا نور وبغير برهان على الإيمان فحرم النجاة من العذاب والذل والهوان .

أيها المسلمون . اتقوا الله وحافظوا على الصلوات ، وأدوها لله في أوقاتها خاشعين ، ولا يمنعنكم من أدائها برد ولا عمل ، وجاهدوا أنفسكم حتى لا تهملوا أداء صلاة الصبح لوقتها حيث يحلو النوم والكسل وحتى لا تهملوا أداء صلاة العصر حيث شدة التأثر بالعمل ، واحذروا أن يشغلكم عن الصلاة المال والتجارة ، أو الجاه والملك والحكم والوزارة ، وكونوا ممن قال الله تعالى فيهم : ﴿رَجَالٌ لَا تُلْهِيمُهُمْ تِجَارَةً وَلَا يَبْعُ عَنْ

(١) رواه الطبراني في «الكبير» رقم (١١٠٢٥) ٤٦/١١

(٢) رواه أحمد في «المسند» ٤١٣/٥ والطبراني في «الكبير» رقم (٣٨٧٩) ١٢٦/٤

(٣) رواه أحمد في «المسند» ٦٠/١ ، والبيهقي في «السنن الكبرى» ٣٥٨/١ ، والحاكم في

«المستدرک» ٧٢/١

ذَكَرَ اللَّهَ وَإِقَامَ الصَّلَاةَ وَإِيتَاءَ الزَّكَاةَ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ
وَالْأَبْصَارُ * لِيَجْزِيَهُمُ اللَّهُ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِ وَاللَّهُ يَرْزُقُ
مَن يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ (١).

روى الإمام أحمد والطبراني في "الكبير" و"الأوسط" وابن حبان
في "صحيحه" عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما أن النبي ﷺ ذكر
الصلاة يوماً فقال : (من حافظ عليها كانت له نوراً وبرهاناً ونجاة يوم القيامة
، ومن لم يحافظ عليها لم يكن له نور ولا برهان ولا نجاة وكان يوم القيامة
مع قارون وفرعون وهامان وأبي بن خلف).

وروى البخاري ومسلم عن أبي موسى رضي الله عنه أن رسول الله
ﷺ قال : (من صلى البردين - أي الصبح والعصر - دخل الجنة).

وروى البخاري ومسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : سمعت
رسول الله ﷺ يقول : (أرأيتم لو أن نهراً بباب أحدكم يغتسل فيه كل يوم
خمس مرات هل يبقى من درنه شيء؟ قالوا : لا يبقى من درنه شيء ، قال :
فكذلك مثل الصلوات الخمس يمحو الله بهن الخطايا).

وروى مسلم والترمذي وغيرهما عن أبي هريرة رضي الله عنهما أن
رسول الله ﷺ قال : (الصلوات الخمس والجمعة إلى الجمعة كفارة لما بينهن
ما لم تغش الكبائر).

حقيقة الإسراء ومذهب أهل الحق

اعلم أن الإسراء كان بالروح والجسد معاً يقظةً لا مناماً من مكة إلى بيت المقدس إلى السموات العلا إلى سدرة المنتهى إلى حيث شاء العليّ الأعلى . قال القاضي عياض وغيره : وهو الحق وعليه تدل الآيات نصاً وصحيح الأخبار إلى السموات استفاضة ، ولا يعدل عن الظاهر من الآيات والأخبار الواردة فيه ولا عن الحقيقة المتبادرة إلى الأذهان من ألفاظهما إلى التأويل إلا عند الاستحالة وتعذر حمل اللفظ على حقيقته ، وليس في الإسراء بجسده وحال يقظته استحالة تؤذن بتأويل إذ لو كان مناماً لقال : (سبحان الذي أسرى بروح عبده) ولم يقل (بعده) والعبد حقيقة هو الروح والجسد ، ويدل عليه أيضاً قوله تعالى : ﴿ما زاغ البصر وما طغى﴾^(١) أى ماعدل عن رؤية ما أمر برؤيته من عجائب الملكوت وما جاوزها بصراحة ظاهرة في كونه بجسده يقظةً ، لأنه أضاف الأمر إلى البصر وهو لا يكون إلا يقظة بجسده بشهادة (لقد رأى من آيات ربه الكبرى) ولو كان مناماً لما كانت فيه آية ولا معجزة خارقة للعادة تورث صدقه ، وإن كانت رؤيا الأنبياء وحيّاً إذ ليس فيها من الأبلغية وخرق العادة ما فيها يقظة ، وأيضاً لو كان مناماً لما استبعده الكفار ولا كذبوه ولا ارتد به ضعفاء من أسلم وافستوا به لبعده عن ساحة العادة ووقوعه في زمن يستبعد فيه جداً ، إذ مثل هذا من المنامات

(١) النجم : ١٧

لا ينكر بل لم يكن منهم ذلك الاستبعاد والتكذيب والارتداد والافتتان ، إلا وقد علموا أن خبره إنما كان عن جسمه وحال يقظته . وقد روى البخارى فى باب الإسراء من " صحيحه " وسعيد بن منصور فى " سننه " عن ابن عباس فى قوله تعالى : ﴿ وما جعلنا الرؤيا التى أريناك إلا فتنة للناس ﴾ ^(١) هى رؤيا عين أريها رسول الله ﷺ ليلة الإسراء ، زاد سعيد : وليست رؤيا منام . قال الحافظ ابن حجر : إضافة الرؤيا للعين للاحتراز عن رؤيا القلب ، وقد أثبت الله تعالى رؤيا القلب فى القرآن بقوله تعالى : ﴿ ما كذب الفؤاد ما رأى ﴾ ^(٢) ورؤيا العين بقوله تعالى : ﴿ ما زاع البصر وما طغى ﴾ ^(٣) ، وجزم بما قاله ابن عباس إنها رؤيا عين ليلة الإسراء مجاهد وسعيد بن جبير والحسن ومسروق وإبراهيم وقتادة وعبد الرحمن بن زيد وغير واحد ، وهو الصحيح .

زمن وقوع هذه المعجزة

اعلم أن الإسراء والمعراج مكانه الجحر بالمسجد الحرام وزمانه بعد البعثة قبل الهجرة بسنة ، وجرى عليه الإمام النووى وبالع ابن حزم فقال فيه الإجماع ، وقال القاضى عياض : قبل الهجرة بخمس سنين ، واختلفوا فى أى الشهور كان؟ فجزم ابن الأثير وجمع منهم النووى فى فتاويه : بأنه كان فى ربيع الأول ليلة سبع وعشرين ، ونقله الاسنوى فى " المهمات " والأذرعى فى " الوسيط " والزرکشى فى " الخادم " والدميرى فى " حياة الحيوان " وغيرهم . وقيل كان فى رجب ، وجزم به النووى فى " الروضة "

(٣) النجم : ١٧

(٢) النجم : ١١

(١) الإسراء : ٦٠

تبعاً للرافعى ، وقيل فى رمضان ، وقيل فى شوال . وقال ابن عطية بعد أن حكى الخلاف : والتحقيق أنه كان بعد شق الصحيفة وقبل بيعة العقبة . وقال ابن دحية : ويمكن أن يعين اليوم الذى أسفرت عنه تلك الليلة ويكون يوم الإثنين ، وذكر الدليل على ذلك بمقدمات حساب من تاريخ الهجرة . وحاصل الأمر أنه استنبطه وحاول موافقته كون المولد يوم الإثنين ، وكون المبعث يوم الإثنين ، وكون الهجرة يوم الإثنين ، وكون الوفاة يوم الإثنين ، فإن هذه أطوار الانتقالات النبوية وجوداً ونبوةً ومعراجاً وهجرةً ووفاءً ، فهذه خمسة أطوار فيكون يوم الإثنين فى حقه ﷺ كيوم الجمعة فى حق آدم عليه السلام ، فيه خلق ، وفيه أنزل إلى الأرض ، وفيه تاب الله عليه ، وفيه مات ، وكانت أطواره الوجودية والدينية خاصة بيوم واحد . اهـ .

وروى ابن أبى شيبه عن جابر وابن عباس أنهما قالَا : ولد رسول الله ﷺ يوم الإثنين ، وفيه بعث ، وفيه عرج إلى السماء ، وفيه مات . وقولهما وفيه عرج إلى السماء ؛ أراد الليلة لأنَّ الإسراء كان بالليل اتفاقاً^(١) .

(١) كذا فى المواهب اللدنية ج ٣ ص ٧ طبعة المكتب الإسلامى ، وتاريخ الخميس فى أحوال أنفس نفيس ٣٠٧/١ وحدائق الأنوار لابن الديبع ج ١ ص ٣٨١ والمنهاج الشامى للنبهاني .

هل تكرر الإسراء به صلى الله عليه وسلم :

ذهب جماعة منهم الحافظ أبو محمد عبد الرحمن بن إسماعيل الشهير بأبي شامة رحمه الله تعالى إلى أن الإسراء وقع مراراً ، واحتج بما رواه سعيد بن منصور ، والبزار ، والبيهقي ، وابن عساكر عن أنس رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : (بينا أنا نائم إذ جاء جبريل عليه السلام فوَكَّرَ بين كَتَفَيَّ ، فقمّت إلى شجرة فيها مثل وكرى الطير ، فقعّد جبريل في أحدهما وقعدت في الآخر ، فسَمّت وارتفعت حتى سدّت الخافقين ، وأنا أقلب طرفي ، فلو شئت أن أمس السماء لمستت ، وفتح لي باب من أبواب السماء فرأيت النور الأعظم ، وإذا دون الحجاب رفرف الدر والياقوت) ، وفي رواية : (فدلى بسبب وهبط إلى النور فوقع جبريل مغشياً عليه كأنه حلس ، فعرفت فضل خشيته على خشيتي ، فأوحى الله تعالى إليّ ما شاء أن يوحى) ، وفي رواية : (فأوحى إليّ نبياً ملكاً أو نبياً عبداً وإلى الجنة ما أنت ، فأومأ إليّ جبريل وهو مضطجع : أن تواضع . قال : قلت : لابل نبياً عبداً) .

وقوله «وَكَّرَ» ضرب برفق . «وَكَّرَى الطائر» تشية وكر بفتح الواو وهو عش الطائر إن كان في جبل أو شجر ، والمراد هنا بيتان شبيهان بعشه في الهيئة والوضع لا في المقدار .

«نَمَتْ» زادت . «الخافقان» طرفا السماء والأرض أو المشرق والمغرب ، خوافق السماء جهاتها التي تهب منها الرياح الأربع . «لَمَسْتُ»

بكسر أول سينيه وفتحها وقد يخفف وتنقل حركتها إلى الميم وقد تترك الميم مفتوحة «أقلب طرفي» حال من الضمير قبله أى مقلبا بصرى فى آيات الله فى الآفاق «حلس» بكسر الحاء والسين المهملتين : كساء يلى ظهر الدابة تحت الرجل يشبه به من لزم شيئا من خشية أو نحو ذلك . «السَّبَبُ» فى الأصل الذى يتوصل إلى الماء ثم استعير لكل مايتوصل به إلى شئ .

قال الحافظ : (وحديث أنس السابق رجاله لا بأس بهم إلا أن الدارقطنى ذكر له علة تقتضى إرساله . وعلى كل حال فهى قصة أخرى ، الظاهر أنها وقعت بالمدينة ، قال : ولا بعد فى وقوع مثل ذلك فى المنام ، وإنما المستغرب وقوع التعدد فى قصة المعراج التى وقع فيها السؤال عن كل نبى وسؤال أهل كل سماء : هل بعث إليه؟ وفرض الصلوات الخمس وغير ذلك ، فإن تعدد مثل ذلك فى اليقظة لا يتجه ، فيتعين رد بعض الروايات المختلفة إلى بعض والترجيح ، إلا أنه لا بعد فى وقوع جميع ذلك فى المنام ، ثم وقوعه فى اليقظة على وفقه ، ولهذا مزيد بيان فيما سيأتى من المباحث .

وذهب جماعة منهم المهلب شارح البخارى ، وحكاه عن طائفة ، وأبو نصر القشيرى ، والبغوى ، والسهلى ، ونقل تصحيحه عن شيخه القاضى أبى بكر بن العربى ، وجزم به النووى فى "فتاويه" إلى أن الإسراء وقع مرتين : مرة فى النوم ومرة فى اليقظة . قالوا : (وكانت مرة النوم توطئة له وتيسيرا عليه ، كما كان فى بدء نبوته الرؤيا الصادقة ، ليسهل عليه أمر النبوة ، فإنه أمر عظيم تضعف عنه القوى البشرية وكذلك الإسراء سهله

عليه الرؤيا لأن هَوَْلَهُ عَظِيمٌ ، فجاء في اليقظة على توطئة وتقدمة رفقا من الله تعالى بعبده وتسهيلا عليه) .

المفاجأة في المناجاة ليلة المعراج :

قال ابن المنير : كانت كرامته صلى الله عليه وسلم في المناجاة على سبيل المفاجأة ، كما أشار إليه صلى الله عليه وسلم بقوله : (بينما أنا . . .) ، وفي حق موسى عليه السلام عن ميعاد واستعداد ، فحمل عنه صلى الله عليه وسلم مشقة الانتظار ، ويؤخذ من ذلك أن مقام النبي صلى الله عليه وسلم وآله وسلم مقام المراد ، وهو أرفع بالنسبة إلى مقام المرید .

المسجد الحرام

قال أبو شامة : وهو ضد الحلال ، وذلك لما منع منه المحرم مما يجوز لغيره ، ولما منع في الحرم مما يجوز في غيره من البلاد .

قال الماوردي في كتاب الجزية من " حاويه " : كل موضع ذكر الله تعالى فيه المسجد الحرام فالمراد به الحرم إلا في قوله تعالى ﴿فول وجهك شطر المسجد الحرام﴾^(١) فإنه أراد به الكعبة .

قال الحافظ ابن حجر رحمه الله تعالى : لفظ المسجد الحرام في الأصل حقيقة الكعبة فقط وهو المعني بقوله تعالى ﴿إن أول بيت وضع للناس للذي ببكة مبارك﴾^(٢) ﴿فول وجهك شطر المسجد الحرام﴾ .

وقد كتب سيدي الوالد الإمام علوي بن عباس المالكي في هذا الموضوع بحثاً عظيماً جاء فيه : يطلق المسجد الحرام ويراد به الحرم ، وهذا هو الغالب في إطلاقه . قال الله تبارك وتعالى في سورة التوبة : ﴿إلا الذين عاهدتم عند المسجد الحرام﴾^(٣) وقد كان العهد في صلح الحديبية عند حدود الحرم . وقال تعالى في سورة التوبة ﴿يا أيها الذين آمنوا إنما المشركون نجس فلا يقربوا المسجد الحرام بعد عامهم هذا﴾^(٤) ، واتفق العلماء على أن المراد بذلك الحرم . وذكر الإمام الماوردي في " الحاوي " في كتاب الجزية : أن كل موضع ذكر الله فيه المسجد الحرام في كتابه فالمراد به الحرم إلا في قوله تعالى : ﴿فول وجهك شطر المسجد الحرام﴾ فإنه أراد به الكعبة ، وقال ابن

(٤) التوبة : ٢٨

(٣) التوبة : ٤

(٢) آل عمران : ٩٦

(١) البقرة : ١٤٤

أبى الصيف اليمني : إن الله تبارك وتعالى ذكر المسجد الحرام فى كتابه فى خمسة عشر موضعاً ، منها ما أراد به الكعبة كقوله تعالى : ﴿فول وجهك شطر المسجد الحرام﴾^(١) ومنها ما أراد به مكة كقوله تعالى : ﴿سبحان الذى أسرى بعبده ليلاً من المسجد الحرام﴾^(٢) فقد ورد أنه أسرى به من بيت أم هانئ بنت أبى طالب ، ومنها ما أراد به الحرم كقوله تعالى : ﴿إنما المشركون نجس فلا يقربوا المسجد الحرام﴾^(٣) أما المواضع التى أشار إليها الإمام الماوردى فهى :

الأول : ﴿قد نرى تقلب وجهك فى السماء فلنولينك قبلة ترضاها فول وجهك شطر المسجد الحرام﴾ .

الثانى : ﴿فول وجهك شطر المسجد الحرام وإنه للحق من ربك﴾^(٤)

الثالث : ﴿ومن حيث خرجت فول وجهك شطر المسجد الحرام﴾

الرابع : ﴿ولا تقاتلوهم عند المسجد الحرام﴾^(٥)

الخامس : ﴿ذلك لمن لم يكن أهله حاضري المسجد الحرام﴾^(٦)

السادس : ﴿والمسجد الحرام وإخراج أهله منه﴾^(٧)

السابع : ﴿أن صدوكم عن المسجد الحرام﴾^(٨)

الثامن : ﴿وهم يصدون عن المسجد الحرام﴾^(٩)

التاسع : ﴿إلا الذين عاهدتم عند المسجد الحرام﴾^(١٠)

(١) البقرة : ١٤٤	(٢) الإسراء : ١	(٣) التوبة : ٢٨	(٤) البقرة : ١٤٩
(٥) البقرة : ١٩١	(٦) البقرة : ١٩٦	(٧) البقرة : ٢١٧	(٨) المائدة : ٢
(٩) الأنفال : ٣٤	(١٠) التوبة : ٤		

العاشر : ﴿وعماره المسجد الحرام﴾^(١)

الحادى عشر : ﴿فلا يقربوا المسجد الحرام﴾^(٢)

الثانى عشر : ﴿سبحان الذى أسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام﴾^(٣)

الثالث عشر : ﴿والمسجد الحرام الذى جعلناه للناس سواء﴾^(٤)

الرابع عشر : ﴿وصدوكم عن المسجد الحرام﴾^(٥)

الخامس عشر : ﴿لتدخلن المسجد الحرام﴾^(٦)

فتبين بهذا أن كل هذه المعانى داخلة فى الاسم المذكور كما دل على ذلك القرآن ، لكن العرف إذا قيل : اعتكفنا فى المسجد الحرام ، ودخلنا المسجد الحرام ، وصلينا فى المسجد الحرام ، وكنا فى المسجد الحرام ، إنما يصرف إلى المسجد المعروف الذى ثبتت مسجديته ويحرم على الحائض والنفساء الدخول فيه ، واختص من بين المساجد المتعددة بالحرم بمزية حلول الكعبة فيه والطواف ، وأما خصائص المسجد الحرام ومزاياه فإنها ثابتة للمسجد الحرام بالمعنى العام الذى يشمل الحرم كله وهى كثيرة تزخر بها كتب السنة المشرفة وفقه المناسك ، نقتصر على أهمها وأشهرها وهى :

الأول :

إن فيه أول بيت وضع على الأرض بنص القرآن ، قال تعالى : ﴿إن

أول بيت وضع للناس للذى ببكة مبارك﴾^(٧) .

(٤) الحج : ٢٥

(٣) الإسراء : ١

(٢) التوبة : ٢٨

(١) التوبة : ١٩

(٧) آل عمران : ٩٦

(٦) الفتح : ٢٧

(٥) الفتح : ٢٥

الثانى :

إن إحياء الكعبة بالحج فى كل عام فرض من فروض كفاية .

الثالث :

إن الصلاة يحرم فعلها فى الأوقات الخمسة : عند طلوع الشمس حتى ترتفع قدر رمح ، وعند الاستواء حتى تزول ، وعند الاصفرار حتى تغرب ، وبعد صلاة الصبح إلى الطلوع ، وبعد صلاة العصر إلى الغروب ، لما فى الصحيح من النهى عن ذلك ، ويستثنى حرم مكة .

الرابع :

إن الطواف تحية البيت يجوز فعله فى هذه الأوقات أيضا .

الخامس :

استحباب الغسل لدخول مكة .

السادس :

إن الصلاة فى المسجد الحرام أفضل من مائة ألف صلاة فيما سواه من

المساجد .

السابع :

إن المضاعفة لا يختص بالصلاة بل سائر أنواع الطاعات كذلك ، قياساً على ما ثبت فى الصلاة والنظر إلى الكعبة ، فألحق به ما فى معناه من أعمال البر .

الثامن:

ذهب جماعة من العلماء إلى مضاعفة السيئات كما تضاعف الحسنات .

التاسع:

العقاب على الهم فيه بالسيئة وإن لم يفعلها ، قال أحمد بن حنبل : لو أن رجلاً همَّ أن يقتل في الحرم أذاقه الله من العذاب الأليم ، ثم قرأ ﴿ومن يرد فيه بإلحاد بظلم نذقه من عذاب أليم﴾ (١) .

العاشر:

إن صيد الحرم حرام على الحلال والمحرم بالإجماع .

الحادى عشر:

يحرم قطع شجره وحشيشه على الحلال والمحرم .

الثانى عشر:

يختص ذبح نحر دماء الهدايا والقرايين فى النسك بالحرم ، ويجب تفريق ذلك على مساكين الحرم سواء الغرباء والقاطنون ، ولو ذبحت فى الحل لم تجز .

الثالث عشر:

إن من قصد الحرم دخله بنسك تعظيماً للحرم ، إلا من تكرر دخوله :

(١) الحج : ٢٥

الرابع عشر:

لادم على المتمتع والقارن من أهل مكة المستوطنين .

الخامس عشر:

لا يمكن الكافر من دخول حرم مكة قال تعالى : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نجس فلا يقربوا المسجد الحرام بعد عامهم هذا﴾^(١) وأدلة هذه الخصائص مفصلة في موضعها وقد ذكرنا رؤوس المسائل فقط .

بعض فضائل جبريل وميكائيل عليهما السلام:

ذكر الله تعالى جبريل في كتابه في خمسة وثلاثين موضعاً بالصرح وغيره ، وذكره باسمه في ثلاث مواضع في البقرة في موضعين ﴿من كان عدواً لجبريل﴾^(٢) ﴿من كان عدواً لله وملائكته ورسله وجبريل﴾^(٣) والثالث في التحريم ﴿وإن تظاهرا عليه فإن الله هو مولاه وجبريل﴾^(٤) . وذكره بلفظ الجمع على سبيل التعظيم في أربعة مواضع ، الأول والثاني والثالث في آل عمران ﴿فنادته الملائكة﴾^(٥) يعني جبريل وحده بدليل قراءة ابن مسعود ﴿فناداه جبريل وهو قائم﴾ ﴿وإذ قالت الملائكة يامريم إن الله اصطفاك﴾^(٦) ﴿إذ قالت الملائكة يامريم إن الله يبشرك﴾^(٧) ، والرابع في القدر ﴿تنزل الملائكة والروح﴾^(٨) يعني جبريل ، والروحُ الوحي على قول عند بعض المفسرين .

(١) التوبة : ٢٨ (٢) البقرة : ٩٧ (٣) البقرة : ٩٨ (٤) التحريم : ٤
(٥) آل عمران : ٣٩ (٦) آل عمران : ٤٢ (٧) آل عمران : ٤٥ (٨) القدر : ٤

وذكر بلفظ الروح فى ثمانية مواضع - بلفظ الروح مطلقا وبإضافته إلى القدس وهو الطهارة ويوصفه بالأمانة - فقال : ﴿تخرج الملائكة والروح إليه﴾^(١) يعنى جبريل ﴿تنزل الملائكة والروح فيها﴾^(٢) ﴿فأرسلنا إليها روحنا﴾^(٣) ﴿وأيدناه بروح القدس﴾^(٤) فى موضعين فى البقرة وفى المائدة ﴿إذ أيدتك بروح القدس﴾^(٥) وفى النحل ﴿نزل به الروح الأمين على قلبك﴾^(٦) وفى الشعراء ﴿نزل به الروح الأمين على قلبك﴾^(٧) .

ووصفه فى موضع واحد بسبع صفات جميلة وهى الرسالة والكرم والقوة والقربة والمكانة وطاعة الملائكة له والأمانة ، وذلك فى سورة التكوين فى قوله تعالى : ﴿إنه لقول رسول كريم ذى قوة عند ذى العرش مكين مطاع ثم أمين﴾^(٨) .

وروى أبو الشيخ فى " العظمة " عن جابر بن عبد الله رضى الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ : أقرب الخلق إلى الله جبريل وميكائيل وإسرافيل ، وإنهم من الله لمسيرة خمسين ألف سنة .

وروى أبو الشيخ عن وهب ، قال : هؤلاء الأربعة الأملاك : جبريل وميكائيل وإسرافيل وملك الموت ؛ أول من خلقهم الله من الملائكة وآخر من يميتهم وأول من يحييهم ، وهم المدبرات .

وروى أبو الشيخ عن خالد بن أبى عمران قال : جبريل أمين الله تعالى

(١) المعارج : ٤	(٢) القدر : ٤	(٣) مريم : ١٧	(٤) البقرة : ٨٧ و ٢٥٣
(٥) المائدة : ١١٠	(٦) النحل : ١٠٢	(٧) الشعراء : ١٩٣	(٨) التكوين : ١٩ - ٢١

شق الصدر الشريف

قال الحافظ الشامي : وقد تكرر شق صدره الشريف ﷺ أربع مرات :

(الأولى) وهو صغير في بني سعد . روى البيهقي عن إبراهيم بن طهمان قال : سألت سعدا عن قوله تعالى : ﴿ألم نشرح لك صدرك﴾^(١) فحدثني به عن قتادة عن أنس قال شُق بطنه من عند صدره إلى أسفل بطنه واستُخرج منه قلبه . . . إلى آخره .

وروى الإمام أحمد ومسلم عن أنس رضي الله عنه : أن رسول الله ﷺ أتاه جبريل وهو يلعب مع الغلمان فأخذه وصرعه ، فشق عن قلبه واستخرج القلب ، ثم شق القلب فاستخرج منه علة ، فقال : هذا حظُّ الشيطان منك ثم غسله في طست من ذهب بماء زمزم ، ثم لأمه وأعادته مكانه وجعل الغلمان ينعون إلى أمه - يعني مرضعته - فقالوا : إن محمدا قد قُتل فجاء وهو منتقع اللون ، قال أنس : فلقد كنت أرى أثر المخيط بصدره ﷺ .

وروى الإمام أحمد والدرامي والحاكم وصححه والطبراني والبيهقي وأبو نعيم عن عتبة بن عبد السلمي رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال : كانت حاضتي من بني سعد بن بكر فانطلقت أنا وابنٌ لها في بُهمٍ لنا ولم نأخذ معنا زاداً ، فقلت : يا أخي ! اذهب فأتنا بزاد من عند أمنا ، وانطلق أخي ومكثت عند البُهم فأقبل طيران كأنهما نسران ، فقال أحدهما لصاحبه : أهو

(١) الشرح : ١

هو؟ قال : نعم ، وأقبلأ يتدراى ، فأخذانى فبطحانى للققا فشقا بطنى ثم استخرجا قلبى فشقا واستخرجا منه علقتين سوداوين ، فقال أحدهما لصاحبه : أئتنى بماء تلج بالسكينة فذارها فى قلبى ، ثم قال أحدهما لصاحبه : حصه فحاصه وختم عليه بخاتم النبوة ، وذكر الحديث . البهم : جمع بهيمة وهي الصغير من أولاد الغنم ، وحصه : بحاء مضمومة أي خطه .

(المرة الثانية) وهو ﷺ ابن عشر سنين ، روى عبد الله بن الإمام أحمد فى "زوائد المسند" بسند رجاله ثقات وابن حبان والحاكم وأبو نعيم وابن عساكر والضياء فى "المختارة" عن أبي بن كعب أن أبا هريرة قال : يارسول الله ! ما أول ما ابتدئت به من أمر النبوة؟ قال : (إنى لفى صحراء ، ابن عشر حجج إذا أنا برجلين فوق رأسى يقول أحدهما لصاحبه : أهو هو؟ فأخذانى فاستقبلانى بوجوه لم أرها بخلق قط ، وأرواح لم أجدها من خلق قط ، وثياب لم أرها على أحد قط ، فأقبلا إلى ىمشان حتى أخذ كل منهما بعضدى لا أجد لأحدهما مسًا ، فقال أحدهما لصاحبه : أضجعه ، فأضجعانى بلا قصر ولا هصر) . وفى لفظ : (فلصقانى لحلاوة القفا ثم شقا بطنى) . وفى لفظ ، (فقال أحدهما لصاحبه : افلق صدره فجرى أحدهما إلى صدرى ففلقه فيما أرى بلام ولا وجع ، وكان أحدهما يختلف بالماء فى طست من ذهب ، والآخر يغسل جوفى) ، وفى رواية : (فقال أحدهما لصاحبه : افلق صدره ، فإذا صدرى فيما أرى مفلقا لا أجد له وجعا ، ثم قال : شق قلبه فشق قلبى فقال : أخرج الغل والحسد منه ، فأخرج شبه

العلاقة فنبدبه ، ثم قال : أدخل الرأفة والرحمة قلبه ، فأدخل شيئاً كشبه القصة ثم أخرج ذروراً كان معه فذره عليه ، ثم نقر إبهامى ، ثم قال : اغد واسلم ، فرجعت بما لم أعد به من رحمتى للضعيف ورقتى على الكبير) .
الحجج : السنون . والأرواح : جمع ريح بمعنى الرائحة .
وبلا قصر : قصرت الثوب أرخيته أى بلا استرخاء .

ولاهصر : هصره ثناه إلى الأرض . وحلاوة القفا بثليث الحاء : وسط القفا .
(المرة الثالثة) عند البعثة . روى أبو داود الطيالسى والحارث بن أبى أسامة فى "مسنديهما" والبيهقى وأبو نعيم كلاهما فى "الدلائل" عن عائشة رضى الله تعالى عنها : أن النبى ﷺ نذر أن يعتكف شهراً هو وخديجة فوافق ذلك شهر رمضان ، فخرج ذات ليلة فسمع "السلام عليك" قال : فظننتها فجأة الجن ، فجئت مسرعاً حتى دخلت على خديجة ، فقالت : ما شأنك فأخبرتها ، فقالت : ابشر السلام خير ، ثم خرجت مرة أخرى فإذا أنا بجبريل جناح له بالشرق وجناح له بالمغرب فهلتُ منه فجئت مسرعاً فإذا هو بينى وبين الباب فكلمنى حتى أنست منه ، ثم وعدنى وعداً فأبطأ عليّ فأردت أن أرجع فإذا أنا به وبميكائيل قد سداً الأفق ، فهبط جبريل وبقي ميكائيل بين السماء والأرض ، فأخبرنى جبريل فألقانى لحلاوة القفا ، ثم شق عن قلبى فاستخرجه ثم استخرج منه ما شاء الله أن يستخرج ثم غسله فى طست من ماء زمزم ، ثم أعاده مكانه ثم لأمه ثم أكفانى كما يكفأ الإناء ، ثم ختم فى ظهرى حتى وجدت حس الخاتم ، فذكر الحديث . الفجأة : البعثة

وهلت منه : أي خفت . والأفق : الناحية . وحلاوة القفا : وسط القفا ،
وأكفأني : قلبني .

(المرة الرابعة) ليلة الإسراء . روى مسلم والبرقاني وغيرهما عن أنس قال :
قال رسول الله ﷺ : أتيت وأنا في أهلي فانطلق بي إلى زمزم فشرح
صدرى ، ثم أتيت بطست من ذهب ممتلئاً إيماناً وحكمة فحشى بهما صدرى .
قال أنس : ورسول الله ﷺ يرينا صدره - فخرج بي الملك إلى السماء الدنيا ،

وذكر حديث المعراج .

وروى الشيخان عن مالك بن صعصعة رضى الله عنه أن نبى الله ﷺ
حدثهم عن ليلة أسري به ، قال : بينا أنا فى الحطيم - وربما قال فى
الحجر - مضطجعاً إذ أتانى آت فجعل يقول لصاحبه : الأوسط من الثلاثة ،
فأتانى فشق ما بين هذه إلى هذه - يعنى من ثغرة نحره إلى شعرته - فاستخرج
قلبى ، فأتيت بطست من ذهب مملوءة إيماناً وحكمة ، فغسل قلبى ثم حُشى
ثم أعيد ثم أتيت بدابةً دون البغل وفوق الحمار) . . . الحديث رواه البخارى
من طريق شريك عن أنس رضى الله عنه .

فوائد مهمة تتعلق بشق الصدر :

(الفائدة الأولى) : قال الحافظ العراقي فى أول شرحه لتقريبه : قد أنكر صحة
وقوع شق الصدر ليلة الإسراء ابن حزم وعياض وادّعى أنه تخليط من شريك
وليس كذلك ، فقد ثبت فى الصحيحين من غير طريق شريك ، وقال الإمام
أبو العباس القرطبى فى " المفهم " لا يُلْتَفَت لإنكار شق الصدر ليلة الإسراء

لأن رواته ثقات مشاهير . وقال الحافظ ابن حجر : قد أنكر وقوع شق الصدر ليلة الإسراء بعضهم ، ولا إنكار في ذلك ، فقد تواردت به الروايات .
 (الفائدة الثانية) : قال القرطبي في "المفهم" والتوربشتي في "شرح المصابيح" والطيب في "شرح المشكاة" والحافظ ابن حجر والحافظ السيوطي وغيرهم : إن جميع ماورد من شق الصدر واستخراج القلب وغير ذلك مما يجب التسليم له دون التعرض لصرفه عن حقيقته لصلاحيه القدرة ، فلا يستحيل شيء من ذلك ، ويؤيده الحديث الصحيح أنهم كانوا يرون أثر المخيط في صدره ﷺ . قال الحافظ السيوطي : وما وقع من بعض جهلة العصر من إنكار ذلك وحمله على الأمر المعنوي وإلزام قائله القول بقلب الحقائق ، هو جهل صريح وخطأ قبيح ، نشأ من خذلان الله تعالى لهم لركونهم إلى العلوم الفلسفية وبعدهم عن دقائق السنّة ، عافانا الله تعالى من ذلك .

(الفائدة الثالثة) : قال العلامة ابن المنير : وشق الصدر له ﷺ وصبره عليه من جنس ما ابتلى الله تعالى به النبي صلى الله عليه وآله وصبر عليه ، بل هذا أشق وأجل لأن تلك معاريض وهذه حقيقة ، وأيضاً فقد تكرر ووقع له وهو صغير يتيم بعيد عن أهله صلى الله عليه وآله وسلم .

(الفائدة الرابعة) : سئل شيخ الإسلام أبو الحسن السبكي رحمه الله تعالى عن العلقة السوداء التي أخرجت من قلبه ﷺ حين شق فؤاده وقول الملك هذا حظ الشيطان منك ، فأجاب رحمه الله تعالى : بأن تلك العلقة خلقها الله تعالى في قلوب البشر قابلة لما يلقيه الشيطان فيها فأزيلت من قلبه ﷺ فلم

يبقى فيه مكانٌ لأن يلقى الشيطان فيه شيئاً ، هذا معنى الحديث ولم يكن للشيطان فيه حظ ، وأما الذى نفاه الملك فهو أمر فى الجبلة البشرية فأزِيل القابل الذى لم يكن يلزم من حصوله حصول القذف فى القلب . قيل له : فلم خلق الله تعالى هذا القابل فى هذه الذات الشريفة ، وكان يمكن أن لا يخلقه الله تعالى ؟ فقال : إنه من جملة الأجزاء الإنسانية فخلق تكملة للخلق الإنسانى ولا بد منه ونزعه كرامة ربانية طرأت . وقال غيره : لو خلق الله تعالى نبيه ﷺ كذلك ، لم يكن للأدَميين اطلاع على حقيقته ﷺ ، فأظهره الله تعالى على يد جبريل عليه السلام ليتحققوا كمال باطنه كما برز لهم مُكْمَل الظاهر ﷺ .

(الفائدة الخامسة): قال الشيخ أبو محمد بن أبى جمرة : الحكمة فى شق صدره ﷺ مع القدرة على أن يمتلئ قلبه إيماناً وحكمة من غير شق ، الزيادة فى قوة اليقين لأنه أعطي برؤيته شق صدره وعدم تأثره بذلك ما أَمِن معه من جميع المخاوف العادية ، فلذلك كان ﷺ أشجع الناس حالاً ومقلاً ، ولذلك وُصِف بقوله تعالى : «ما زاغ البصر وما طغى» (١) .

(الفائدة السادسة): قال الحافظ : هل كان شق صدره وغسله مختصاً به أو وقع لغيره من الأنبياء ؟ وقد وقع عند الطبرى فى قصة تابوت بنى إسرائيل أنه كان فيه الطست التى تغسل فيها قلوب الأنبياء ، وهذا مشعر بالمشاركة ، ورجح الحافظ السيوطى اختصاصه به ﷺ .

(١) النجم : ١٧

قال الحافظ ابن حجر رحمه الله بعد أن ذكر الأولى والثانية والثالثة ولكل من الثلاث حكمة : فالأولى كانت في زمن الطفولة لينشأ على أكمل الأحوال من العصمة من الشيطان ، ثم عند البعث زيادة في إكرامه لتلقى ما يُلقى إليه بقلب قوي في أكمل الأحوال من التطهير ، ثم وقع عند إرادة العروج إلى السماء ليتأهب للمناجاة .

قال الحافظ الشامي : قلت : وسئلت عن حكمة المرة الثانية مع ذكره (أى الحافظ ابن حجر) إياها في كتاب التوحيد (من فتح الباري) جازماً بها ، ويحتمل أن يقال : لما كان التمييز في ثامن سن التكليف شق صدره عليه الصلاة والسلام وقُدّس حتى لا يلتبس بشيء مما يعاب على الرجال ، والله أعلم .

قال الحافظ ابن حجر رحمه الله تعالى : ويحتمل أن تكون الحكمة في هذا الغُسل لتقع المبالغة في الإسباغ بحصول المرة الثالثة كما هي في شرعه ﷺ .

وقال ابن أبي جمرة رحمه الله تعالى : وإنما غسل قلبه وقد كان مقدساً وقابلاً لما يلقى فيه من الخير وقد غسل أولاً وهو صغير السن وأخرجت منه العلقة إعظاماً وتأهباً لما يلقى هناك - يعني في المعراج - وقد جرت الحكمة بذلك في غير ما موضوع ، مثل الوضوء للصلاة لمن كان متوضئاً لأن الوضوء في حقه إنما هو إعظام وتأهب للوقوف بين يدي الله تعالى ومناجاته ،

وكذلك أيضاً الزيادة على الواحدة والثنتين إذا أسبغ بالأولى لأن الأجزاء قد حصل وبقي ما بعد الإسباغ إلى الثلاث إعظاماً ، وكذلك غسل البطن هنا ، وقد قال تعالى : ﴿ومن يعظم شعائر الله فإنها من تقوى القلوب﴾ (١) فكان الغسل له ﷺ من هذا القبيل ، وإشارة لأتمته بالفعل بتعظيم الشعائر كما نص لهم عليه بالقول . وقال البرهان النعماني رحمه الله تعالى : قد حسن لداخل الحرم الشريف الغسل ، فما ظنك بداخل الحضر المقدسة ، فلما كان الحرم الشريف من عالم الملك وهو ظاهر الكائنات أنيط الغسل له بظاهر البدن في عالم المعاملات ، ولما كانت الحضرة الشريفة من عالم الملكوت وهو باطن الكائنات أنيط الغسل بباطن البدن في الحقيقة ، وقد عُرِج به لتعرض عليه الصلاة وليصلى بملائكة السماوات ، ومن شأن الصلاة الطهور فقدس ظاهراً وباطناً ﷺ .

فإن قلت : إن الله تعالى طهر الأنبياء من كل الأدران البشرية بالنورانية النبوية وسيدنا محمد ﷺ هو أكملهم ، وفي صفاء النور ما يغني عن التطهير الحسى . قلت : الأولى لعلم اليقين ، والثانية لعين اليقين ، والثالثة لحق اليقين .

(الفائدة الثامنة) : قال الحافظ ابن حجر : وقع ذلك من غير مشقة ، وبه جزم ابن الجوزي فقال : فشقه وماشق عليه .

(الفائدة التاسعة) : وقع السؤال هل كان شق صدره ﷺ بآلة أم لا ؟ ولم يجب عنه أحدٌ ، وظاهر قوله " فشق " أنه كان بآلة ، ويدل لذلك قول الملك في

حديث أبي ذر (خط بطنه فخاطه) وفي لفظ عن عتبة بن عبد (فحصه فحاصه) وفي حديث أنس (كانوا يرون أثر المخيط في صدره ﷺ).

(الفائدة العاشرة): في حديث أبي ذر : وأتيت بالسكينة كأنها برهرهة فوضعت في صدري .

قال ابن الأنباري : البرهرهة السكينة المعوجة الرأس التي تسميها العامة بالمنجل بالجيم .

وقال الخطابي : عثرت على رواية وفيها (أنه شق عن قلبه ، قال : فدعا بسكينة كأنها درهمه بيضاء) فوقع لى أنه أراد بالبرهرهة سكينة بيضاء صافية الحديد تشبيها بالبرهرهة من النساء في بياضها وصفائها .

قال ابن دحية : والصواب في هذه اللفظة السكينة بالتخفيف ، لأنه قال بعد شق البطن (ثم أتيت بالسكينة كأنها برهرهة فوضعت في صدري) وإنما عني بها السكينة التي هي في أصل اللغة فعيلة من السكون وهي أكثر ما يأتي في القرآن العظيم بمعنى السكون والطمأنينة .

(الفائدة الحادية عشرة): خص الطست بما ذكر لكونه أشهر الآتية للغسل عرفاً .

(الفائدة الثانية عشرة): قال السهيلي : وخص الذهب لكونه مناسباً للمعنى الذي قصد به ، وإن نظرت إلى لفظ الذهب ، فمطابق للذهاب ، وإن الله تعالى أراد أن يذهب عنه الرجس ويطهره تطهيراً ﷺ ، وإن نظرت إلى معنى الذهب وأوصافه وجدته أنقى شيء وأصفاه .

(الفائدة الثالثة عشرة) : قال النووي : ليس فى هذا الخبر ما يؤهم استعمال إناء الذهب والفضة لأن هذا فعل الملائكة واستعمالهم ، وليس بلازم أن يكون حكمهم حكماً ، ولأنه كان قبل تحريم النبى ﷺ استعمال أوانى الذهب والفضة . اهـ أى لأن التحريم إنما وقع فى المدينة كما نبه عليه الحافظ ابن حجر .

(الفائدة الرابعة عشرة) : يؤخذ من غسل قلبه ﷺ بماء زمزم أنه أفضل المياه ، وبه جزم الإمام البلقينى . قال ابن أبى جمرة : إنما لم يغسل بماء الجنة لما اجتمع فى زمزم من كون أصل مائه من الجنة ثم استقر فى الأرض ، فأريد بذلك بقاء بركته ﷺ فى الأرض . وقال غيره : لما كان ماء زمزم أصل ما أوتيهِ إسماعيل ﷺ وقد ربى عليه ونما عليه قلبه وجسده وصار هو صاحبه وصاحب البلدة المباركة ، ناسب أن يكون ولده الصادق المصدوق كذلك ، ولما فيه من الإشارة إلى اختصاصه بذلك بعده فإنه قد صارت الولاية إليه فى الفتح ، فجعل السقاية للعباس وولده ، وحجابه البيت لعثمان بن شيبه وعقبه إلى يوم القيامة .

(الفائدة الخامسة عشرة) : الحكمة فى غسل صدره ﷺ بماء الثلج والبرد هى ما فيهما من الصفاء وعدم التكدر بالأجزاء الترابية التى هى محل للأرجاس وعنصر الأكدار ، والإيماء إلى أن الوقت يصفو له ولأمته ويروق لشريعته الغراء وستته ، والإشارة إلى ثلوج صدره أى انشراحه بالنصر على أعدائه والظفر بهم ، والإيذان ببرودة قلبه أى طمأنينته على أمته بالمغفرة لهم

والتجاوز عن سيئاتهم .

وقال ابن دحية : إنما غسل قلبه بالثلج لما يشعر به من ثلج اليقين إلى قلبه ، وقد كان ﷺ يقول بين التكبير والقراءة (اللهم اغسلني من خطاياي بالثلج والبرد) . وأراد تعالى أن يغسل قلبه بماء حمل من الجنة في طست من ذهب ممتلئ حكمة وإيماناً ليعرف قلبه طيب الجنة ويجد حلاوتها ، فيكون في الدنيا أزهد وعلى دعوة الخلق إلى الجنة أحرص ، ولأنه كان له أعداء يتقوّلون عليه ، فأراد الله تعالى أن ينفي عنه طبع البشرية من ضيق الصدر وسوء مقالات الأعداء ، فغسل قلبه ليورث ذلك صدره سعة ويفارقه الضيق كما قال تعالى : ﴿ ولقد نعلم أنك يضيق صدرك بما يقولون ﴾ (١) فغسل قلبه غير مرة فصار بحيث إذا ضرب أو شج رأسه أو كُسرت ربايعيته كما في يوم أحد يقول : (اللهم اغفر لقومي فإنهم لا يعلمون) .

(الفائدة السادسة عشرة) : جاء في رواية : أن المغسول البطن ، فقليل : المراد بالبطن هنا ما بطن وهو القلب ، واستظهره بعضهم لأنه جاء في رواية ذكر القلب ولم يذكر البطن ، ويحتمل أن تحمل كل رواية على ظاهرها ، ويقع الجمع بينهما بأن يُقال : أخبر ﷺ مرةً يغسل البطن ولم يتعرض لذكر القلب فيكون الغسل قد حصل فيهما معاً مبالغةً في تنظيف المحل .

(الفائدة السابعة عشرة) : قال السهيلي : فإن قيل : كيف يكون الإيمان والحكمة في طست من ذهب ، والإيمان عرض والأعراض لا يوصف بها إلا محلها والذي تقوم به ، ولا يجوز فيها الانتقال لأن الانتقال من صفة الأجسام

لأمن صفة الأعراض ؟ ، قلنا : إنما عبر عما فى الطست بالحكمة والإيمان
كما عبر عن اللبن الذى شربه وأعطى فضله عمر بن الخطاب بالعلم ، فكان
تأويل ما أفرغ فى قلبه إيماناً وحكمةً ، ولعل الذى كان فى الطست ثلجاً وبرداً
كما ذكر فى الحديث الأول ، فعبر فى المرة الثانية بما يؤول إليه ، وعبر عنه فى
المرة الأولى بصورته التى رآها ، لأنه فى الأولى كان طفلاً فلما رأى الثلج
فى طست الذهب اعتقده ثلجاً حتى عرف تأويله بعد ، وفى المرة الأخرى
كان نبياً فلما رأى طست الذهب مملوءً ثلجاً علم التأويل لحينه واعتقده فى
ذلك المقام حكمة وإيماناً ، فكان لفظه فى الحديثين على حسب اعتقاده فى
المقامين . اهـ .

وقال النووى والحافظ ابن حجر : المعنى جعل فى الطست شئ يحصل
به زيادة فى كمال الإيمان وكمال الحكمة . وهذا المملوء يحتمل أن يكون
على الحقيقة ، وتحسد المعانى جائز كما جاء أن سورة البقرة تجئ يوم القيامة
كأنها الظلة ، والموت فى صورة كبش ، وكذلك وزن الأعمال وغير ذلك
من أحوال الغيب .

وقال البيضاوى فى "شرح المصابيح" : لعل ذلك من باب التمثيل إذ
تمثيل المعانى وقع كثيراً كما مثَّلت له الجنة والنار فى عرض الحائط (بضم
العين المهملة) وفائدته : كشف المعنوى بالمحسوس . وأشار النووى بقوله :
جعل فيه شئ يحصل به زيادة فى كمال الإيمان وكمال الحكمة . . إلى
آخره ، إلى أنه ﷺ كان متصفاً بأقوى الإيمان .

(الفائدة الثامنة عشرة): المملوء البطن والصدر ، ففي رواية ذكر البطن وفي غيرها ذكر القلب . والظاهر أنهما ملئاً معاً وأخبر ﷺ في رواية بالبطن وأخبر في أخرى بالقلب ، ويحتمل أن يكون أراد القلب وذكر البطن توسعة لأن العرب تسمي الشيء بما قاربه أو بما كان فيه ، وقد قال تعالى : ﴿فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره للإسلام﴾ (١) والمراد بالصدر في الآية القلب ، فسماه باسم ما هو فيه وهو الصدر .

(الفائدة التاسعة عشرة): اختلف في تفسير الحكمة ، ف قيل إنها العلم المشتمل على معرفة الله مع نفاذ البصيرة وتهذيب النفس وتحقيق الحق للعمل به والكف عن ضده ، والحكيم من حاز ذلك . قال الإمام النووي : هذا ما صفا لنا من أقوال كثيرة . اهـ .

وقد تطلق الحكمة على القرآن وهو مشتمل على ذلك كله وعلى النبوة كذلك ، وقد تطلق على العلم فقط ، وعلى المعرفة فقط ، ونحو ذلك .

وقال الحافظ ابن حجر : أصح ما قيل فيها أنها وضع الشيء في محله أو الفهم في كتاب الله تعالى .

وعلى التفسير الثاني قد توجد الحكمة دون الإيمان وقد لا توجد ، وعلى الأول فقد يتلازمان لأن الإيمان تدل عليه الحكمة .

(الفائدة العشرون): قال بعض العلماء : المراد بالوزن في قوله (زنه بعشرة من أمته . . . إلى آخره) الوزن الاعتباري فيكون المراد بالرجحان الفضل وهو

(١) الأنعام : ١٢٥ .

كذلك ، وفائدة فعل الملكين ذلك ليعلم رسول الله ﷺ ذلك حتى يخبر به غيره ويعتقده ، إذ هو من الأمور الاعتقادية . قال الحافظ الشامي : (١) وسألت شيخ الإسلام برهان الدين ابن أبي شريف رحمه الله تعالى عن هذا الحديث قبل وقوفى على الكلام السابق ، فكتب لى بخطه : هذا الحديث يقتضى أن المعانى جعلها الله تعالى ذوات فعند ذلك قال الملك لصاحبه : اجعله فى كفة واجعل ألفا من أمته فى كفة ففعل فرجح ماله ﷺ رجحاناً طاش معه ما للألف بحيث تخيل إليه أنه سقط بعضهم ، ولما عرف الملكان منه الرجحان وأن معنى لو اجتمعت المعانى كلها التى للأمة ووضعت فى كفة ووضع ماله ﷺ لرجح على الأمة قالوا : لو أن أمته وزنت به مال بهم لأن مآثر خير الخلق وما وهبه الله تعالى له من الفضائل يستحيل أن يساويها غيرها . اهـ .

والله اعلم بالصواب .

والله اعلم بالصواب .

والله اعلم بالصواب .

والله اعلم بالصواب .

والله اعلم بالصواب .

والله اعلم بالصواب .

والله اعلم بالصواب .

والله اعلم بالصواب .

(١) معراج الشامي المسمى بالآيات العظيمة الباهرة .

والله اعلم بالصواب .

لَا حَظَّ لِلشَّيْطَانِ فِي سَيْدِ وَلَدِ عَدْنَانَ

جاء في قصة الإسراء والمعراج أن جبريل استخرج قلب سيدنا محمد ﷺ فغسله بماء زمزم وتزع ماكان به من أذى ، وفي رواية : أنه أخرج من قلبه علقه سوداء ، وقال : هذه حظ الشيطان منك .

قال الشيخ الدردير : أى محل وسوسته منك وتسلطه لو كان له عليه سبيل ، ولعلّه بقي منها بقية من الغسلات الأوّل ، وإلا فقد أخرجت في المرة الأولى وإنما خلق بها تكميلاً للخلقة الإنسانية ، وأيضا لو خلق سليماً منها لم يكن للآدميين اطلاع على حقيقته فأظهر الله ذلك على يد جبريل ليتحققوا كمال ياطنه كما برز لهم مكمل الظاهر ، وإنما ولد مختونا لئلا تنكشف عورته وهو لا يليق بكرامته ، وقد ورد أن من رأى عورته عمي^(١) .

كمال خلق القلب المحمدي :

اعلم أن قلب سيدنا محمد ﷺ وهو خير القلوب وأوسعها وأقواها وأتقها وأنقاها وألينها وأرقها ، وهو القلب الواعي اليقظان القياض بأنوار الإيمان والقرآن .

فخير القلوب قلبه الشريف ﷺ ، جاء في مسند أحمد وغيره عن ابن مسعود رضي الله عنه أنه قال : إن الله تعالى نظر في قلوب العباد فوجد قلب محمد ﷺ خير قلوب العباد فاصطفاه لنفسه وابتعثه برسالته . ثم نظر

(١) حاشية الدردير على معراج الغيطي ص ٤ .

فى قلوب العباد فوجد قلوب أصحابه خير قلوب العباد ، فجعلهم وزراء
نبي الله ﷺ يقاتلون عن دينه . فما رآه المسلمون حسناً فهو عند الله حسن ،
وما رآه المسلمون سيئاً فهو عند الله سيء .

قال الحافظ القسطلانى : واستخراج القلب وغير ذلك من الأمور
الخارقة للعادة ، مما يجب التسليم له دون التعرض لصرفه عن حقيقته
لصلاحية القدرة فلا يستحيل شيء من ذلك (١) .

لقد أعطى الله تعالى رسوله ﷺ يقظة القلب ، فهو فى توجه إلى الله
تعالى ووعى عنه دائمين لاتعثر به غفلة ولا يطرأ على قلبه ﷻ شائبة نومة ،
ولذا كانت رؤياه المنامية من جملة الوحي وأنواعه ، كما أن نومه لا ينقض
وضوءه ﷻ ، وقد ثبت ذلك بالأحاديث الصحيحة ، وفى صحيح البخارى
 وغيره عن عائشة رضى الله عنها فى حديث قيام النبي ﷺ بالليل : قالت
عائشة : قلت يا رسول الله ! أتنام قبل أن توتر؟ فقال : (يا عائشة إن عينيَّ
تنامان ولا ينام قلبي) .

وفى سنن الدارمى : أتى النبي ﷺ فقيل له : لتنم عينك ولتسمع أذنك
ولي عقل قلبك ، قال : فنامت عيناى وسمعت أذناى وعقل قلبى ، فقيل لى :
سيد بنى داراً فصنع مأدبةً وأرسل داعياً فمن أجاب الداعى دخل الدار وأكل
من المأدبة ورضي عنه السيد ، ومن لم يجب الداعى لم يدخل الدار ولم
يظعم من المأدبة وسخط عليه السيد ، قال : فالله السيد ، ومحمد الداعى ،

(١) المواهب اللدنية للقسطلانى ١/ ٧٥ .

والدار الإسلام ، والمأدبة الجنة » .

فائدة مهمة : قال الحبيب الامام العارف بالله السيد علي الحبشى فى قضية شق الصدر وإخراج حظ الشيطان منه كما جاء فى الأخبار والآثار :

وما أخرج الأملأك من قلبه أذى ولكنهم زادوه طهراً على طهر

يقول محمد علوى مؤلفه : ووقع فى قلبى معنى آخر وهو أن قلب سيدنا محمد ﷺ مملوء بالرحمة بل هو متبعها وأصلها ، كما قال الله تعالى : «وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين»^(١) وهذه الرحمة شاملة كاملة ، لأنها رحمة الله التى وسعت كل شيء ، ولكن الله سبحانه وتعالى أخرج الشيطان وأعوانه وإخوانه ومن قدر عليه الشقاء من هذه الرحمة ، فلا نصيب لهم فيها ولا شيء لهم منها ، ويكون المعنى حينئذ أنهم أخرجوا من قلبه الشريف حظ الشيطان من رحمته ، فلا حظ للشيطان فى هذه الرحمة ، والله أعلم .

خاتم النبوة :

جاء ذكره فى قصة الإسراء والمعراج وأن جبريل ختم بين كتفيه بخاتم النبوة ، وهو مارواه ابن جرير وابن أبى حاتم والبخارى وأبو يعلى .

وقد اختلف فى خاتم النبوة على أقوال كثيرة متقابلة المعنى (أحدها) مثل زر الحجلة ، روى الشيخان عن السائب بن يزيد قال : قمت خلف ظهر النبى ﷺ فنظرت إلى خاتم النبوة بين كتفيه مثل زر الحجلة . وزر الحجلة هو واحد الأزرار التى يشد بها الكلل والستور ، وقيل أراد بالحجلة الطائر

(١) الأنبياء : ١٠٧

المعروف ، وزرّها بيضتها .

(الثاني) أنه كجُمع أى قبضة الكف ، روى مسلم عن عبد الله بن سرجس قال : نظرت إلى خاتم النبوة بين كتفيه ﷺ عند نغض كتفه اليسرى جُمعاً عليه خيلان .

(الثالث) أنه كبيضة الحمامة ، روى مسلم عن جابر بن سمرة رضى الله عنه قال : رأيت خاتم النبوة بين كتفى النبی ﷺ مثل بيضة الحمامة يشبه جسده . وروى أبو الحسن بن الضحاك عن سلمان رضى الله عنه قال : رأيت الخاتم بين كتفى رسول الله ﷺ مثل بيضة الحمامة .

(الرابع) أنه شعر مجتمع ، روى الإمام أحمد والترمذى والحاكم وصححه وأبو يعلى والطبرانى عن عمرو بن أخطب الأنصارى رضى الله عنه قال : قال لى رسول الله ﷺ : (ادنْ فامسح ظهري) ، فدنوت فمسحت ظهره ووضعت أصابعى على الخاتم ، فقليل له ما الخاتم ؟ قال : شعر مجتمع عند كتفه . ورواه أبو سعيد النيسابورى بلفظ (شعرات سود) .

(الخامس) أنه كان كالسلعة ، روى الإمام أحمد وابن سعد والبيهقى من طرق عن أبى رمثة قال : انطلقت مع أبى إلى رسول الله ﷺ فنظرت إلى مثل السلعة بين كتفيه .

(السادس) أنه بضعة ناشزة ، روى الترمذى عن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه قال : الخاتم الذى بين كتفى رسول الله ﷺ بضعة ناشزة .

(السابع) أنه مثل البندقة ، روى ابن حبان في صحيحه من طريق إسحاق بن إبراهيم قاضي سمرقند حدثنا ابن جريح عن عطاء عن ابن عمر رضي الله تعالى عنهما قال : كان خاتم النبوة على ظهر النبي ﷺ مثل البندقة من لحم مكتوب فيها "محمد رسول الله" ﷺ . قال الحافظ الهيثمي في "موارد الزمآن إلى زوائد ابن حبان" بعد أن أورد هذا الحديث : اختلط على بعض الرواة خاتم النبوة بالخاتم الذي يختم به الكتب .

(الثامن) أنه مثل التفاحة ، وروى الترمذي عن أبي موسى رضي الله عنه قال : كان خاتم النبوة أسفل من غضروف كتفه مثل التفاحة .

(التاسع) أنه كأثر المحجم ، روى الإمام أحمد والبيهقي عن التنوخي رسول هرقل في حديثه الطويل ، قال : فإذا أنا بخاتم في موضع غضروف الكتف مثل المحجمة الضخمة .

(العاشر) أنه كشامة سوداء تضرب إلى الصفرة ، روي عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت : كان خاتم النبوة كشامة سوداء تضرب إلى الصفرة ، حولها شعرات متراكبات كأنها من عرف الفرس ، رواه أبو بكر بن أبي خيثمة من طريق صحيح بن عید الله الفرغاني ، قال حدثنا عبد العزيز بن عبد الصمد وهو غير ثابت .

(الحادي عشر) أنه شامة خضراء محفورة في اللحم قليلاً ، نقله ابن أبي خيثمة في "تاريخه" عن بعضهم وهو غير ثابت أيضاً .

(الثاني عشر) أنه كركبة عنز ، روى الطبراني وأبو نعيم في " المعرفة " عن عباد ابن بشر رضى الله عنه قال : كان خاتم النبوة على طرف كتفه الأيسر كأنه ركة عنز ، وكان رسول الله ﷺ يكره أن يُرى الخاتم . وسنده ضعيف .

(الثالث عشر) أنه كبيضة حمام مكتوب في باطنها " الله وحده لا شريك له " وفي ظاهرها " توجه حيث شئت فإنك منصور " رواه الحكيم الترمذى وأبو نعيم ، قال فى " الموارد " وهو حديث باطل .

(الرابع عشر) أنه كنور يتلألأ رواه عايد - بعين مهملة وياء تحتية وذال معجمة - عن شداد بن أوس .

(السادس عشر) أنه غدة كغدة الحمامة ، رواه ابن أبى عاصم فى " سيرته " .

(السابع عشر) أنه كتينة صغيرة تضرب إلى الدهمة ، روي ذلك عن عائشة رضى الله تعالى عنها .

(الثامن عشر) أنه كشى يختم به ، روى ابن أبى شيبة عن عمرو بن أخطب بن زيد الأنصارى رضى الله عنه قال : رأيت الخاتم على ظهر رسول الله ﷺ فقال هكذا بظفره كأنه يختم به .

(التاسع عشر) أنه كان بين كتفيه كدارة القمر مكتوب فيها سطران ، الأول : " لا إله إلا الله " وفى السطر الثانى الأسفل : " محمد رسول الله " رواه أبو الدحداح أحمد بن إسماعيل الدمشقى فى الجزء الأول من حديثه ، قال فى " الموارد " ، وهو باطل بين البطلان .

(العشرون) أنه كبيضة نعامة ، روى ابن حبان فى صحيحه عن جابر بن سمرة قال : رأيت خاتم النبوة بين كتفيه مثل بيضة النعامة يشبه جسده .

قال الحافظ أبو الحسن الهيثمى فى "موارد الظمآن" ، روى هذا فى حديث الصحيح فى صفته ﷺ ولفظه "مثل بيضة الحمامة" وهو الصواب ، ورواية ابن حبان غلط من بعض الرواة ، واختلف فى موضعه من جسده ﷺ ، ففى صحيح مسلم أنه عند نغض كتفه اليسرى ، وفى رواية عن سلمان : أنه عند غصروف كتفه اليمنى ﷺ ، قال العلماء : هذه الروايات متقاربة فى المعنى ، وليس ذلك باختلاف بل كلُّ راوٍ شبه بما سنع له ، فواحد قال كزر الحجلة وهو بيض الطائر المعروف أو أزرار البشخانة ، وآخر كبيضة حمامة ، وآخر كالتفاحة ، وآخر بضعة لحم ناشزة ، وآخر لحمة ناتئة ، وآخر كالمحجمة ، وآخر كركبة العنز ، وكلها ألفاظٌ مؤداها واحد وهو قطعة لحم ، ومن قال شعر فلأن الشعر حوله متراكب عليه كما فى الرواية الأخرى . قال أبو العباس القرطبى فى "المفهم" : دلت الأحاديث الثابتة على أن خاتم النبوة كان شيئاً بارزاً أحمر عند كتفه الأيسر إذا قلَّ قدر بيضة الحمامة وإذا كبر قدر جمع اليد ، وذكر نحوه القاضى وزاد : وأما رواية جمع الكف فظاهرها المخالفة فتوَلَّ على وفق الروايات الكثيرة ويكون معناها على هيئة جمع الكف ، لكنه أصغر منه فى قدر بيضة الحمامة .

الحكمة فى الخاتم :

قال السهيلي : والحكمة فى كون الخاتم عند نغض كتفه الأيسر أنه

معصوم من وسوسة الشيطان وذلك الموضع منه يوسوس لابن آدم ، قال :
والحكمة فى وضع خاتم النبوة على جهة الاعتبار أنه لما ملئ قلبه إيماناً ختم
عليه كما يختم على الوعاء المملوء مسكاً ودرّاً ، فجمع الله تعالى أجزاء
النبوة لسيدنا رسول الله ﷺ وختم عليه بختمه ، فلم يجد عدوه سبيلاً إليه
من أجل ذلك الخاتم ، لأنّ الشئ المختوم محروس ، وكذلك تدبير الله تعالى
لنا فى هذه الدار إذا وجد أحدنا الشئ بختمه زال الشك وانقطع الخصام فيما
بين الآدميين ، فلذلك ختم ربّ العالمين فى قلبه ختماً يطمئن له القلب وألقى
النور فيه وتّقوّت قوّته القلبية فظهر بين كتفيه كالبيضة .

تاريخ وضع الخاتم :

قال الحافظ : تقتضى الأحاديث أن الخاتم لم يكن موجوداً حين ولادته
ﷺ ، وإنما كان أول وضعه عند شق صدره عند حلّمة ، وفيه تعقب على
من زعم أنه ولد به ، وهو قول نقله فى " الفتح " بلفظ قيل ولده وقيل حين
وضع ، ونقله مغلطاً عن ابن عائد ، قال الحافظ ابن حجر : وما تقدم
أثبت ، قال الحافظ الشامى بعده : قلت : وصححه فى " العرر " يعنى أنه إنما
وضع عند شق صدره الشريف عند حلّمة ، ومقتضى الأحاديث أن الختم
تكرر ثلاث مرات :

(الأولى) وهو فى بلاد بنى سعد عند مرضعته حلّمة .

(والثانية) عند البعث .

(والثالثة) عند الإسراء .

قال : ولم أقف فى شئ من أحاديث شق صدره ﷺ وهو ابن عشر سنين على ذكر الخاتم ، والله تعالى أعلم .

قال الشيخ الدردير فى الجمع بين الأقوال : ولا مانع من أن يكون ولد بأثر ولم يظهر بحيث يكون قدر بيضة الحمامة إلا بعد شق الصدر جمعاً بين الروايات ، وسئل البرهان الحلبي هل خاتم النبوة من خصائص النبي ﷺ أو كل نبي محتوم بخاتم النبوة؟ فأجاب : لا أستحضر فى ذلك شيئاً ولكن الذى يظهر أنه خص به ﷺ لمعان :

منها أنه إشارة إلى أنه خاتم النبيين وليس كذلك غيره ، ولأن باب النبوة ختم به فلا يفتح بعده ، وروى الحاكم عن وهب بن منبه قال : لم يبعث الله نبياً إلا وقد كانت عليه شامة النبوة فى يده اليمنى ، إلا نبينا ﷺ فإن شامة النبوة كانت بين كتفيه . اهـ فعلى هذا يكون وضع الخاتم بظهر النبي ﷺ مما اختص به عن الأنبياء وجزم به الشيخ يعنى شيخه الحافظ السيوطى فى "أمموج اللبيب" كما فى النسخ الصحيحة خلافاً لما وقع فى غيرها مما يخالف ذلك . وقيل إن خاتم النبوة رفع عند وفاته فكان بهذا عرف موته .

قال الشيخ عبد الباسط البلقينى فى "الاصطفاء" فإن قيل : النبوة والرسالة باقيتان بعد موت النبي ﷺ حقيقة كما بقي وصف الإيمان للمؤمن بعد موته لأن المتصف بالنبوة والرسالة والإيمان هو الروح ، وهى باقية لا تتغير بموت البدن ، كما صرح به النسفى ، فلم رفع ما هو علامة على ذلك؟ قلت : لأنه لما وضع لحكمة وهى تمام الحفظ والعصمة من الشيطان

وقد تم الأمن منه بالموت ، فلم يبق لبقائه فى جسده فائدة ، وما ذكره النسفى من بقاء النبوة والرسالة بعد موت الأنبياء حقيقة هو مذهب أبى الحسن الأشعرى وعامة أصحابه ، كما قاله النسفى لأن الأنبياء عليهم الصلاة والسلام عندهم أحياء فى قبورهم كما وردت به الأخبار .

(فائدة) روى الحافظ إبراهيم الحربى فى "غريبه" وابن عساكر فى "تاريخه" عن جابر رضى الله تعالى عنه قال : أردفنى رسول الله ﷺ خلفه فالتقمت خاتم النبوة بقمى فكان ينم على مسكاً .

الطست الذهبى الذى غسل فيه قلبه الشريف :

الطست فيه أربع لغات : كسر الطاء وفتحها مع السين المهملة والمعجمة ، وقد تبدل التاء سيناً وتدغم فى السين فيقال طس ، وهذه خامسة وهو إناء معروف ، والغالب عليه كونه من النحاس ، واختير على غيره لأنه أشهر آلات الاستعمال فى الغسل ، وكان من ذهب لأنه أصفى المعادن ولا يعلوه صدأ ولا تسلط عليه النار ولا التراب فهو مناسب فى المعنى لقلبه الشريف إذ هو أصفى القلوب ولا يعتريه الصدأ المعنوى ولا تسلط للشيطان عليه ، وأيضاً ليناسب ثقله ثقل الوحي ، ولما فيه من المناسبة اللفظية أيضاً وهى ذهاب الرعونات البشرية عنه ، أو لذهابه إلى الحضرة القدسية ، وجواز استعماله إما خصوصية له ﷺ ، وإما لكون حرمة لم تكن شرعت ، لأنه إنما حرم بعد الهجرة ، وإما لكونه من عالم الملكوت ، والمحرم إنما هو ما كان من عالم الملك ، وإما لأنه من أوانى الجنة وهى لا يحرم استعمالها ،

وإنما كان غسل قلبه الشريف بماء زمزم لأنه أفضل المياه بعد النابع من أصابعه الشريفة وبه جزم الإمام البلقيني وهو من ضربة جبريل بجناحه الأرض ، ولما قيل من أنه يقوى القلب وأنه من ماء الجنة وقد اكتسب من بركة الأرض ويليه ماء الكوثر ثم نيل مصر ، ونظم التقى السبكي ذلك بقوله :

وأفضل المياه ماء قد نبع بين أصابع النبي المتبع
يليه ماء زمزم فالكوثر فنيل مصر ثم باقى الأنهر

قال ابن أبى جمرة : إنما لم يغسل بماء الجنة لما اجتمع فى زمزم من كون أصل مائها من الجنة ثم استقر فى الأرض ، فأريد بذلك بقاء بركته ﷺ فى الأرض .

وقد جاء فى فضل زمزم أحاديث كثيرة ، وأشهرها حديث جابر قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : (ماء زمزم لما شرب له) رواه أحمد فى "المسند" وابن ماجه فى "السنن" وحسنه كثير من العلماء وصححه بعضهم ، وكتب فيه الحافظ ابن حجر رسالة خاصة ذكرها أخونا الأستاذ الدكتور سائد بكداش فى كتابه الجامع النفيس "فضل ماء زمزم" ، وللعلامة المحدث الشريف محمد بن إدريس القادري الحسنى رسالة أيضا سماها "إزالة الدهش والوله عن المتحير فى صحة حديث ماء زمزم لما شرب له" وهى مطبوعة .

البُراق

البُراق بضم الموحدة مأخوذة من البريق بمعنى البياض ، لما يأتي من أنه أبيض ، وهو أشرف الألوان ، أو من البرق لسرعة سيره . أرسله الله تعالى له من الجنة إجلالاً وتعظيماً على عادة الملوك إذا استدعوا عظيمًا بعثوا إليه النجيب مهياً مع أعز خواصه للحضور ، فهو من عالم الغيب ، لا يوصف بذكورة ولا بأنوثة كالملائكة ، وأما ضميره فتارة يُذكر وتارة يؤنث ، كما يأتي في القصة .

وقوله (مسرجاً ملجماً) حالان ، وهو بهذه الهيئة من خصوصياته كما قال العلماء ، بخلاف ركوب غيره من الأنبياء ، وقيل وكان سرجه من لؤلؤة بيضاء ولجامه من ياقوتة حمراء . قيل ومكتوب بين عينيه سطران ، أحدهما " لا إله إلا الله " والثاني " محمد رسول الله " .

ويؤخذ من كونه مسرجاً ملجماً أنه من ذوات الأربع ، وكذا من قوله طويل فوق الحمار . . . الخ . وقوله فوق الحمار بيان لطوله . وكونه بهذه الصفة ولم يكن كالخيل إشارة لخرق العادة من وجوه : الأول : أنه لم يكن على صفة دواب الدنيا . والثاني : سرعة السير من دابة بذلك الوصف ولم يكن كالخيل ولا أكبر ، الثالث والرابع : ما يأتي من وضع حافره عند منتهى طرفه وطول يديه على رجليه تارة وعكسهما أخرى ، وغير ذلك .

قال ابن دحية : فإن قيل : هلاً كان الإسراء على أجنحة الملائكة أو الريح كما كانت تحمل سليمان ، أو الخطوة كطي الزمان ؟ قلت : المراد إطلاعه

على الآيات الخارقة للعادة وما يتضمن أمراً عجيباً ، ولا عجب في حمل الملائكة أو الريح بالنسبة إلى قطع هذه المسافة ، بخلاف قطعها على دابة بهذا الحجم المحكي عن صفتها ، ووقع من تعظيمه بالملائكة ما هو أعظم من حمله على أجنحتها ، فقد أخذ جبريل بركابه وميكائيل بزمام البراق وهما من أكبر الملائكة ، فاجتمع له ﷺ حمل البراق وما هو كحمل البراق من الملائكة وهو أتم في الشرف ، قال ابن دحية : ربما خرج خرق العادة تأنيساً ، وقد كان الحق تعالى قادراً على أن يرفع نبيه ﷺ بدون البراق ، ولكن الركوب وصفة المركوب تأنيس في هذا المقام العظيم بطرف من العادة ، ولعل الإسراء بالبراق إظهار للكرامة العرفية ، فإن الملك العظيم إذا استدعى ولياً له وخصيصاً به وأشخصه إليه ؛ بعث إليه بمركوب سنيّ يحمله عليه في وفادته إليه ، ولم يكن البراق بشكل الفرس ولكنه بشكل البغل ، وكان ذلك - والله أعلم - للإشارة إلى أن الركوب في سلم وأمن لا في حرب وخوف ، أو لإظهار المعجزة في الإسراع العجيب من دابة ما يوصف شكلها بالإسراع الشديد عادة . فإن قيل : فقد ركب النبي ﷺ البغلة في الحرب؟! والجواب : كان ذلك لتحقيق نبوته عليه الصلاة والسلام في مواطن الطعن والضرب والانتصاب في نحر العدو ، ولإظهار ما كان الله تعالى خصه به ﷺ من مزيد الشجاعة ومزيد القوة ، وإلا فالبغال عادة مركوب الطمأنينة والأمن ، فبين أن الحرب عنده كالسلم ، قوة قلب ، وشجاعة نفس ، وثقة وتوكلاً على الله تعالى .

استصعاب البراق:

جاء فى القصة أن البراق استصعب ، أى نفر نفوراً قويا للإشارة إلى قوته ، وأنه متمكن من قطع المسافة الطويلة فى أسرع زمن وليس بالضعيف فلذا خاطبه جبريل مخاطبة العقلاء ، لما فيه من الإدراك عند أهل البصائر ، والإدراك بقوله : أما تستحيي (بياءين ، وروي بياء واحدة) يابراق فإن إمام المخلوقين مما لا ينبغي بحضرته إلا مزيد الأدب لا إظهار القوة . وقيل : إنما استصعب عجباً وتيهاً بركوب هذا الجنب العظيم ، ولذا قال : "فارفض" عرقاً " ، فكأنه أجاب بلسان الحال متبرئاً من الاستصعاب ، وعرق من خجل العتاب فارفض ، وقيل إن نفرته لبعده العهد بركوب الأنبياء وقد استبعده بعضهم ، وقيل ليَعده الرسول عليه الصلاة والسلام بالركوب عليه يوم القيامة ، لما ورد : إن الله أعدّ له فى الجنة أربعين ألف براق ترعى فى مروج الجنة ، فلما وعده بذلك قر وسكن . وفيه أن القصة لم تشر لذلك وإن كان قريباً فى نفسه ، فقد ورد : أنه ﷺ قال : تبعث ناقة ثمود لصالح فيركبها من عند قبره حتى يوافي بها المحشر ، وأنا على البراق اختصصت به من دون الأنبياء يومئذ ، ويبعث بلال على ناقة من نوق الجنة ينادى على ظهرها بالأذان حقاً . فإذا سمعت الأنبياء وأممها - أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً رسول الله - قالوا : ونحن نشهد على ذلك^(١) .

وقال ابن دحية وابن المنير : إنما استصعب تيهاً وزهواً بركوب النبى

(١) أخرجه الحاكم فى "المستدرک" وصححه وتعقبه الذهبى ، والحديث متكلم فيه ، كذا فى تاريخ دمشق لابن عساکر ٣١١/٣

ﷺ ، وأراد جبريل بقوله : " أُمحمد تستصعب " استنطاقه بلسان الحال أنه لم يقصد الصعوبة ، وإنما تاه لمكانة النبي ﷺ ، ولهذا قال : " فرفض عرقاً " فكأنه أجابه بلسان الحال فتبرأ من الاستصعاب ، وفرق من خجل العتاب وذلك قريب من رجفة الجبل به ﷺ حتى قال له : (أثبت فإنما عليك نبيٌ وصديقٌ وشهيدٌ) ، فإنها هزة طرب لا هزة غضب .

يقول كاتبه محمد بن علوى : هذه الأقوال أكثرها من اجتهاد العلماء واستنباطهم ولذلك ساقها المحققون بلفظ " قيل " وليس فى المرفوع الصحيح ، تعليل صريح .
أعوذ بوجه الله الكريم :

جاء فى القصة أن جبريل علّم النبي ﷺ أن يقول هذا الدعاء ، وهو : (أعوذ بوجه الله الكريم وبكلمات الله التامات التى لا يجاوزهن برٌّ ولا فاجر ، من شر ما ينزل من السماء ، ومن شر ما يعرج فيها ، ومن شر ما ذرأ فى الأرض ، ومن شر ما يخرج منها ، ومن فتن الليل والنهار ، ومن طوارق الليل والنهار ، إلا طارقاً يطرق بخير يا رحمن) .

قوله (أعوذ) أى أتحصن وأستجير بوجه الله أى ذاته المقدس (الكريم) المعطى الوهاب المستحيل عليه ضده ، وهو نعت للوجه أو لله (وبكلمات الله) التى لا تنفد أى لا تفرغ ، وهو كلامه القديم أو القرآن العظيم أو صفاته العلية . (التامات) التى لا يعترىها نقص ولا عيب . أو النافذات فى خلقه . (التى لا يجاوزهن) أى لا يتعداهن برٌّ أى صالح تقي ولا فاجر ولا فاسق

غوي . (من شر) متعلق بأعوذ . (ماينزل من السماء) أى من البلاء (ومن شر مايعرج فيها) أى مايصعد إليها من المعاصي الموجبة للغضب ونزول المحن والمصائب . وما أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم . (ومن شر ماذرا) بذال معجزة آخره راء أى ماخلق الله فى الأرض من كل مؤذ عاقل أو غيره ، وحش أو غيره . (ومن شر ما يخرج منها) أخص مما قبله أى يظهر من الهوام كالحيات والعقارب . (ومن فتن الليل والنهار) جمع فتنة ، وهى كل ما تعلقت به النفس واشتغلت به عن خالقها عز وجل ، من مال وولد وزوجة ، وأولى غيرها من المعاصي واللهو (ومن طوارق الليل والنهار) أى حوادثهما التى تصيب الإنسان بغتة . (إلا طارقا يطرق) بضم الراء أى يأتى بخير أى فائدة فيها سلامة الدين والدنيا من علم ومال طيب لا يشغل عن الله تعالى (يارحمن) أى يا منعم بجلال النعم .

المتكلمون فى المهد :

جاء فى القصة أن المتكلمين فى المهد أربعة ، تكلموا وهم صغار ، أولهم : رضيع ماشطة ابنة فرعون ، وثانيهم : شاهد يوسف عليه السلام حيث قال لسيد زليخا أى زوجها : إن كان قميصه . . . الخ ، أى قميص يوسف . والثالث : صاحب جريج العابد واسمه جرجيس ، وكان من خبره أنه كان يعبد الله تعالى فى صومعته أى متعبده ، فجاءته أمه ونادته من خارج الصومعة : يا جريج ! وهو يصلى ، فقال : يارب أمى وصلاتى ، فلم يجبها ودام على صلاته ، فانصرفت . ثم جاءته من الغد وهو يصلى ،

فنادته : يا جريج ! فقال : يارب أمي وصلاتي فدام على صلاته ولم يجيبها فانصرفت . فجاءت من الغد أيضا فقالت مثل ذلك فانصرفت وقالت : اللهم لا تمته حتى ينظر في وجوه المومسات (وفى الحديث : لو كان جريج فقيها لقطع صلاته وأجاب أمه) ، ثم اتفق أن تذاكر بنو إسرائيل في أمر جريج وكثرة عبادته ، وكان فيهم إذ ذاك امرأة بغية أي زانية ، لا يراها أحد إلا افتن بها ، فقالت : إن شئتم فتنته لكم ؟ فأتته وتعرضت له ، بما تقدر عليه فلم يلتفت إليها ، فلما أيسست منه جاءت لراع ومكثته منها فحملت ، فلما ولدت قالت لهم : إنه من جريج . فجاءوا إليه وهدموا صومعته وجعلوا يضربونه ، فقال لهم : ما شأنكم ؟ فقالوا له : قد زنت بهذه المرأة ، وهذا الولد منك . فقال لهم : قربوه مني ودعوني أصلي ركعتين . ففعلوا ، فلما انصرف من صلاته أتى الولد وطعنه بيده في بطنه وقال له : من أبوك يا غلام ؟ فقال : أبي فلان الراعي . فعلموا أن المرأة قد كذبت عليه ، فأقبلوا عليه يقبلون أعضاءه ويعتذرون إليه وسألوه أن ينوا له صومعته من ذهب ، فقال : ابنوها من طين كما كانت ، ففعلوا وعاد إلى عبادته حتى مات .

والرابع : عيسى عليه الصلاة والسلام في قوله : إني عبد الله آتاني الكتاب . . . الخ .

وزاد بعضهم عليهم سبعة ، جمعهم الجلال السيوطي في قوله :
تكلّم في المهدي النبي محمدٌ ويحيى وعيسى والخليل ومريم
ومبري^(١) جريج ثم شاهد يوسف وطفل لدى الأخدود يرويه مسلم

(١) أي مبرئ وهو الذي برأ جريجا

وطفلٌ عليه مُرَّ بالأمَّة (١) التي يُقال لها تزني ولا تتكلم
 وماشطةٌ في عهد فرعون طفلها وفي زمن الهادي المبارك يُختم
 وزاد بعضهم :
 ونوح يبطن الغار في يوم وضعه وموسى امن التنور والنار تضرم
 والخامس : سيدنا محمد ﷺ ذكر في " الخصائص " عن الحافظ ابن
 حجر أنه ﷺ تكلم أوائل ولادته ، وإن أول ما تكلم به (الله أكبر كبيراً
 والحمد لله كثيراً ، وسبحان الله بكرة وأصيلاً) وروي أنه عطس حين ولادته
 فحمد الله فشمتته الملائكة وردّ عليهم
 والسادس : يحيى بن زكريا عليهما السلام ذكروا أنه كان في غرفة وهو
 ابن سنة وشهر ، فلما ولد عيسى قال : أشهد أنك عبد الله ورسوله ، فسمع
 أبوه شهادته فخرج مُهرّولاً إليه فلم يجد عنده أحداً .
 والسابع : إبراهيم الخليل عليه الصلاة والسلام ، روي أنه حال ولادته
 نهض قائماً على قدميه قائلاً : لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، الحمد لله
 الذي هدانا لهذا . فبلغ هذا الصوت المشارق والمغارب وسائر الحيوانات .
 والثامن : مريم عليها السلام ، وذلك أن زكريا عليه السلام لما كفلها
 وضعها في غرفة في المسجد ، وكان عمرها دون سنتين ولم يكن يصعد إليها
 غيره ولم تطعم من ثدي أبداً ، فكان يجد عندها رزقاً فأكهه الشتاء في
 الصيف وعكسه ، فقال لها : أتى لك هذا؟ قالت : هو من عند الله إن الله
 يرزق من يشاء بغير حساب .

والتاسع : صاحب قصة الأخدود ، ذكره مسلم فقال : عن صهيب أن
 رسول الله ﷺ قال : كان ملكٌ فيمن كان قبلكم ، وكان له ساحر ، فلما كبر
 قال للملك : إني قد كبرت فابعث لي غلاماً أعلمه السحر ، فبعث إليه
 غلاماً يعلمه ، وكان في طريقه إذا سلك إليه راهب ، ففقد إليه وسمع كلامه
 فأعجبه ، فكان إذا أتى الساحر مرّ بالراهب وقعد إليه ، فإذا أتى الساحر
 ضربه ، وإذا رجع من عند الساحر قعد إلى الراهب وسمع كلامه ، فإذا أتى
 أهله ضربوه ، فشكا إلى الراهب ، فقال : إذا جئت إلى الساحر فقل :
 حبسني أهلي ، وإذا جئت إلى أهلك فقل : حبسني الساحر ، فبينما هو
 كذلك إذ أتى على دابة عظيمة ، وفي رواية على حية قد حبست الناس ،
 فقال : اليوم أعلم ، الراهب أفضل أم الساحر؟ فأخذ حجراً ثم قال : اللهم
 إن كان أمر الراهب أحب إليك من أمر الساحر فاقتل هذه الدابة حتى يمضي
 الناس ، فرماها فقتلها فمضى الناس . فأتى الراهب وأخبره فقال : أنت
 اليوم أفضل مني ، قد بلغ من أمرك ما ترى وإنك ستبتلى فإن ابتليت فلا تدل
 علي ، فكان الغلام يبصر الأكمه والأبرص ويداوي الناس من سائر
 الأدواء ، فسمع جليس للملك كان قد عمي فأتى بهدايا كثيرة ، فقال : هذا
 لك أجمع إن أنت شفيتني ، فقال : إني لا أشفي أحداً إنما يشفي الله تعالى
 فإن أنت آمن بالله دعوتُ الله فشفاك ، فأمن بالله فدعا الله فشفاه ، فأتى
 الملك فجلس إليه كما كان يجلس ، فقال له الملك : من ردّ عليك بصرك؟
 قال : ربي ، قال : ولك رب غيري؟ قال : ربي وربك الله ، فأخذه ولم
 يزل يعذبه حتى دلّ على الغلام ، فجيئ به ، فقال له الملك : أي بُني قد بلغ

من سحرك مايرى الأكمه والأبرص وتفعل ، قال إني لا أشفى أحداً إنما يشفى الله ، فأخذه فلم يزل يعذبه حتى دلّ على الراهب فجئى بالراهب فقبل له : ارجع عن دينك فأبى فدعا بالمنشار فوضع المنشار فى مفرق رأسه فشقه حتى وقع شقاه ، ثم جئى بالغلام ، فقبل له : ارجع عن دينك فأبى ، فدفعه إلى نفرٍ من أصحابه ، فقال : اذهبوا إلى جبل كذا فاصعدوا به ، فإذا بلغت ذروته فإن رجع عن دينه وإلا فاطرحوه . فذهبوا به فصعدوا به الجبل فقال : اللهم اكفنيهم بما شئت . فرجف بهم الجبل فسقطوا ، وجاء يمشى إلى الملك فقال له الملك : ما فعل أصحابك؟ فقال : كفانيهم الله ، فدفعه إلى نفرٍ من أصحابه فقال : اذهبوا به واحملوه فى قرقور أى سفينة إلى لجة بحر كذا ، فإن رجع عن دينه وإلا فاطرحوه فى البحر . فذهبوا به فقال : اللهم اكفنيهم بما شئت ، فانكفأت السفينة بهم فغرقوا ، وجاء يمشى إلى الملك ، فقال له الملك ، ما فعل أصحابك؟ فقال : كفانيهم الله ، وقال للملك : أنت لست بقاتلي حتى تفعل ما أمرك به ، قال : ماهو؟ قال تجمع الناس فى صعيد واحد وتصلبني على جذع ، ثم خذ سهماً من كنائى ، ثم ضع السهم فى كبد القوس ، وقل : بسم الله رب الغلام ، ثم ارمنى . فإنيك إذا فعلت ذلك قتلتني ، فجمع الناس فى صعيد واحد وصلبه على جذع ثم أخذ سهماً من كنائيه ثم وضع السهم فى كبد قوسه ثم قال : بسم الله رب الغلام ، ثم رماه ، فوقع السهم فى صدغه فوضع يده على صدغه فى موضع السهم فمات . فقال الناس : آمنا رب الغلام ثلاثاً ، فأتى الملك فقبل له : أرايت ماكنت تحذر ، قد والله نزل بك حذر ، قد آمن الناس

فأمر بالأخدود بأقواه السكك فخذت وأضرمها بالثيران ، وقال : من لم يرجع عن دينه فأقحموه فيها . قال : ففعلوها حتى جاءت امرأة معها صبي لها فتعاسيت أن تقع فيها ، فقال لها الغلام : يا أُمّة ! اصبري فإنك علي الحق . اهـ ، قال تعالى : ﴿ قتل أصحاب الأخدود ... الخ ﴾ (١) .

والعاشير : مبارك اليمامة ، واليمامة اسم بلد اليمن ، فقصة ما ذكره في " المواهب " عن معيقب اليماني قال : حججت حجة الوداع فدخلت داراً بمكة فرأيت فيها رسول الله ﷺ ، ورأيت منه عجيباً ، جاءه رجل من أهل اليمامة بغلام يوم ولد ، فقال له رسول الله ﷺ : يا غلام من أنا؟ فقال : أنت رسول الله ، قال : صدقت بارك الله فيك ، ثم إن الغلام لم يتكلم بعد ذلك حتى شب ، فكنا نسميه مبارك اليمامة (٢) .

والحادى عشر : مبرئ الأمة التي رُميت بالزنا ، جاء في الصحيحين أن امرأة كانت جالسة بصغير في حجرها يمض ثديها ، فمر عليها رجل ذو هيئة حسنة وصفات جميلة راكباً على دابة فارهة ، فقالت : اللهم اجعل ابني مثل هذا فترك الولد ثديها ونظر إليه وقال : اللهم لا تجعلني مثل هذا ، وأقبل يمض ثديها ، ثم مر عليها بجارية يضربها الناس ويقولون إنها زنت وسرقت وهي لا تتكلم سوى أنها تقول : حسبي الله ونعم الوكيل . فقالت المرأة :

(١) البروج : ٤ .

(٢) رواه البيهقي وغيره وهو متكلم فيه بالوضع لكن الحافظ السيوطي ذكر له طرقاً وشواهد وقال : هو حديث حسن . واعترضه الزرقاني وقال : إن غاية ما يقيد تعدد طرقه أنه ضعيف . اهـ شرح المواهب ٥ / ١٨٥ .

اللهم لا تجعل ابني مثل هذه . فترك الولد ثديها وقال : اللهم اجعلني مثلها ، فسأله أمه عن ذلك فقال لها : أما الراكب فهو من الجابرة ، وأما الأمة فلم ترن ولم تسرق وإنما هم يكذبون عليها .

والثاني عشر : نوح عليه السلام ذكروا أنه لما ولدته أمه ووضعتة في غار خوفاً عليه من الأعداء ثم أرادت تركه والخروج عنه فحزنت عليه ، فقال لها : يا أمه ! لا تخافي علي ولا تحزني فإن الله خلقني وهو يحفظني .

والثالث عشر : موسى عليه السلام ذكروا أنه لما ولد قال لأمه : لا تخافي ولا تحزني (أى من فرعون) فإن الله معنا ، وروي أنها وضعتة في التنور خوفاً عليه ، وخرجت لحاجة فجاءت أخته وأحمت التنور للخبز ولم تعلم أنه فيه فجاءت جماعة فرعون وفتشوا البيت حتى وصلوا للتنور وفيه النار وخرجوا ، فجاءت أمه فوجدت التنور مسجوراً بالنار ، فقالت : يا حسرتاه قد أحرقتم ابني فناداها من داخله : لا تخافي ولا تحزني ، فإن ربي قد منع النار عنى فمدت يدها وأخرجته سالماً .

آنية الماء والخمر واللبن :

أكثر الروايات أن تقديم الآنية كان قبل العروج ، وفي بعضها أنه بعده ففي رواية بعد ذكر رؤية إبراهيم في السماء السابعة : ثم انطلقنا فإذا نحن بثلاث أو أن مغطاة ، وفي رواية كان ذلك بعد أن رفع إلى سدرة المنتهى . وفي رواية كان ذلك بعد رؤية البيت المعمور . قال ابن كثير وغيره : ولعله قدم مرتين لأنها ضيافة له ﷺ ، وتبعهم على ذلك الحافظ ابن حجر جمعاً

بين الروايات ، قال ابن كثير وابن حجر : وأما الاختلاف في عدد الآنية ومافيها فيحمل على أن بعض الرواة ذكر مالم يذكر الآخر ، ومجموعها أربعة أوان ، فيها أربعة أشياء من الأنهار الأربعة التي تخرج من أصل سدرة المنتهى ، وإذا قلنا بعرض الآنية مرتين ففائدة عرض الخمر مع إعراضه عنه في المرة الأولى وتصويب جبريل له ، تكرير التصويب والتحذير مما سواه أي مما سوى ماصوب اختياره له ، وهل كانت من خمر الجنة أو من جنس خمر الدنيا؟ فإن كان الأول فسبب تجنبها صورتها ومضاهاتها للخمرة المحرمة أي التي ستحرم ، ويكون ذلك أبلغ في الورع وأدق ، وإن كان من الثاني فاجتنابها واضح أي لأنه ترك ما سيحرم بالفعل .

أَكَلَةُ الرِّبَا وَانْتِفَاحُ بَطُونِهِمْ

جاء في بعض الروايات أنه رأى أَكَلَةَ الرِّبَا مُتَنَفِّخَةً بِطُونِهِمْ . قال الحافظ الشامي : إنما رأى أَكَلَةَ الرِّبَا مُتَنَفِّخَةً بِطُونِهِمْ لأن العقوبة مشاكلة للذنب فأكل الرِّبَا يربو بطنه كما أراد أن يربو ماله بأكل ما حرم عليه ، فمحققت البركة من ماله وجعلت نفخاً في بطنه حتى يقوم كما يقومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ . وَإِنَّمَا جُعِلُوا بِطَرِيقِ آلِ فِرْعَوْنَ يَمُرُّونَ عَلَيْهِمْ غُدُوءًا وَعَشِيًّا ، لأن آلَ فِرْعَوْنَ هم أشد الناس عذاباً فضلاً عن غيرهم من الكفار ، وهم لا يستطيعون القيام ، ومعنى كونهم في طريق جهنم بحيث يمر بالكفار عليهم أن الله سبحانه وتعالى قد أوقف أمرهم بين أن ينتهوا فيكون خيراً لهم ، وبين أن يعودوا ويصبروا فيدخلهم النار ، وهذه صفة من هو في طريق النار ، قال الله تعالى : ﴿فَمَنْ جَاءَهُ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّهِ فَانْتَهَى فَلَهُ مَا سَلَفَ وَأَمْرُهُ إِلَى اللَّهِ ، وَمَنْ عَادَ فَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾^(١) وفي بعض الأحاديث أنه رأى بطونهم كالبيوت يعنى أَكَلَةُ الرِّبَا ، وفيها حيات تُرى من خارج البطون .

فإن قيل : هذه الأحوال التي ذكرها عن أَكَلَةِ الرِّبَا ، إن كانت عبارة عن حالهم في الآخرة ، فال فرعون قد أدخلوا أشد العذاب ، وإنما يعرضون على النار غُدُوءًا وَعَشِيًّا في البرزخ ، وإن كانت الحال التي رآهم عليها فأي بطون لهم وقد صاروا عظاماً ورُفَاتاً ومزقوا كل ممزق ؟ فالجواب : أنه إنما

(١) البقرة : ٢٧٥

رآهم في البرزخ ، وهذه الحال هي حال أرواحهم بعد الموت ، وفيها
 تصحيح لمن قال : الأرواح أجساد لطيفة قابلة للنعيم والعذاب ، فخلق الله
 تعالى في تلك الأرواح من الآلام ما يجده من انتفخ بطنه حتى وُطئ بالأقدام
 ولا يستطيع معه قياما ، وليس في هذا دليل على أنهم أشد عذابا من آل
 فرعون ، ولكن فيه دليل على أنه يطوهم آل فرعون وغيرهم من الكفار
 الذين لم يأكلوا الربا ماداموا في البرزخ إلى أن يقوموا يوم القيامة كما يقوم
 الذي يتخبطه الشيطان من المس ، ثم ينادى منادى الله تعالى أدخلوا آل
 فرعون أشد العذاب (١) . وكذلك ما رأى من النساء المعلقات بثديهن يجوز
 أن يكون رأى أرواحهن وقد خلق فيها من الآلام ما يجده من هذه حاله ،
 ويحتمل أيضا أن يكون مثلت له حالهن في الآخرة .

الحكمة فى إسرائه أولاً إلى بيت المقدس

والحكمة فى إسرائه أولاً إلى بيت المقدس لإظهار الحق على من غاند لأنه لو عرج به من مكة إلى السماء لم يجد لمعاندة الأعداء سبيلاً إلى البيان والإيضاح ، فلما ذكر أنه أسري به إلى بيت المقدس سألوه عن أشياء من بيت المقدس كانوا رأوها وعلموا أنه لم يكن رأها قبل ذلك ، فلما أخبرهم بها حصل التحقيق بصدقه فيما ذكر من الإسرائ به إلى بيت المقدس فى ليلة ، وإذا صح خبره فى ذلك لزم تصديقه فى بقية مذكره . وقيل : الحكمة فى ذلك ليحصل له الخروج مستوياً من غير تعويج لما روي عن كعب : أن باب السماء الذى يقال له مصعد الملائكة يقابل بيت المقدس ، قال وهو أقرب الأرض إلى السماء بثمانية عشر ميلاً . قال بعض الحفاظ : وفيه نظر ، وقيل الحكمة فى ذلك أن الله تعالى أراد أن يريه القبلة التى صلى إليها مدة كما عرف الكعبة التى صلى إليها ، وقيل لأنه مجمع أرواح الأنبياء فأراد الله تعالى أن يشرفهم بزيارته ﷺ ، وقيل لأنه هجرة غالب الأنبياء فحصل له الرحيل إليه فى الجملة ليجمع بين أشتات الفضائل . وقال ابن دحية : يحتمل أن يكون الحق سبحانه وتعالى أراد أن لا يخلي تربة فاضلة من مشهده ووطء قدمه فتمم تقديس بيت المقدس بصلاة سيدنا محمد ﷺ فيه ، فلما تم تقديسه أخبر ﷺ أنه لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد : المسجد الحرام

لأنه مولده ومسقط رأسه وموضع نبوته ، ومسجد المدينة لأنه محل هجرته
وأرض تربته ، ومسجد الأقصى لأنه موضع معجازه ﷺ .

وقد كان من العجائب ما كان يحدث في مكة من أن بعض الناس إذا دخلوا مكة
فوجدوا فيها من كان قد مات من قبلهم فوجدوا فيه حياة جديدة

وكانوا يقولون : ما هذا ؟ فقالوا : هذا من فضل الله تعالى فإنه لا يموت
في مكة من كان له حظ من فضل الله تعالى فإنه لا يموت في مكة من كان له حظ من فضل الله تعالى

وكانوا يقولون : ما هذا ؟ فقالوا : هذا من فضل الله تعالى فإنه لا يموت
في مكة من كان له حظ من فضل الله تعالى فإنه لا يموت في مكة من كان له حظ من فضل الله تعالى

وكانوا يقولون : ما هذا ؟ فقالوا : هذا من فضل الله تعالى فإنه لا يموت
في مكة من كان له حظ من فضل الله تعالى فإنه لا يموت في مكة من كان له حظ من فضل الله تعالى

وكانوا يقولون : ما هذا ؟ فقالوا : هذا من فضل الله تعالى فإنه لا يموت
في مكة من كان له حظ من فضل الله تعالى فإنه لا يموت في مكة من كان له حظ من فضل الله تعالى

وكانوا يقولون : ما هذا ؟ فقالوا : هذا من فضل الله تعالى فإنه لا يموت
في مكة من كان له حظ من فضل الله تعالى فإنه لا يموت في مكة من كان له حظ من فضل الله تعالى

وكانوا يقولون : ما هذا ؟ فقالوا : هذا من فضل الله تعالى فإنه لا يموت
في مكة من كان له حظ من فضل الله تعالى فإنه لا يموت في مكة من كان له حظ من فضل الله تعالى

وكانوا يقولون : ما هذا ؟ فقالوا : هذا من فضل الله تعالى فإنه لا يموت
في مكة من كان له حظ من فضل الله تعالى فإنه لا يموت في مكة من كان له حظ من فضل الله تعالى

وكانوا يقولون : ما هذا ؟ فقالوا : هذا من فضل الله تعالى فإنه لا يموت
في مكة من كان له حظ من فضل الله تعالى فإنه لا يموت في مكة من كان له حظ من فضل الله تعالى

المسجد الأقصى

فضائله وخصائصه

قال البرهان النسفى : اتفقوا على أن المراد به مسجد البيت المقدس
وسمي بالأقصى لبعد المسافة بينه وبين المسجد الحرام .

وقال الزمخشري : سمي الأقصى لأنه لم يكن وراءه مسجد . وقال
ابن الفقيه : وهو معدن الأنبياء من لدن الخليل عليه وعليهم الصلاة
والسلام ، ولذا جمعوا له ﷺ هناك كلهم وأمهم فى محلهم ليدل ذلك على
أنه الرئيس المقدم والإمام الأعظم ﷺ . وقال أبو شامة : هو بيت المقدس
الذى عمره سليمان نبي الله عليه السلام بأمر الله عز وجل ، ومازال مكرماً
محترماً ، وهو أحد المساجد الثلاثة التى لاتشد الرحال شرعاً إلا إليها أى لا
يقصد بالزيارة والتعظيم من جهة أمر الشارع إلا هذه الثلاثة من المساجد ،
وكان أبعد مسجد عن أهل مكة فى الأرض يعظم بالزيارة (كذا فى الآيات
الباهرة للشامى) .

قال فضيلة الأستاذ الشيخ موسى محمد الأسود فى كتابه عن
الإسراء^(١) : وقد كان يعرف بهيكل سليمان لأنه الذى بناه وشيَّده ، وقد
وصف الله ما حوله بالبركة : «الذى باركنا حوله»^(٢) أى جوانبه ببركات
الدين والدنيا ، لأن تلك الأرض المقدسة ، مقر الأنبياء ومهبط وحيتهم ،
ومنى الزروع والثمار فاكثفتها البركة الإلهية من نواحيه كلها ، فبركته

(١) الإسراء والمراح المعجزة التى خرق الله بها نواويس الكون .

(٢) الإسراء : ١

مضاعفة لكونه فى أرض مباركة ، ولكونه من أعظم مساجد الله ، والمسجد
بيوت الله ، ولكونه متعبد الأنبياء ومقامهم ، ومهبط الوحى عليهم ،
فسورك فيه ببركتهم ويمنهم أيضاً ، وقيل فى خصائص المسجد الأقصى
أيضاً ، أنه متعبد الأنبياء السابقين ومسرى خاتم النبيين ، ومعرجه إلى
السموات العلى والمشهد الأسفى ، بيت نوره الله به فى الآيات المفصلة ،
وتليت فيه الكتب الأربعة المنزلة ، لأجله أمسك الله الشمس على يوشع أن
تغرب ليتيسر فتحه على من وعدوا به ويقرب ، وهو قبله الصلاة فى الملتين ،
وفى صدر الإسلام بعد الهجرتين ، وهو أول القبلتين وثانى المسجدين
وثالث الحرمين لاتشد الرحال بعد المسجدين إلا إليه ، ولا تعقد الخناصر بعد
الموطنين إلا عليه .
ومن فضائله مارواه الإمام أحمد وغيره عن ابن عمرو ، قال رسول
الله ﷺ : إن سليمان لما بنى بيت المقدس سأل ربه ثلاثاً فأعطاه اثنين وأنا
أرجو أن يكون أعطاه الثالثة ، سألته حكماً يصادف حكمه فأعطاه إياه ،
وسألته ملكاً لا ينبغى لأحد من بعده فأعطاه إياه ، وسألته أيما رجل خرج من
بيته لا يريد إلا الصلاة فى هذا المسجد - يعنى بيت المقدس - خرج من خطيئته
كيوم ولدته أمه ، قال النبى ﷺ : ونحن نرجو أن يكون الله أعطاه ذلك .

المسجد الأقصى أكان مبنياً أم خراباً وقت الإسراء ؟

يذكر بعض العلماء أن المسجد الأقصى فى زمن الإسراء كان خراباً ،
وذلك لأن سليمان عليه السلام بناه على مكان الصخرة ، ثم خرب وبقي

خراباً حتى فتح أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه القُدس ، وقالوا : إنما أطلق عليه اسم المسجد باعتبار ماكان عليه وماوضع له ، كما أطلق المسجد على حرم مكة وهو لم يكن يومئذ مسجداً ، وإنما كان بيتاً للأصنام ، لكن إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام لما بنيا الكعبة للعبادة الصحيحة كما بنى سليمان هيكله هذا لها سمي مسجداً بهذا الاعتبار ، أو يقال : إنه أطلق عليهما اسم المسجد للإشارة إلى ما يؤول إليه أمرهما ، وهو كونهما مسجدين للمسلمين ، ولكن هذا الرأى يناقض تماماً الأحاديث الصحيحة التى وصفت المسجد وأبوابه للمشركين صبيحة الإسراء ، وهذا دليل على كونه كان قائماً وإلا فكيف يطلب المشركون من رسول الله ﷺ وصفه؟ وقالوا : نحن نعلمه وقد رأيناه ، فجلى الله له المسجد فوصفه لهم باباً باباً كما مر فى حديث البخارى ، بالإضافة إلى أن وجود الأصنام فى الجاهلية فى المسجد الحرام لم يُزل عنه هذا الاسم ، وبنائوه كان شامخاً والناس يطوفون به ، فالاستدلال بحالة المسجد الحرام هذه على كون المسجد الأقصى كان خراباً لا يستقيم .

الصخرة المشرفة وآثار أقدام الأنبياء :

يتساءل كثير من المسلمين : هل صحيح ما يقال ، من أن الصخرة المشرفة فى بيت المقدس قد لحقت بالنبي ﷺ عندما عرج إلى السماء فقال لها : اهدئى فهذأت وبقيت معلقة بين السماء والأرض؟ وأن قدم رسول الله الشريفة لها أثر فى أعلى الصخرة؟ .

الصخرة المشرفة من الآثار المعروفة المشهورة لدى المسلمين وغير المسلمين من قديم الزمان ، ومكانها معلوم ومشهود ، والطريق إليها سهل معبد ، وقد زارها الملايين من الناس ، ورأوها وعابنوها ، فوجدوها ثابتة في مكانها لم تتحرك ولم ترتفع بين السماء والأرض كما يزعم العامة من الناس ، ولم يرد في القرآن ولا في السنة الصحيحة ما يشير إلى أن هذه الصخرة تحركت أو ارتفعت ليلة الإسراء والمعراج ، ولانقول هذا استعظاما على قدرة الله ، فالله الذي رفع السماء بغير عمد ترونها قادر على كل شيء ولانقول ذلك ضمنا بالرسول الكريم عن أن يؤيده ربه بالمعجزات الحسية ، كما أيد من سبقه من إخوانه النبيين والمرسلين فقد أيده بالكثير منها وبما هو أخلد وأبقى وهو القرآن العظيم ، وإنما نقرر هذا إنصافا للحقيقة ، وتطبيقا لتعاليم ديننا الذي قام على المنطق والصدق ومحاربة الظنون ورد الشائعات والأوهام .

أثر القدم:

أما ما يقال عن أثر القدم الشريفة في أعلى الصخرة فهو أيضا لم يثبت ولم يصح ، وقد تتبع المحققون من العلماء مثل هذه الآثار المنسوبة لقدم النبي ﷺ ، وأحصوا هذه الأحجار التي أثرت فيها القدم فقالوا: المعروف منها سبعة : أربعة في مصر ، والخامس بالقسطنطينية ، والسادس في الطائف ، والسابع في قبة الصخرة . وكل هذه الأحجار سوداء تضرب إلى الزرقة عليها آثار أقدام متباينة في الصورة والقدر ، لا يشبه الواحد منها

الآخر ، ولهذا قطع المحققون بعدم صحة ما يقال عن هذه الأحجار ، وأنه لا سند لما يروى عنها ، ونقل عن ابن تيمية : أنها من اختراع الجهال ، ومثل هذا أيضاً ما يزعم بعض الجهال من أنه توجد آثار أقدام منسوبة إلى بعض الرسل الكرام في بعض البلاد ، كأثر قدم آدم في سرّنديب بالهند ، وأثر قدم موسى عليه السلام بظاهر دمشق ، وأثر قدم عيسى عليه السلام بطور زيتا في بيت المقدس ، وأثر قدم إدريس بيت المقدس ، وأثر قدم أيوب بقرية قرب نوى بالشام ، وأثر قدم النبي ﷺ ببصرى .

أثر قدم إبراهيم على الحجر بمكة :

أورد الإمام الحافظ ابن كثير في تفسير قوله تعالى : ﴿واتخذوا من مقام إبراهيم مصلى﴾^(١) جملةً صالحةً من أقوال العلماء في تحقيق المراد من المقام ، ورجح أنه هو الحجر الذي كان يقوم عليه إبراهيم عليه الصلاة والسلام لبناء الكعبة ، ثم قال بعد ذلك : فهذا كله مما يدل على أن المراد بالمقام إنما هو الحجر الذي كان إبراهيم عليه السلام يقوم عليه لبناء الكعبة ، لما ارتفع الجدار أتاه إسماعيل عليه السلام به ليقوم فوقه ويناوله الحجارة فيضعها بيده لرفع الجدار ، وكلما كمل ناحية انتقل إلى الناحية الأخرى يطوف حول الكعبة ، وهو واقف عليه ، كلما فرغ من جدار نقله إلى الناحية التي تليها ، وهكذا حتى تم جدران الكعبة كما سيأتي بيانه في قصة إبراهيم وإسماعيل في بناء البيت من رواية ابن عباس عند البخاري . وكانت آثار قدميه ظاهرة

(١) البقرة : ١٢٥

فيه ، ولم يزل هذا معروفاً تعرفه العرب في جاهليتها ، ولهذا قال أبو طالب في قصيدته المعروفة اللامية :

وموطئ إبراهيم في الصخرة رطبة على قدميه حافياً غير ناعل

وقد أدرك المسلمون ذلك فيه أيضاً ، كما قال عبد الله بن وهب أخبرني يونس بن يزيد عن ابن شهاب : أن أنس بن مالك حدثهم ، قال : رأيت المقام فيه أصابعه عليه السلام وأخمص قدميه ، غير أنه أذهبه مسح الناس بأيديهم ، وقال ابن جرير : أخبرنا بشر بن معاذ أخبرنا يزيد بن زريع أخبرنا سعيد عن قتادة «واتخذوا من مقام إبراهيم مصلى»^(١) إنما أمروا أن يصلوا عنده ولم يؤمروا بمسحه ، وقد تكلفت هذه الأمة شيئاً ما تكلفته الأمم قبلها ، ولقد ذكر لنا من رأى أثر عقبيه وأصابعه فيه فما زالت هذه الأمة يمسحونه حتى اخلولق وانمحي^(٢).

إشكال عن عرض الأرواح وجوابه

جاء فى قصة المعراج أن آدم تعرض عليه أرواح ذريته من بنى آدم من أهل الجنة والنار فى السماء .

قال القاضى : وهو مشكل ، فقد جاء أن أرواح المؤمنين منعمة فى الجنة ، وأن أرواح الكفار فى سجين ، فكيف تكون مجتمعة فى السماء ، وأجاب : بأنه يحتمل أنها للعرض على آدم أوقاتاً ، فصادف وقت عرضها مرور النبى ﷺ ، ويدل على أن كونهم فى الجنة أو النار إنما هو فى أوقات كما فى قوله تعالى : ﴿النار يعرضون عليها غدوا وعشيا﴾ (١) . واعترض بأن أرواح الكفار لا تفتح لهم أبواب السماء كما هو نص القرآن . وأجيب بما أبداه القاضى احتمالاً : بأن الجنة كانت فى جهة اليمين ، والنار فى جهة الشمال ، وكان يكشف له عنهما . قال الحافظ ابن حجر : ويحتمل أن النسم المرئية هى التى لم تدخل الأجساد بعد وهى مخلوقة قبل الأجساد ، ومقرها يمين آدم وشماله ، وقد أعلم بما سيصيرون إليه ، فلذا كان يستبشر إذا نظر إلى من كان على يمينه ، ويحزن إذا نظر إلى من كان على يساره ، بخلاف التى فى الأجساد فليست مرادة قطعاً ، وبخلاف التى نقلت من الأجساد إلى مقرها فى الجنة أو النار فليست مرادة أيضاً فيما يظهر ، وبهذا يندفع الإيراد ، ويعرف أن قوله نسم بنيه عام مخصوص أو عام أريد به الخصوص ، قال : وظهر احتمال آخر ، وهو أن يكون المراد بها من خرجت

(١) غافر : ٤٦

من أجسادها حين خروجها ، لأنها غير مستقرة ، ولا يلزم من رؤية آدم لها وهو فى سماء الدنيا أن تفتح لها أبواب السماء أو تحلها لأنها تعرض عليه ويكشف له عنها على بُعد ، ثم قال : ويحتمل أن تكون مثلت له حالتهم فى الآخرة . اهـ فيكون المرئى إنما هو أمثلتها لاذواتها ، قال الحلبي : هذا الاحتمال هو الظاهر ويندفع به جميع ما تقدم

حشر المرسلين والأنبياء للصلاة

جاء فى قصة المعراج أن الله حشر جميع الأنبياء والمرسلين لنبينا ﷺ ،
وظاهره حشر الأجساد بالأرواح وصلى بهم ، وهو الأقرب ، ويؤيده
حديث (وبعث الله تعالى آدم فمن دونه من الأنبياء) وحديث البزار
والطبرانى (فنشر لي الأنبياء من سمى الله تعالى ومن لم يسم فصلت بهم)
ويحتمل أنها كانت للأرواح خاصة ، وأنها تشكلت بصورة الأجساد فى
علم الله تعالى ، ويؤيده حديث أبى هريرة رضى الله عنه «فلقي أرواح
الأنبياء» .

وأما رؤيته لهم فى السماء فمحمولة على رؤية أرواحهم وأنها تشكلت
بصورة أجسادهم ، إلا عيسى عليه الصلاة والسلام ، لما تواتر أنه رفع
بجسده ولما صح من رفع إدريس أيضاً ، أو أحضرت أجسادهم لملاقاته ﷺ
تشریفاً له وتكريماً .

إمامته ﷺ للأنبياء في الصلاة

قال الشيخ الدردير نقلاً عن النجم الغيطي : تضافرت الروايات أنه صلى الله عليه وسلم صلى بالأنبياء في بيت المقدس قبل عروجه ، وهو أحد احتمالين للقاضي عياض ، وقال الحافظ ابن حجر : إنه الأظهر ، والاحتمال الثاني : أنه صلى بهم بعد أن هبط من السماء فهبطوا أيضاً ، وصححه الحافظ ابن كثير ، وقال بعضهم : وما المانع من أنه صلى الله عليه وسلم صلى بهم مرتين فإن بعض الأحاديث ذكر الصلاة بهم بعد المعراج ، وهذه الصلاة التي صلاها النبي ﷺ بالأنبياء عليهم الصلاة والسلام ، الصواب أنها المعروفة ذات الركوع والسجود ، لأن النص يحمل على حقيقته الشرعية قبل اللغوية ، إلا إذا تعذر حملة على الشرعية ، ولم يتعذر هنا ، فوجب حملة على الشرعية ، ويؤيده ما في القصة : فأخذ جبريل بيده فقدمه فصلى بهم ركعتين ، والظاهر أنها كانت فريضة ، وأيده بعضهم بقوله في بعض طريق القصة : ثم أقيمت الصلاة فأمهم ، وفي رواية : فأذن جبريل ، والأذان والإقامة يؤذنان بأنها فريضة ، ولا يشكل على هذا أن بدأ الأذان إنما كان بعد الهجرة لأنه لا مانع من وقوعه ليلة الإسراء قبل مشروعية الصلوات الخمس ، ثم قال : والذي يظهر - والله أعلم - أنها كانت من النفل المطلق أو كانت مفروضة عليه قبل ليلة الإسراء ، وفي فتاوى النووي ما يؤيد الثاني ، وهل قرأ فيهما بأم القرآن بمقتضى قوله لا تجزئ صلاة لا يقرأ فيهما بأم القرآن ، أو كان ذلك قبل مشروعية هذا الحكم؟ محل نظر . وقال

بعضهم : لم يرد في تعيين القراءة في تلك الصلاة فيما وقفت عليه خبرٌ صحيح أو حسن يعتمد عليه ، وفوق كل ذي علم عليم ، قلت : وهو الصواب .

إشكال وجوابه :

فإن قيل : كيف أمّ النبي ﷺ الأنبياء عليهم السلام في بيت المقدس وسلّم عليهم وعرفهم ، ثم رآهم تلك الليلة في السموات وسأل عنهم جبريل ، فإنه لو رآهم وعرفهم لما احتاج إلى سؤال جبريل عنهم ؟ .

والجواب : أنه صلى الله عليه وسلم لما اجتمع بهم بيت المقدس وأمهم على الهيئة البشرية تحقّق وجودهم في الأرض ، ثم لما وصل إلى الملكوت العلوى لم يجدهم على تلك الحالة التي شاهدتهم عليها في الأرض ، وإنما هم على صفات روحانية شكّل الله لهم أشكالا لا ثقة بالملكوت العلوى ، تكريماً له ﷺ وتعظيماً للقدرة الإلهية ، حيث شاهدتهم تلك الساعة في الأرض ، ثم رآهم في منازلهم في السماء ، فلذلك سأل عنهم استثنائاً لا تعجباً فإنه ﷺ يعلم أن الله تعالى الذي أبعده إلى هذا المكان في لحظة قادرٌ على نقلهم إلى السموات في أسرع من طرفة عين ، سبحانه وتعالى .

وقد استشكل رؤية الأنبياء صلوات الله عليهم مع أن أجسادهم مستقرّة في قبورهم .
وأجيب : بأن أرواحهم تشكّلت بصور أجسادهم أو أحضرت أجسادهم لملاقاة النبي ﷺ تلك الليلة تشریفاً له وتكريماً ، ويؤيده حديث عبد الرحمن

ابن هاشم عند البيهقي وغيره ، وبعث له آدم فمن دونه من الأنبياء .

وقال ابن أبي جمرة : رؤيته لهؤلاء الأنبياء صلى الله وسلم عليه
وعليهم تحتمل وجوهاً :

(الأول) أن يكون صلى الله عليه وسلم عاين كل واحد منهم في قبره في
الأرض على الصورة التي أخبر بها من الموضع الذي عاينه فيه ، فيكون الله
تعالى قد أعطاه من القوة في البصر والبصيرة ما أدرك ذلك ، يشهد لهذا
الوجه قوله عليه الصلاة والسلام (رأيت الجنة والنار في عرض هذا
الحائط) ، فيحتمل أن يكون صلى الله عليه وسلم رآهم من ذلك الموضع كما
يقال : رأيت الهلال من منزلي من الطاق .

(الوجه الثاني) أن يكون ﷺ مثلت له صورهم .

(الوجه الثالث) أن يكون صلى الله عليه وسلم عاين أرواحهم هناك في
صورهم .

(الوجه الرابع) : أن يكون الله عز وجل لما أراد أن يرفعه صلى الله عليه وسلم
رفعهم من قبورهم لتلك المواضع إكراماً لنبيه ﷺ وتعظيماً حتى
يحصل له من قبلهم ما أشار إليه من الأنس والبشارة وغير ذلك مما لم نشر
إليه ولا نعلمه نحن ، وإظهاراً له عليه الصلاة والسلام للقدرة التي لا يغلبها
شيء ولا تعجز عن شيء .

وكل هذه الأوجه محتملة ولا ترجيح لأحدها على الآخر ، لأن القدرة
صالحة لكلها .

خطب الأنبياء فى ليلة الإسراء والمعراج

جاء فى رواية أبى هريرة التى رواها ابن جرير وابن أبى حاتم والبزار وأبو يعلى والبيهقى : أن الأنبياء لما اجتمعوا بالنبي ﷺ خطبوا فى تلك الليلة ، فقال إبراهيم : الحمد لله الذى اتخذنى خليلاً وأعطانى ملكاً عظيماً . وجعلنى أمةً قانتاً لله يؤتم بى ، وأنقذنى من النار وجعلها على بردا وسلاما ، قال : ثم إن موسى أثنى على ربه ، فقال : الحمد الذى كلمنى تكليما واصطفانى برسالته وكلماته وقربنى إليه نجياً . وأنزل على التوراة وجعل هلاك آل فرعون ونجاة بنى إسرائيل على يدى ، وجعل من أمتى قوماً يهدون بالحق وبه يعدلون . ثم إن داود أثنى على ربه ، فقال : الحمد لله الذى جعل لى ملكاً عظيماً ، وعلمنى الزبور ، وألان لى الحديد ، وسخر لى الريح والجبال يسبحن والطير ، وأعطانى الحكمة وفصل الخطاب . ثم إن سليمان أثنى على ربه فقال : الحمد لله الذى سخر لى الرياح والجن والإنس ، وسخر لى الشياطين يعملون ماشئت من محاريب وتماثيل وجفان كالجواب وقدور راسيات ، وعلمنى منطق الطير وكل شئ ، وأسأل لى عين القطر ، وأعطانى ملكاً عظيماً لا ينبغي لأحد من بعدى ، وآتانى من كل شئ فضلاً ، وسخر لى جنود الشياطين والإنس والطير ، وفضلنى على كثير من عباده المؤمنين ، وجعل ملكى ملكاً طياً ليس فيه حساب . ثم إن عيسى أثنى على ربه ، فقال : الحمد لله الذى جعلنى كلمته وجعل مثلى مثل آدم خلقه من تراب ثم قال له كن فيكون . وعلمنى الكتاب والحكمة والتوراة والإنجيل وجعلنى أخلق من الطين كهيئة الطير فأنفخ فيه فيكون طيراً بإذن الله ،

وجعلني أبرئ الأكمة والأبرص وأحيي الموتى بإذنه ، ورفعني وطهرني من الذين كفروا ، وأعاذني وأمي من الشيطان الرجيم ، فلم يكن للشيطان علينا سبيل . ثم إن محمداً ﷺ أتني على ربه ، فقال : كلكم أثني على ربه ، وإني مثنٍ على ربي ، فقال : الحمد لله الذي أرسلني رحمة للعالمين ، وكافة للناس بشيراً ونذيراً ، وأنزل عليّ الفرقان فيه تبيان لكل شيء ، وجعل أمتي خير أمة أخرجت للناس ، وجعل أمتي أمةً وسطاً ، وجعل أمتي هم الأولين والآخرين ، وشرح لي صدري ، ووضع عني وزري ، ورفع لي ذكري ، وجعلني فاتحاً وخاتماً ، فقال إبراهيم : بهذا فضلكم محمد^(١)

استفتاح جبريل أبواب السماء :

أما استفتاح جبريل باب السماء فيحتمل أن يكون بقرع أو صوت . قال الحافظ ابن حجر : والأشبه الأول لأن صوته معروف . قال الحافظ الشامي : في حديث ثابت البناني عن أنس : فقرع الباب .

وقال ابن دحية : في استفتاح جبريل لأبواب السماء دليل على أنه صادف أبوابها مغلقة ، وإنما لم تهباً للنبي صلى الله عليه وآله وسلم بالفتح قبل مجيئه وإن كان أبلغ في الإكرام ، لأنه لو رآها مفتحة لظن أنها لا تزال كذلك ففعل ذلك ليعلم أن ذلك فعل من أجله وأن الله تعالى أراد أن يطلععه على كونه معروفاً عند أهل السموات . وقول أمين الوحي لما قيل له : من هذا؟ جبريل ، سمي نفسه لئلا يلبس بغيره ولا يحتاج إلى معرف للمراجعة في أمره فإنه معهود عندهم نزوله وصعوده ولذلك قدم اسمه لأنه الرسول لإحضار النبي صلى الله عليه وآله وسلم .

(١) - دلائل النبوة للبيهقي ص ٣٩٧ ، والخصائص الكبرى للسيوطي ص ٤٢٩ .

مسألة السؤال عن الإرسال

جاء في أحاديث المعراج سؤال خازن السماء جبريل لما استفتح السماء عن النبي ﷺ بقوله (وقد بعث إليه) وهذا أراد به الاستفهام ، فحذف الهمزة للعلم بها . قال العلماء : ليس هذا الاستفهام عن البعث الذي هو الرسالة لأنه كان مشهوراً في الملكوت الأعلى بل البعث للمعراج ، وقيل بل سألوا تعجباً من نعمة الله تعالى عليه بذلك أو استبشاراً به ، وإن جبريل لا يصعد بمن لا يرسل إليه ، وقول الخازن (من معك) يشعر بأنهم أحسوا معه برفيق وإلا لكان السؤال : أمعك أحد؟ وذلك الإحساس إما بمشاهدة لكون السماء شفافة ، وإما لأمر معنوي كزيادة أنوار ، ولزم من البعث إليه ﷺ الإذن في إزالة الموانع وفتح أبواب السماء ، ولم يتوقف الخازن على أن يوحى إليه بالفتح لأنه لزم عنده من البعث الإذن ، وفي قول الخازن (مرحبا به) . الخ ما يدل على أن الحاشية إذا فهموا من سيدهم عزماً لإكرام واحد أن يشرّوه بذلك وإن لم يأذن لهم فيه ، ولا يكون في ذلك إفشاء للسر لأن الخازن أعلم النبي ﷺ حال استدعائه أنه استدعاء إكرام وإعظام فعجل بالبشرى .

مرحبا بالابن الصالح والنبي الصالح:

هذا قول آدم عليه الصلاة والسلام لسيدنا محمد صلى الله عليه وآله وسلم وهو ثناء جميل جليل للنبي صلى الله عليه وآله وسلم ووصفه بالصّلاح مكرراً مع البنوة والنبوة أى صالح فى المعنيين جميعاً ، وفيه تنويه

بفضل الصّلاح وعلوّ منزلته ولهذا وصف به النّبىّ صلّى الله عليه وآله وسلّم . قال بعضهم : وصّلاح الأنبياء صلاح خاص لا يتناول عموم الصّالحين ، واحتج على ذلك بأنّه قد تمّنّى كثير من الأنبياء أن يلحق بالصّالحين من الأمم ، وبهذا تحقّق أن الصّلاح المضاف إلى الأنبياء غير الصّلاح المضاف إلى الأمم ، فصّلاح الأنبياء صلاح كامل لأنهم يزول بهم كل فساد ، فلهم كل صلاح ومن دونهم الأمثل فالأمثل ، فكل واحد يستحق اسم الصّلاح على قدر مازال به أو منه من الفساد ، واقتصر الأنبياء صلوات الله عليهم على وصفه صلّى الله عليه وآله وسلّم بالصّلاح وتواردوا عليه ، لأن الصّلاح يشمل خلال الخير وكذلك كرّره كلّ منهم عند وصفه به . والصّالح هو الذى يقوم بما يلزمه من حقوق الله تعالى وحقوق العباد ، فمن ثمّ كانت كلمة جامعة مانعة شاملة لسائر الخلال المحمودّة ، ولم يقل أحد منهم مرحبا بالنّبىّ الصّادق ولا بالنّبىّ الأمين لما ذكرنا من أن الصّلاح شامل لسائر أنواع الخير .

بكاء موسى عليه السلام :

جاء فى قصة المعراج أن موسى بكى لما ذكر منقبة كثرة أمة سيدنا محمد ﷺ . قال العلماء : لم يكن بكاء موسى عليه السلام حسداً للنّبىّ صلّى الله عليه وآله وسلّم ، معاذ الله ، فإنّ الحسد فى ذلك العالم منزوع عن أحاد المؤمنين ، فكيف بمن اصطفاه الله تعالى ؟ بل كان أسفا على ما فاته من الأجر الذى يترتب عليه رفع الدرجة بسبب ما وقع من أمته من كثرة المخالفة

المقتضية لتتقيص أجورهم المستلزمة لتتقيص أجره ، لأن لكل نبي مثل أجر من تبعه ، ولهذا كان من اتبعه في العدد دون من اتبع نبينا صلى الله عليه وآله وسلم مع طول مدتهم بالنسبة إلى مدة هذه الأمة .

وقال ابن أبي جمرة : الأنبياء صلى الله عليهم وسلم جعل الله تعالى في قلوبهم الرحمة والرفقة لأمتهم ، وقد بكى النبي صلى الله عليه وآله وسلم فسئل عن بكائه؟ فقال : (هذه رحمة وإنما يرحم الله من عباده الرحماء) والأنبياء قد أخذوا من رحمة الله عز وجل أوفر نصيب ، فكانت الرحمة في قلوبهم لعباد الله أكثر من غيرهم ، فلاجل ما كان لموسى عليه السلام من الرحمة واللفظ بكى إذ ذاك رحمة منه لأمته ، لأن هذا وقت إفضال وجود وكرم فرجا أن يحصل له القبول والإفضال فيرحم الله تعالى أمته ببركة هذه الساعة ، وهذا وقت يرجى فيه العطف والإحسان من الله تعالى لأنه وقت أسري فيه بالحبيب ليخلع عليه خلعة القرب والفضل العظيم فطمع الكلیم لعل أن يلحق لأمته نصيباً من ذلك الخير العظيم ، ووجه آخر وهو البشارة للنبي صلى الله عليه وآله وسلم وإدخال السرور عليه ، يشهد لذلك بكاءه حين ولّى صلى الله عليه وآله وسلم وقبل أن يبعد عنه لكي يسمعه ، لأنه لو كان البكاء خاصاً بموسى لم يكن ليكي حتى يبعد عنه النبي صلى الله عليه وآله وسلم فلا يسمعه لأن بكاءه والنبي صلى الله عليه وآله وسلم يسمع فيه شيء من التهوين عليه ، فلما أن كان المراد بذلك ما يتضمن البشارة له صلى الله عليه وآله وسلم بسبب البكاء بكى والنبي صلى الله عليه وآله وسلم

وسلم يسمعه والبشارة التي تضمنها البكاء هي قول موسى عليه السلام الذي هو أكثر الأنبياء أتباعاً ، إن الذي يدخل الجنة من أمة محمد صلى الله عليه وآله وسلم هو أكثر من يدخلها من أمة موسى عليه السلام .

وقد وقع من موسى العناية بهذه الأمة في أمر الصلاة ما لم يقع من غيره ، ووقعت الإشارة بذلك في حديث أبي هريرة مرفوعاً : (كان موسى أشدهم عليّ حين مررت به وخيرهم حين رجعت إليه) .

وفي حديث أبي سعيد : (فأقبلت راجعاً فمررت بموسى ، قال صلى الله عليه وآله وسلم : ونعم الصّاحب كان لكم) .

قول موسى عن النبي صلى الله عليه وسلم إنه غلام :

ويتبني أن يعلم أن قول موسى عليه السلام عن نبينا (غلام) ليس على سبيل النقص بل على سبيل التنويه بقدرة الله تعالى وعظيم كرمه أن أعطاه ﷺ في ذلك السن ما لم يعط أحداً قبله ممن هو أسن منه .

وقال الخطابي : العرب تسمى الرجل المستجمع السن غلاماً مادامت فيه بقية من القوة .

وقال أيضاً ابن أبي جمرة : العرب إنما يطلقون على المرء غلاماً إذا كان سيذا فيهم ، فلاجل ما في هذا اللفظ من الاختصار على غيره من الألفاظ بالأفضلية ذكره موسى عليه السلام ولم يذكر غيره ، تعظيماً للنبي صلى الله عليه وآله وسلم .

وقال الحافظ ابن حجر : ويظهر أن موسى عليه السلام أشار إلى ما أنعم الله به على نبينا ﷺ من استمرار القوة في الكهولة ، إلى أنه دخل في سن الشيخوخة ولم يدخل في بدنه هرم ولا عراً قوته نقص ، حتى إن الناس لما رأوه صلى الله عليه وسلم مردفاً لأبي بكر عند قدومه المدينة أطلقوا عليه اسم شاب ، وعلى أبي بكر اسم شيخ مع كونه صلى الله عليه وسلم في العمر أسنّ من أبي بكر .

لقاؤه الأنبياء وأسراره :

قال الحافظ الشامي في كتابه «الآيات العظيمة الباهرة» :

اختلف طوائف المتكلمين على حديث الإسرائ في ذكر من ذكر من الأنبياء وترتيبهم في السموات ، فمنهم من لم ير الكلام على سر ذلك أصلاً ومنهم من تكلم فيه ، ثم اختلف هؤلاء :

فمنهم من قال : إنما اختص من اختص بلقاء الرسول ﷺ على عرف الناس إذا تلقوا الغائب مبتدئين للقاء ، فلا بد غالباً أن يسبق بعضهم بعضاً ، ويصادف بعضهم اللقاء ولا يصادفه بعضهم . وهذه طريقة شارح البخاري ابن بطال ، ولكن رده السهيلي ، قلت : وصوبه ذلك الحافظ الشامي .

وذهب غير ابن بطال إلى أن ذلك تنبيه على الحالات الخاصة بهؤلاء الأنبياء عليهم السلام ، وتمثيل لما سيتفق للرسول ﷺ مما اتفق لهم ، مما قصه الله عنهم في كتابه . قال هذا القائل : وذلك يرجع إلى فن التعبير ، فمن رأى في منامه نبياً من الأنبياء عليهم السلام كان ذلك دليلاً على حالة عرفت

لهذا النبى ، ينال الرأى منها طرف هو وأهل زمانه . . قال :
فآدم عليه السلام تنبيه على الهجرة ، لأن آدم خرج من الجنة بعداوة
إبليس له ، واجتهاده فى ذلك . فنظيره خروج الرسول ﷺ من مكة بأذى
قومه له وللمسلمين .

وعيسى ويحيى دليل على ما سيقاه الرسول ﷺ من أذى اليهود
ولأنهم قتلوا يحيى وراموا قتل عيسى ، وكذلك فعلت اليهود برسول الله
ﷺ ، إذ أرادوا قتله حتى سمو الشاة وأكل منها ، وأخبرته بأنها مسمومة
وأقرت المرأة التى سمته بذلك .

ويوسف دليل على ظفره بقومه وإحسانه إليهم ، وقد ظفر ﷺ بطائفة
من قومه فى غزوة بدر ، كعمه العباس وابن عمه عقيل وذلك قبل أن
يسلما ، فعفا عنهما وفداهما ، وقال يوم فتح مكة لما عفا عن قريش :
أقول كما قال أخى يوسف : ﴿ لا تثريب عليكم اليوم يغفر الله لكم وهو
أرحم الراحمين ﴾ (١) .

وهارون دليل على أن قومه سيحبونه ، وتنقلب بغضاؤهم له ودا ،
وكذلك صنع الله لنبيه عليه السلام ، وكان هارون محبا إلى قومه ويؤثرونه
على موسى .

وإدريس دليل على ما اتفق من كتب رسول الله ﷺ إلى الآفاق ، وقد
كان إدريس يخط ، وهو أول من كتب بالقلم .

(١) يوسف : ٩٢

ونظير حال موسى فيما آل إليه أمره من لقاء الجبابرة وإخراجهم من الأرض المقدسة هو حال رسول الله ﷺ في مكة ، وقهره للمستهزئين المتكبرين من قريش .
ويظهر حال إبراهيم من استناده إلى البيت المعمور بحال رسول الله ﷺ في مكة ، في حجه البيت ، واختتام عمره بذلك ، وبه يظهر معنى لقائه لإبراهيم عليه السلام في آخر السموات ، والله أعلم .
قال أبو الخطاب : لا بأس بما ذكره هذا الإمام في هذا الفعل لكن يحتاج إلى تنبيهات ، منها :

الأول : إجراؤه لهذا التعبير ، فإنه يؤخذ منه أن الإسراء كان مناما ، وقد صححنا أنه كان يقظة . والذي يرفع الإشكال - إن شاء الله - أن الفأل في اليقظة نظير الأحلام في المنام ، فيكون تفسير الفأل الحسن بيان ما يدل عليه يقظة ، كتعبير المنام بما يدل عليه مناما ، فعلى هذا يصح كلامه ، وقد كان رسول الله ﷺ يحب الفأل الحسن .

والثاني : أن هذا الإمام قطع الكلام قبل تمامه ، إما لأنه تعذر عليه التقاط المناسبة ، وإما لأن الفكرة انقطعت دون ذلك ، فإن المستوى والرفرف مما لا يحتمل الإشارة .

ثم قال أبو الخطاب :
مقام آدم مقام التهنئة والنشأة وعمارة الدنيا بأولاده ، وكذلك كان مقامه ﷺ أول سنة من الهجرة ، مقام نشأة الإسلام ، وتربية أهله ، واتخاذ

الأنصار لعمارة الأرض كلها بهذا الدين الذى أظهره الله تعالى على الدين كله ، وزوى الله الأرض كلها لئيبه حتى أراه مشارقها ومغاربها ، فكما رأى آدم فى السماء الأولى ، كان له ﷺ ذلك فى السنة الأولى من الهجرة . وأعوام الهجرة بجملتها مطابقة للمعاريج العشرة التى كانت ليلة الإسراء ، ومقابلة لها بالمثل ، ومنها سبعة معاريج إلى السموات السبع ، والثامن إلى سدرة المنتهى ، والتاسع إلى المستوى الذى سمع منه صريف الأقلام بتصاريف الأقدار ، والعاشر إلى الرفرف والرؤية وسماع الخطاب ، ولهذا ختمت أعوام الهجرة بالوفاة ، وهى لقاء الحق جل جلاله كما ختمت معاريج الإسراء باللقاء والحضور بحضرة القدس .

ثم كانت حال عيسى عليه السلام ومقامه فى السماء الثانية معالجة بنى إسرائيل ، والصبر على معاداتهم وحيلهم ومكرهم ، وطلب عيسى عليه السلام الانتصار عليهم ، قال تعالى : ﴿ فلما أحس عيسى منهم الكفر قال من أنصارى إلى الله قال الحواريون نحن أنصار الله آمنا بالله واشهد بأنا مسلمون ﴾ (١) .

فهذه كانت حال النبى ﷺ فى السنة الثانية من الهجرة ، ففيها طلب الأنصار من الأوس والخزرج للخروج إلى بدر ، فأجابوا ونصروا ، وكان أول نصر فى الإسلام وأجله ، وبه تحقق للأنصار وصف النصر . وقال تعالى : ﴿ يا أيها الذين آمنوا كونوا أنصار الله كما قال عيسى ابن مريم للحواريين من أنصارى إلى الله ﴾ (٢) .

(٢) الصف : ١٤

(١) آل عمران : ٥٢

وأما مناسبة لقائه ليوسف عليه السلام في السماء الثالثة من سني الهجرة ، فلأنه اتفق فيه غزوة أحد ، وكانت على المسلمين نازلة مابعدھا نازلة ولا قبلھا كما حدث ليوسف من السجن ، وفيها نزل قوله تعالى : ﴿ ولا تهنوا ولا تحزنوا وأنتم الأعلون إن كنتم مؤمنين . إن يستسكم قرح فقد مس القوم قرح مثله ﴾ (١) فكانت أسفًا وحزنًا . ويقول أهل التعبير : من رأى أحداً اسمه يوسف آذن ذلك من حيث الاشتقاق ومن حيث قصة يوسف بأسف يناله الرائي .

ووجه إحراز النبي ﷺ لخصائص إدريس عليه السلام أنه أول من كتب بالقلم ، ووضع المقاييس والموازين . قال الأئمة : وقد كتب النبي ﷺ إلى الملوك يدعوهم إلى الإسلام ، واتخذ الكاتب والخاتم ، حتى قال أبو سفيان لما أقرأهم هرقل كتابه ﷺ : لقد أمر أمر ابن أبي كبشة إنه ليخافه ملك بني الأصفر ، فلعل ذلك صادف السنة الرابعة من الهجرة مطابقا للقائه إدريس في السماء الرابعة .

وأما مناسبة لقائه لهارون في السماء الخامسة فهو ما نال هارون من بني إسرائيل من الأذى ، ثم الانتصار عليهم والإيقاع بهم ، وذلك أن هارون عندما تركه موسى فيهم وذهب لميقات ربه ، تفرقوا عليه وتحزبوا ضده وداروا حول قتله ونقضوا العهد وأخلفوا الوعد واستضعفوا جانبه ، ثم عبدوا العجل ، فلم يقبل الله منهم التوبة إلا بالقتل ، فكان نظير ذلك في

(١) آل عمران : ١٣٩ - ١٤٠

حقه عليه الصلاة والسلام ما لقيه في السنة الخامسة من الهجرة من يهود قريظة والنضير وقينقاع ، فإنهم نقضوا العهد وحزبوا الأحزاب وجمعوها وداروا حول قتله حين ذهب إليهم قبل الواقعة يسيرون يستعين بهم على دية قتيلين في طائفة من أصحابه ، فأظهروا له الوُدَّ وأجلسوه تحت جدار ، وقال قائلهم : حبا وكرامة يا أبا القاسم ، اجلس هنا حتى نفعل ما أمرت ، ثم تواعدوا أن يلقوا عليه رحي ليقتلوه ، فأخبره جبريل بالمكروه الذي هموا به فانصرف ﷺ وحده عائدا إلى المدينة ، ورد الله كيدهم ، ثم حاضر النبي ﷺ اليهود ، وقتلهم بحكم سعد بن معاذ .

ونظير استضعافهم لهارون استضعاف اليهود له ﷺ في قصة الأحزاب ، حتى قال قائلهم : أيخاف على نفسه وعلى أصحابه ، حتى لا يستطيع أحدهم أن يخرج إلى الغائط ، ويعدهم بملك كسرى وقيصر .

وأما مناسبة لقائه لموسى في السماء السادسة ، فإن موسى عليه السلام ابتلي من بني إسرائيل ومعالجتهم ، والصبر على عنادهم وطغيانهم وسوء أدبهم ، وكان الذي عاجله النبي ﷺ في السنة السادسة لم يعالج قبله ولا بعده مثله ، ففيها فتح خيبر وفدك^(١) وجميع حصون اليهود ، وكتب الله عليهم الجلاء ، وضربهم بسوط البلاء ، وعالج النبي ﷺ في هذه السنة كما عالج موسى من قومه ، فموسى أثر أن يقيم شريعة الله في الأرض المقدسة

(١) خيبر مدينة عامرة معروفة ، وهي تبعد عن المدينة (١٨٠) كيلو من جهة الشام .
وفدك بالتحريك ، قرية بالحجاز بينها وبين المدينة يومان وقيل ثلاثة .

وحمل قومه على ذلك ، فتقاعدوا عنه وقالوا : ﴿إن فيها قوماً جبارين وإنا لن ندخلها حتى يخرجوا منها﴾^(١) وقالوا : ﴿إنا لن ندخلها أبداً ما دامو فيها﴾^(٢) ولم يدخل موسى الأرض المقدسة ، وإنما تاهوا في التيه^(٣) وكذلك أثر محمد ﷺ أن يقيم الشريعة في الأرض المقدسة حيث عزم على أن يدخل مكة ليقيم بها سنة إبراهيم وليجدد العهد بالبيت والحرم ، وأحرم بالعمرة فصده قومه ولم يدخلها ، وكان لقاءه بموسى على التأسي مع حسن العاقبة وحميد الأثر في السنة القابلة .

وأما مناسبة لقائه لإبراهيم في السماء السابعة ، فقد وقع له عليه السلام ما يناسب ذلك في السنة السابعة ، فقد اعتمر عمرة القضاء في السنة السابعة ، ودخل مكة هو وأصحابه ملبين معتمرين محيين لسنة إبراهيم في العمرة ، ومقيمين لرسمه التي كانت الجاهلية أماتت ذكره وبدلت أمره ، وجدد المناسك التي أراد الله لإبراهيم وإسماعيل^(٤) .

قال أبو إسحاق محمد بن إبراهيم النعماني الشافعي في "السراج الوهاج" : قال صاحب "فتح الصفا" : ووجه مناسبة المعراج الثامن إلى سدره المنتهى لما اشتملت عليه السنة الثامنة من الهجرة من فتح مكة أم القرى وإليها المنتهى على ما ورد من أن الأرض دحيت من مكة فلذلك سميت

(١) المائدة : ٢٢

(٢) المائدة : ٢٤

(٣) وهو المذكور في قوله تعالى عن بني إسرائيل ﴿قال فإنها محرمة عليهم أربعين سنة يتيهون في الأرض﴾ فلذلك سميت تلك الأرض بالتيه .

(٤) ١هـ . . . من الآيات العظيمة الباهرة للشامى .

«أم القرى» ، أو هي أم القرى لأن أهل القرى يرجعون إليها في الدين والدنيا حجاً واعتماراً وجواراً وكسباً وتجاراً ، قال تعالى : ﴿ جعل الله الكعبة البيت الحرام قياماً للناس ﴾^(١) أى : تقوم بأبدانهم وأديانهم .

وسدرة المنتهى ينتهى إليها علم الخلائق ، فكان بلوغه سدرة المنتهى تنبيهاً على بلاغه إلى فتح مكة ، وسميت السدرة سدره لأنها ينتهى إليها ما يعرج من الأرض وما ينزل من السماء ، وأما مناسبة المعراج التاسع إلى المستوى المصعد أو المكان الواسع وهو الذى سمع فيه صريف الأقلام بتصريف الأقدار . فالحكمة فى سماعه ﷺ صريف الأقلام حصول الطمأنينة بجفاف القلم بما فى القدر ، حتى يتمكن من التفويض للقدر لا للسبب ، وحتى يتعاطى السبب تعبداً وبذلك يتم التوكل ويسكن الاضطراب عند اختلاف الأسباب .

وفى السنة التاسعة من الهجرة وقعت غزوة تبوك وفيها خرج النبى ﷺ من المدينة إلى الشام ، والشقة بعيدة والمشقة شديدة ، ولم يعلم الناس بوجههم ، ومع هذا لم يلق النبى ﷺ حرباً ولا فتح بلداً ، فانتسخ العزم بالقدر وبجفاف القلم ، فرجع بأصحابه إلى المدينة من غير اضطراب ، فهذه مناسبة هذا المعراج .

وما جاء فى المعراج من كلامه ﷺ للأنبياء يدعو إلى الكلام عن الأرواح وهل يتخاطب الأحياء مع الأموات ، وهل يتخاطب الموتى بعضهم

(١) المائدة : ٩٧

مع بعض؟ .

أما أرواح الموتى فهي قسمان : أرواح معذبة ، وأرواح منعمة ، فالمعذبة فى شغل بما هي فيه من العذاب عن التزاور والتلاقى ، والأرواح المنعمة المرسله غير المحبوسة تتلاقى وتتزاور وتتذاكر ما كان منها فى الدنيا ، وما يكون من أهل الدنيا ، فتكون كل روح معها رفيقها الذى هو على مثل عملها ، وروح نبينا ﷺ فى الرفيق الأعلى . قال الله تعالى : ﴿ ومن يطع الله والرسول فأولئك مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا ﴾ (١) . وهذه المنّة ثابتة فى الدنيا ودار البرزخ وفى دار الجزاء ، والمرء مع من أحب فى هذه الدور الثلاثة .

وفى حديث عبد الله بن مسعود فى قصة الإسراء قال : « لما أسري برسول الله ﷺ لقي إبراهيم وموسى وعيسى ، فتذاكروا أمر الساعة فبدأوا بإبراهيم فسأله عنها » . . . الحديث ، وهو دليل على تلاقىهم من حيث أنهم أحياء عند ربهم وأحباء فهم يتلاقون (٢) .

سُدرة المنتهى :

اعلم أن سُدرة المنتهى فى السماء السابعة ، وفى رواية : أنها فى السماء السادسة ، وجمع بينهما بأن أصلها فى السادسة وأغصانها وفروعها فى

(١) النساء : ٦٩

(٢) السراج الوهاج فى حقائق الإسراء والمعراج لأبى اسحاق محمد بن إبراهيم النعمانى الشافعى . ص : ٥٢ - ٥٩ .

السابعة ، وأما القول بأن أصلها فى الأرض فلا يلتفت إليه ، وهل أصلها معلق فى الهواء أو مغروس فى تراب أو فى حرم السماء ، احتمالات ، أظهرها آخرها ، بل هو لا ينافى ما قبله .

فغاية ارتفاعه إلى مقابلة فروع سدره المنتهى ، إذ غصونها فى الكرسي ، والسدر شجر النبق ، واحده سدره ، وقيل لها المنتهى لأنها ينتهى إليها ما يهبط من فوقها أى من التقادير فيقبض منها ، وإليها ينتهى ما يعرج من الأرض أى من أعمال العباد وما يقع فيها ، وقيل غير ذلك . قال ابن دحية : اختيرت السدره دون غيرها لأن فيها ثلاث أوصاف : ظل ممدود ، وطعم لذيد ، ورائحة ذكية . فكانت بمنزلة الإيمان الذى يجمع القول والعمل والنية . فالظل بمنزلة العمل ، والطعم بمنزلة النية ، والرائحة بمنزلة القول . وقد وقع فى حديث ابن مسعود رضى الله عنه عند مسلم : أن السدره فى السماء السادسة ، وظاهر حديث أنس : أنها فى السابعة . قال القرطبى : وهو تعارض لاشك فيه ، وحديث أنس هو قول الأكثر وهو الذى يقتضيه وصفها بكونها التى ينتهى إليها علم كل نبي مرسل أو ملك مقرب ، ويترجح أيضا بأنه مرفوع وحديث ابن مسعود موقوف . قال الحافظ ابن حجر : ولم يعرج القرطبى على الجمع بل جزم بالتعارض ، ولا تعارض لأنه يحمل على أن أصلها فى السادسة وأغصانها وفروعها فى السماء السابعة . وقد تقدم ذكر ذلك فى أثناء الكلام على تفسير الآية فى أول الكتاب .

دخول النبي صلى الله عليه وسلم الجنة :

قال ابن دحية : فى عرض الجنة عليه صلى الله عليه وآله وسلم كرامة عظيمة لأنه كان يعرض الجنة على أمته ليشتروها ، كما قال عن ربه تبارك وتعالى : ﴿ إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة يقاتلون فى سبيل الله فيقتلون ويقتلون وعداً عليه حقاً فى التوراة والإنجيل والقرآن ومن أوفى بعهده من الله فاستبشروا ببيعكم الذى بايعتم به وذلك هو الفوز العظيم ﴾ (١) . فأراد الله تعالى أن يعاين النبي ﷺ ما يعرضه على أمته ليكون وصفه إياها عن مشاهدة ، ولأنه ﷺ كان يدعو الناس إلى الجنة وهى الدار التى هياها الله لضيافة عباده المؤمنين ، وبعث النبي ﷺ داعياً إليها فأراد الله تعالى أن يريه الدار وكثرة ما أعد فيها من النعم والكرامة لثلاث يضمن بالدعوة إليها ، وليعلم أنها تسع الخلائق كلهم ولا تمتلئ حتى ينشأ الله تعالى خلقاً كما ثبت فى الحديث .

عرض النار عليه صلى الله عليه وسلم :

قال ابن دحية : إنما عرضت عليه صلى الله عليه وآله وسلم النار ليكون آمناً يوم القيامة إذا قال سائر الأنبياء : نفسى نفسى ، فنبينا يقول : أمتى أمتى ، وذلك حين تسجر جهنم ، ولذلك آمن الله محمداً صلى الله عليه وآله وسلم وآله وسلم فقال عز من قائل : ﴿ يوم لا يخزى الله النبي ﴾ (٢) . والحكمة فى ذلك أن يفرع إلى شفاعة أمته صلى الله عليه وآله وسلم وآله وسلم ولو لم يؤمنه

(٢) التحريم : ٨

(١) التوبة : ١١١

لكان مشغولا بنفسه كغيره من الأنبياء ، لأنهم لم يروا قبل يوم القيامة شيئاً
 أمّا هو ﷺ فقد رآها قبل ذلك فلا يفزع منها ويقدر على الخطبة ، وهو المقام
 المحمود لأن الكفار لما كانوا يكذبونه ويستهزؤن به ويؤذونه أشد الأذى أراه
 الله سبحانه وتعالى النار التي أعدها للمستحقين به تطيباً لقلبه وتسكيناً
 لفؤاده ، وللإشارة إلى أن من طيب قلبه بإهانة أعدائه والانتقام منهم فأولى
 أن يطيبه في أوليائه بالشفاعة والإكرام ، وليعلم من الله عليه حين أنقذهم
 منها ببركته وشفاعته صلى الله عليه وآله وسلم .

مالك خازن النار

جاء في قصة المعراج أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم رأى مالكا خازن النار فبدأ النبي صلى الله عليه وآله وسلم بالسلام ، قال السهيلي : لم يره على الصورة التي يراه عليها المعذبون في الآخرة ، ولو رآه على تلك الصورة ما استطاع أن ينظر إليه . قال الطيبي : إنما بدأ مالك بالسلام ليزيل ما استشعر من الخوف منه بخلاف سلامه على الأنبياء ابتداءً ، كما سبق اهـ .

وقد وقع في رواية : أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم بدأ مالكا بالسلام ، لكن الرواية الأولى أصح إسناداً من هذه ، ويحتمل أن يقال لورود هذه الرواية أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم رآه أكثر من مرة ، ففي الأولى بدأ مالك النبي ﷺ ، وفي الثانية بدأه النبي صلى الله عليه وآله وسلم بالسلام .

البيت المعمور :

قال أبو عبيدة : معنى المعمور الكثير الغاشية ويسمى الضُّراح - يضم الضاد المعجمة - ويقال المهملة . قال الزمخشري في " ربيع الأبرار " : وهو أي الضُّراح غلط وبالضُّراح تسميه الملائكة ، وسمي به لأنه ضرح عن الأرض أي بعد ، قال مجاهد : البيت المعمور وهو الضريح بمعنى بالمعجمة وهو في اللغة : البعيد ، وأكثر الروايات على أنه في السماء السابعة ، وروى ابن جرير وابن المنذر والحاكم وصححه عن أنس رضي الله عنه عن النبي ﷺ

قال : « البيت المعمور فى السماء السابعة يدخله كل يوم سبعون ألف ملك لا يعودون إليه حتى تقوم الساعة » . رواه الطيرانى وابن مردويه عن ابن عباس رضى الله عنهما مرفوعاً أيضاً ، وروى إسحاق بن راهويه عن علي رضى الله عنه أنه سئل عن البيت المعمور قال : بيت الله فى السماء السابعة بحيال البيت ، وحرمة كحرمة هذا فى الأرض ، يدخله كل يوم سبعون ألف ملك لا يعودون إليه .

وروى أبو الشيخ من طريق الليث قال : حدثنى خالد بن سعيد قال : بلغنى أن إسرافيل مؤذن أهل السماء يسمع تأذيته من فى السموات السبع ومن فى الأرض إلا الجن والإنس ثم يتقدم عظيم الملائكة فيصلى بهم . قال : وبلغنا أن ميكائيل يؤم الملائكة بالبيت المعمور واستدل بهذه الأحاديث على أن الملائكة أكثر المخلوقات ، لأنه لا يعرف من جميع العوالم من يتجدد من جنسه فى كل يوم سبعون ألفاً غير مائتة فى هذه الأحاديث .

أنواع المعارج:

يذكر العلماء فى هذه القصة أن أنواع المعارج عشرة على عدد سني الهجرة ، منها سبعة معارج إلى السموات السبع ، والمعراج الثامن إلى سدرة المنتهى ، والمعراج التاسع الذى سمع فيه ضريف الأقلام فى تصاريق الأقدار ، والمعراج العاشر إلى الرقوف والرؤية .
ومحال أن يكون خالق الكل مفتقراً إلى بعض مخلوقاته ، فهو سبحانه لا يحتاج إلى معراج أو دنو أو تدلى أو مقابلة ، وما ورد من الاستواء

والتزول وغير ذلك من الصفات التي يشكل إجراؤها على ظاهرها ، تؤمن به ونكل علم معناه إلى الله تعالى ، ولا نشبهه تعالى بخلقه ، ولا ننفي الصفات التي أثبتها سبحانه وتعالى لنفسه وأثبتها له رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم .

ثم دنا فتدلى :

اختلف العلماء في المراد بمن هو الذي دنا فتدلى على أقوال :
الأول : وهو أشهرها أن جبريل دنا من النبي ﷺ أي بعد مامد جناحه وهو بالأفق الأعلى عاد إلى الصورة التي كان يعتاد النزول عليها وقرب من النبي ﷺ . وقال القرطبي : أي دنا جبريل من النبي ﷺ بعد استوائه بالأفق الأعلى من الأرض فتدلى على النبي ﷺ ، والمعنى أنه لما رأى النبي ﷺ من عظمة جبريل ما رأى وهاله ذلك رده الله تعالى إلى صورة آدمي حتى قرب من النبي ﷺ بالوحي ، هذا قول الجمهور ، والدنو والتدلى بمعنى واحد وفيه أقوال أخرى .

ومعنى (فكان قاب قوسين) قال الإمام الرازي : فكان بين جبريل ومحمد ﷺ مقدار قوسين أو أقل ، وهذا على استعمال العرب وعادتهم فإن الأميرين منهم أو الكبيرين إذا اصطلحا وتعاقدا خرجا بقوسييهما ، وجعل كل منهما قوسه بطرف قوس صاحبه ، ومن دونهما من الرعية يكون كفه بكف صاحبه فيمدان باعيهما ، لذلك تسمى مبايعة .

الثاني : أن المراد به النبي ﷺ أي دنا من ربه تبارك وتعالى والمراد

بالدنوّ هنا المنزلة كما جاء في الصحيح من قوله ﷺ حاكيا عن ربه عز وجل :
﴿ من تقرب مني شبرا تقربت منه ذراعا ومن أتاني يمشي أتيته هرولة ﴾ .
وهناك أقوال أخرى تركناها .

مستوى صريف الأقلام

جاء فى خبر المعراج أنه ﷺ وصل إلى مستوى سمع فيه صريف الأقلام ، فمستوى - بفتح الواو والتنوين - موضع مشرف وهو المصعد ، وصريف الأقلام - بفتح الصاد المهملة وكسر الراء وبالفاء - قال النووى وغيره : هو صوت حركتها وجريانها على المكتوب فيه من أقضية الله ووحيه وما ينسخ من اللوح المحفوظ أو ما شاء الله تعالى من ذلك أن يكتب ويرفع لما أراده من أمره وتدبيره ، وفى ذلك حجة لأهل السنة فى الإيمان بصحة كتابة الوحى والمقادير فى كتب الله من اللوح المحفوظ بالأقلام التى هو يعلم جنسها وكيفيتها على ما جاءت به الآيات فى كتابه العزيز والأحاديث الصحيحة وما جاء من ذلك على ظاهره ، لكن كيفية ذلك وصورته وجنسه مما لا يعلمه إلا الله تعالى ومن أطلعه على شئ من ذلك من ملائكته ورسله ، وما يتأول هذا أو يحيله إلا ضعيف النظر والإيمان ، إذ جاءت به الشريعة ، ودليل المعقول لا يحيله ، والله تعالى يفعل ما يشاء ، ويحكم ما يريد ، حكمةً من الله تعالى وإظهاراً لما يشاء من غيبه لمن يشاء من ملائكته وسائر خلقه وإلا فهو غني عن الكتب والاستذكار ، سبحانه وتعالى ، قاله القاضى عياض . وقال ابن المنير : قد علم أن الأقلام إنما تكتب الأقدار ، والمقدر المكتوب قديم ، وإنما الكتابة حادثة ، وجاءت الأخبار بأن اللوح المحفوظ فرغ من كتابته وجف القلم بما فيه قبل خلق السموات والأرض ، وإنما هذه الكتابة المجددة فى صحف الملائكة كالفروع المنتسخة من الأصل ، وفيها المحو والإثبات على

ماورد في الأثر ، وأصل اللوح المحفوظ الذي انتسخ منه هو علم الغيب
القديم في أزل القدم ، وهو الذي لا محوفيه ولا إثبات حيث لا لوح ولا قلم
. قال القرطبي في " المفهم " : ولعل الأقلام الموصوفة هنا هي المعبر عنها
بالقلم المقسم به في قوله تعالى ﴿ ن والقلم ﴾ ^(١) ويكون القلم هنا للجنس .

رؤية النبي ﷺ الحق سبحانه وتعالى

قال القاضي عياض رحمه الله : اختلف السلف والخلف ، هل رأى نبينا ﷺ ربه ليلة الإسراء ، فأنكرته عائشة رضي الله عنها كما وقع في صحيح مسلم ، وجاء مثله عن أبي هريرة وجماعة ، وهو المشهور عن ابن مسعود وإليه ذهب جماعة من المحدثين والمتكلمين . وروي عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه ﷺ رآه بعينه ، ومثله عن أبي ذر وكعب رضي الله عنهما والحسن رحمه الله وكان يحلف على ذلك ، وحكي مثله عن ابن مسعود وأبي هريرة وأحمد بن حنبل ، وحكى أصحاب المقالات عن أبي الحسن الأشعري وجماعة من أصحابه أنه رآه ، ووقف بعض مشايخنا في هذا وقال : ليس عليه دليل واضح ولكنه جائز .

ثم قال : وأما صاحب " التحرير " فإنه اختار إثبات الرؤية . قال : والحجج في هذه المسألة وإن كانت كثيرة ولكننا لانتمسك إلا بالأقوى منها وهو حديث ابن عباس رضي الله عنهما : أتعجبون أن تكون الخلعة لإبراهيم والكلام لموسى والرؤية لمحمد ﷺ ؟ ! . وعن عكرمة سئل ابن عباس رضي الله عنهما : هل رأى محمد ﷺ ربه ؟ قال : نعم ، وقد روى بإسناد لا بأس به عن شعبة عن قتادة عن أنس رضي الله عنه قال : رأى محمد ﷺ ربه وكان الحسن يحلف لقد رأى محمد ﷺ ربه ، والأصل في الباب حديث ابن عباس حبر الأمة والمرجوع إليه في العضلات ، وقد راجعه ابن عمر رضي الله عنهما في هذه المسألة وراسله هل رأى محمد ﷺ ربه ؟ فأخبره أنه

رآه ، ولا يقدح في هذا حديث عائشة رضي الله عنها لأن عائشة لم تخبر أنها
 سمعت النبي ﷺ يقول : لم أر ربي ، وإنما ذكرت مذكرات متأولة لقول الله
 تعالى ﴿وما كان لبشر أن يكلمه الله إلا وحيا أو من وراء حجاب أو يرسل
 رسولا﴾ (١) ، ولقول الله تعالى ﴿لا تدركه الأبصار﴾ (٢) . والصحابي إذا
 قال قولا وخالفه غيره منهم لم يكن قوله حجة ، وإذا صحت الروايات عن
 ابن عباس في إثبات الرؤية وجب المصير إلى إثباتها ، فإنها ليست مما يدرك
 بالعقل ويؤخذ بالظن ، وإنما يتلقى بالسمع ولا يستجيز أحد أن يظن بابن
 عباس أنه تكلم في هذه المسألة بالظن والاجتهاد . وقد قال معمر بن راشد
 حين ذكر اختلاف عائشة وابن عباس : ما عائشة عندنا بأعلم من ابن عباس ،
 ثم إن ابن عباس أثبت شيئا نفاه غيره ، والمثبت مقدم على النافي ، هذا كلام
 صاحب " التحرير " . فالحاصل أن الراجح عند أكثر جمهور علماء السنة أن
 رسول الله ﷺ رأى ربه ليلة الإسراء لحديث ابن عباس وغيره مما تقدم ،
 وقالوا : وإثبات هذا لا يأخذونه إلا بالسمع من رسول الله ﷺ ، هذا مما
 لا ينبغي أن يتشكك فيه ، ثم إن عائشة رضي الله عنها لم تنف الرؤية
 بحديث عن رسول الله ﷺ ولو كان معها فيه حديث لذكرته ، وإنما اعتمدت
 الاستنباط من الآيات ، وسنوضح الجواب عنها . فأما احتجاج عائشة بقول
 الله تعالى ﴿لا تدركه الأبصار﴾ فجوابه ظاهر ، فإن الإدراك هو الإحاطة ،
 والله تعالى لا يحاط به ، وإذا ورد النص بنفي الإحاطة لا يلزم منه نفي الرؤية
 بغير إحاطة وأجيب عن الآية بأجوبة أخرى لا حاجة إليها مع ما ذكرناه فإنه
 في نهاية من الحسن مع اختصاره ، وأما احتجاجها رضي الله عنها بقول الله تعالى

﴿وما كان لبشر أن يكلمه الله إلا وحياً﴾... الآية . فالجواب عنه من أوجه: أحدها: أنه لا يلزم من الرؤية وجود الكلام حال الرؤية فيجوز وجود الرؤية من غير كلام . الثانى: أنه عام مخصوص بما تقدم من الأدلة . الثالث: ما قاله بعض العلماء أن المراد بالوحي الكلام من غير واسطة ، وهذا الذى قاله هذا القائل وإن كان محتملاً ولكن الجمهور على أن المراد بالوحي هنا الإلهام والرؤية فى المنام وكلاهما يسمى وحياً . وأما قوله تعالى ﴿أو من وراء حجاب﴾ فقال الواحدى وغيره: معناه غير مجاهر لهم بالكلام بل يسمعون كلامه سبحانه وتعالى من حيث لا يرونه ، وليس المراد أن هناك حجاباً يفصل موضعاً من موضع ، ويدل على تحديد المحجوب فهو بمنزلة ما يسمع من وراء الحجاب حيث لم ير المتكلم . والله أعلم^(١) .

الخلاصة:

والحاصل أن فى رؤية النبى ﷺ لربه تبارك وتعالى ليلة المعراج ثلاثة مذاهب ، الأول: أنه لم يره ، وهو مذهب السيدة عائشة وهو المشهور عن ابن مسعود ، وجاء مثله عن أبى هريرة وإليه ذهب كثيرون من المحدثين والمتكلمين ، وبالف الحافظ عثمان بن سعيد الدارمى فنقل فيه الإجماع ، والثانى: أنه رآه ، وهو مذهب ابن عباس وعروة بن الزبير ، وهو المشهور عن الحسن وكعب الأخبار والزهرى ومعمّر ، وبه قال أبو الحسن الأشعرى وغالب أتباعه ، ثم اختلفوا هل رآه بعينه أو بقلبه؟ والقولان رُويَا عن الإمام

(١) شرح مسلم للإمام النووى . الجزء الثالث (ص ٤ - ٦) .

أحمد ، وقال الإمام النووي : الراجح عند أكثر العلماء أن رسول الله ﷺ رأى ربه بعيني رأسه ليلة المعراج ، وبسط الكلام على ذلك واستدل بأشياء نوزع في بعضها ، والثالث : ذهب جماعة إلى الوقف في هذه المسألة ولم يجزموا بنفي ولا إثبات لتعارض الأدلة ، ورجح ذلك الإمام أبو العباس القرطبي في "المفهم" ، وعزاه لجماعة من المحققين وقواه بأنه ليس في الباب دليل قاطع .

حقيقة القول برويا العين :

هذا وينبغي أن يعلم أن الحق الذي عليه أهل الحق ممن قال برويا العين ليس المقصود منه كرويا العين الجارحة للمرئيات الذي يطلق عليه لفظ رؤيا والمتبادر في الذهن عند الإطلاق بالمعنى الذي يفيد الإحاطة والنسبة والقرب والبعد ، فالله منزّه عن ذلك كله عند الجميع ، وإنما المقصود رؤيا خاصة لا يمكن أن تعقل ولا تكيف ولا تتصور ، وهذا الذي أشار إليه الحافظ ابن حجر فقال : إضافة الرؤية للعين للاحتراز عن رؤيا القلب ، وقد أثبت الله تعالى رؤيا القلب في القرآن بقوله ﴿ما كذب الفؤاد ما رأى﴾^(١) ورؤية العين بقوله ﴿ما زاغ البصر وما طغى﴾^(٢) .

المراد بروية الفؤاد والوقف أسلم :

قال الحافظ ابن حجر : ثم المراد بروية الفؤاد رؤية القلب لا مجرد حصول العلم ، لأنه ﷺ كان عالماً بالله على الدوام ، بل مراد من أثبت له أنه

١٧٧٧

(٢) النجم : ١٧

(١) النجم : ١١

رآه بقلبه أن الرؤية التي حصلت له خلقت في قلبه كما يخلق الرؤية بالعين لغيره . والرؤية لا يشترط لها شيء مخصوص عقلاً ولو جرت العادة بخلقها في العين ، وروى ابن خزيمة بإسناد قوي عن أنس قال : رأى محمد ربه وعند مسلم من حديث أبي ذر أنه سأل النبي ﷺ عن ذلك فقال : (نور أنى أراه) ، ولأحمد عنه قال : «رأيت نوراً» ، ولابن خزيمة عنه قال : (رآه بقلبه ولم يره بعينه) .

وبهذا يتبين مراد أبي ذر بذكره النور أى النور حال بين رؤيته له ببصره وقد رجح القرطبي في «المفهم» قول الوقف في هذه المسألة وعزاه لجماعة من المحققين ، وقواه بأنه ليس في الباب دليل قاطع ، وغاية ما استدل به للطائفتين ظواهر متعارضة قابلة للتأويل ، قال : وليست المسألة من العمليات فيكتفى فيها بالأدلة الظنية ، وإنما هي من المعتقدات فلا يكتفى فيها إلا بالدليل القطعي ، وجنح ابن خزيمة في «كتاب التوحيد» إلى ترجيح الإثبات وأطنب في الاستدلال له بما يطول ذكره ، وحمل ما ورد عن ابن عباس على أن الرؤيا وقعت مرتين مرة بعينه ومرة بقلبه ، وفيما أوردته من ذلك مقنع (١) .

الرؤية والدعوى الكاذبة:

تقدم ذكر الخلاف الجارى بين العلماء في مسألة رؤية الحق جل جلاله في الدنيا مع كمال التنزيه ونفي المثلية له عز وجل ، ولكن لابد من التنبيه إلى

(١) فتح الباري ٨ / ٧٨٣

أنه مع القول بجوازها في الدنيا ، فإنها لم تحصل لبشر غير نبينا صلى الله عليه وسلم على ما في ذلك من الخلاف ، ومن ادعاها غيره في البيضة فهو ضال ، بل قال الإمام الكواشي في تفسير سورة النجم : ومعتقد رؤية الله هنا بالعين لغير محمد ﷺ غير مسلم .

وقال الأردبيلي في " الأنوار " : فلو قال إنى أرى الله عياناً في الدنيا ويكلمنى شفاها كفر .

ونقل عن المهدوى المفسر أنه كفر مدعى الرؤية هنا ، وقد نقل جماعة الإجماع على أنها لا تحصل للأولياء في الدنيا .

قال الشيخان أبو عمرو بن الصلاح وأبو شامة : إنه لا يصدق مدعى الرؤية في الدنيا يقظة ، فإن شيئاً منع منه كلم الله تعالى موسى ﷺ واختلف في حصوله لنبينا ﷺ ، كيف يسمح به لمن لم يصل لمقامهما مما لا يتوقف فيه أنه لا يحصل لأحد الناس ؟ ! .

وقال الشيخ أبو بكر الكلابادى في " التعرف " : إن المشائخ أطبقوا على تضليل مدعيها - يعنى الرؤية في الدنيا - وتكذيبه ، وصنفوا في ذلك كتباً ورسائل ، وزعموا أن من ادعى ذلك لم يعرف الله تعالى ، وأقره العلماء القونوى في شرحه على ذلك وقال : .

وإن صح عن أحد من المعتبرين وقوع ذلك فيمكن تأويله ، وذلك لأن غلبات الأحوال تجعل الغائب كالشاهد ، حتى إذا كثر اشتغال السربشى واستحضاره له يصير كأنه حاضر بين يديه ، وهذا معلوم لكل أحد .

رؤية العباد لله تعالى

جرى البحث في رؤية النبي ﷺ للحق سبحانه وتعالى ليلة الإسراء والمعراج والاختلاف الواقع في ذلك كما تقدم ، ويناسب أن نذكر هنا مسألة أخرى مهمة تتصل بذلك البحث اتصالاً وثيقاً ألا وهي مسألة رؤية العباد لله تعالى .

قال الإمام شيخ الإسلام النووي : اعلم أن مذهب أهل السنة بأجمعهم أن رؤية الله تعالى ممكنة غير مستحيلة عقلاً وأجمعوا أيضاً على وقوعها في الآخرة ، وأن المؤمنين يرون الله تعالى دون الكافرين ، وزعمت بعض الطوائف من المعتزلة والخوارج وبعض المرجئة أن الله تعالى لا يراه أحد من خلقه ، وأن رؤيته مستحيلة عقلاً ، وهذا الذي قالوه خطأ صريح وجهل قبيح ، وقد تظاهرت أدلة الكتاب والسنة وإجماع الصحابة فمن بعدهم من سلف الأمة على إثبات رؤية الله تعالى في الآخرة للمؤمنين ، ورواها نحو عشرين صحابياً عن رسول الله ﷺ ، وآيات القرآن فيها مشهورة ، واعتراضات التكرين عليها لها أجوبة مشهورة في كتب المتكلمين من أهل السنة ، وكذلك باقى أقوالهم وهي مستقصاة في كتب الكلام وليس بنا ضرورة إلى ذكرها هنا ، وأما رؤية الله تعالى في الدنيا فقد قدمنا أنها ممكنة ولكن الجمهور من السلف والخلف من المتكلمين وغيرهم أنها لا تقع في الدنيا ، وحكى الإمام أبو القاسم القشيري في رسالته المعروفة عن الإمام أبي بكر بن فورك أنه حكى فيها قولين للإمام أبي الحسن الأشعري ، أحدهما

وقوعها ، والثاني لاتقع ، ثم مذهب أهل الحق أن الرؤية قوة يجعلها الله تعالى في خلقه ، ولا يشترط فيها اتصال الأشعة ولا مقابلة المرئي ولا غير ذلك ، لكن جرت العادة في رؤية بعضنا بعضاً بوجود ذلك على جهة الاتفاق لا على سبيل الاشتراط ، وقد قرر أئمتنا المتكلمون ذلك بدلائله الجلية ، ولا يلزم من رؤية الله تعالى إثبات جهة تعالى عن ذلك ، بل يراه المؤمنون لا في جهة كما يعلمونه لا في جهة ، والله أعلم^(١) .

وقد كتب شيخ مشائخنا الإمام العارف بالله الشيخ محمد أمين الكردي في ذلك بحثاً ، فقتطف منه هذه الخلاصة الواقية الشافية .

قال^(٢) : رؤية الله تعالى جاترة عقلا في الدنيا والآخرة ، لأن الباري سبحانه وتعالى موجود ، وكل موجود يصح أن يرى ، فالباري عز وجل يصح أن يرى لكن لم تقع في الدنيا لغير نبينا ﷺ ، وواجبة شرعاً في الآخرة كما عليه أهل السنة والجماعة للكتاب والسنة والإجماع .

أما الكتاب فكقوله تعالى ﴿ للذين أحسنوا الحسنى وزيادة ﴾^(٣) فقد روي عن أنس قال : سئل رسول الله ﷺ عن هذه الآية فقال : (للذين أحسنوا) العمل في الدنيا (الحسنى) وهي الجنة (وزيادة) النظر إلى وجه الرحمن جل جلاله) ، وقوله : ﴿ وجوه يومئذ تاضرة إلى ربها ناظرة ﴾^(٤) وقوله : ﴿ اللهم ما يشاءون فيها ولدينا مزيد ﴾^(٥) قال علي بن أبي طالب

(١) شرح مسلم للإمام النووي الجزء الثالث صفحة (١٥ - ١٦) .

(٢) ضوء السراج في فضل رجب وقصة المعراج للشيخ محمد أمين الكردي .

(٣) يونس : ٢٦ (٤) القيامة : ٢٢ - ٢٣

(٥) ق : ٣٥

وأثنى بن مالك : هو النظر إلى وجه الله عز وجل ، فهذه الآيات منادية نداءً صريحاً أن الله تعالى يرى عياناً بالأبصار في الآخرة ، وإذا جازت في الآخرة جازت في الدنيا لتساوى الوقتين بالنسبة إلى المرئي ، وأما السنة فكقوله ﷺ فيما روى البخارى وغيره : (إنكم سترون ربكم كما ترون القمر ليلة البدر) ، والتشبيه للرؤية في عدم الشك والخفاء لا للمرئي ، وأما الإجماع فهو أن الصحابة ومن بعدهم رضى الله عنهم كانوا مجمعين على وقوع الرؤية في الآخرة .

قال سيدنا الإمام مالك رضى الله عنه : لما حجب أعداءه فلم يروه تجلّى لأوليائه حتى رأوه ، ولو لم ير المؤمنون ربهم يوم القيامة لم يعيّر الكافرين بالحجاب ، قال تعالى : ﴿ كَلَّا إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَمَحْجُوبُونَ ﴾ (١) وقال الإمام الشافعى رضى الله عنه : لما حجب قوماً بالسخط دل على أن قوماً يرونه بالرضا ، ثم قال : أما والله لو لم يوقن محمد بن إدريس بأنه يرى ربه في الميعاد لما عبده في الدنيا ، وهذا من كلام المدللين - نفعنا الله بهم - وإلا فالله يستحق العبادة لذاته ، والرؤية متفاوتة على حسب أحوال العباد ، فالرؤية العامة تكون كل جمعة ، وبعض الخواص يراه كل يوم بكرة وعشية وبعضهم لا يزال مستمراً في الشهود .

قال أبو يزيد البسطامي : إن لله خواصاً من عباده لو حجبهم في الجنة عن رؤيته ساعة لاستغاثوا من الجنة ونعيمها كما يستغيث أهل النار من النار

(١) المطففين : ١٥

وعذابها ، ولكن يرونها منزها عن المقابلة والجهة والمكان ، لأن الرؤية قوة يجعلها الله تعالى في خلقه لا يشترط فيها اتصال الأشعة ولا مقابلة المرئي وإن جرت العادة في رؤية بعضنا بعضاً بوجود ذلك على جهة الاتفاق لا على سبيل الاشتراط ، ولا يلزم من رؤيته إثبات جهة تحده وتحيط به ، بل يراه المؤمنون لا في جهة محدودة كما يعلمون أنه لا في جهة محدودة محيطة به (١) .

والرؤية أيضاً نوع كشف وعلم للمدرك بالمرئي يخلقه الله تعالى عند مقابلة الحاسة له بالعادة ، فجائز أن يخلق الله تعالى هذا القدر بعينه من الإدراك بدون أن ينقص منه شيء من غير مقابلة لهذه الحاسة أصلاً ، وكيف لا ، وهو واقع كما روي عنه عليه السلام أنه قال : «سواء صفوكم فإني أراكم من وراء ظهري» وكما يرانا الله تعالى من غير مقابلة ولا جهة بالاتفاق فكذلك نراه ، فالرؤية نسبة خاصة بين طرفي راء ومرئي ، فكما لم تقتض عقلا كون أحدهما في جهة لم تقتض كون الآخر في جهة ، وكما أن العلم إدراك وهم يعلمونه لا في مكان ولا في جهة ، فكذلك الرؤية نوع من الإدراك فهم يرونها كذلك ، والإدراك معنى يخلقه الله تعالى في المدرك فإن خلقه في جزء العين سمي إبصاراً ، أو في جزء القلب سمي علماً ، أو في جزء الأذن سمي سمعاً ، أو في اللسان سمي ذوقاً ، أو في الأنف سمي شمّاً ، أو في جميع الجسد سمي لمساً ، واختصاص خلقه بهذه المحال إنما هو بمحض

(١) مع اعتقاد علو المطلق لله تعالى المتعال والفوقية اللاتقية به ونفي الحلول والاتحاد ، تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً .

اختياره تعالى ، فلو اختار خلافه لكان كما اختاره تعالى ، واختصاص بعضها بكون المدرك في جهة وغير قريب جداً ولا بعيد جداً إنما هو بمحض اختياره تعالى ، ولو شاء لجعله يتعلق بالقریب جداً والبعید جداً ، وبما ليس في جهة كتعلق العلم بها ، ومن قال إن الحق تعالى يدرك عقلاً ولا يدرك بصراً فجاهلٌ لا علم له بحكم العقل ولا بحكم البصر ولا بالحقائق على ما هي عليه كالمعتزلة ومن تبعهم .

ومن أقوى دليل على جهلهم سؤال موسى عليه السلام إياها بقوله ﴿رب أرني أنظر إليك﴾^(١) فإنه يستحيل أن يخفى على نبي من أنبياء الله تعالى ، انتهى منصبه إلى أن يكلمه الله شفاهاً أن يجهل من صفات ذاته تعالى ما عرفه المعتزلة ، وهذا معلوم بالضرورة .

والله اعلم بالصواب .

(١) الأعراف : ١٤٣ .

لاتدرکه الأبصار

وأما احتجاجهم بقوله تعالى: ﴿لاتدرکه الأبصار﴾^(١) فهو مردود بأن النفي فى الآية ليس عاماً ، فالسلب فيها من سلب العموم كما هو معلوم فى فن العقول ، حيث وقع فيها المسند إليه وهو الأبصار جمعاً محلى بالألف واللام فهو من صيغ العام ، والسلب إذا دخل على عام أفاد سلب عمومه لا عموم السلب لكل فرد من أفرادهِ وهذا مطرد فى السالبة ، وقد يكون فى القضية الموجبة أيضاً ، ألا ترى قوله عليه الصلاة والسلام « الناس نيام فإذا ماتوا انتبهوا » ولا شك فى شمول لفظ الناس للأنبياء عليهم الصلاة والسلام مع أنهم غير مرادين لأنهم أنبه الناس وأيقظهم ، ويؤخذ من هذا الحديث أنهم إذا ماتوا عن حظوظهم الفانية واختياراتهم انكشفت لهم الأستار عن عالم الأنوار ، بل هذه الآية دليل لنا بطريق الإشعار حيث نفى الحق سبحانه وتعالى إدراك عموم الأبصار ، فاقضى تخصيصه فى الدنيا بحبيبه المختار ، وفى الآخرة بالمؤمنين الأخيار ، ولئن سلم عموم النفي فهو مردود أيضاً بأن الإدراك ليس مطلق الرؤية ، بل معنى لاتدرکه الأبصار لاحتياط كما أن العقول لاحتياط به ، فالنصوص الدالة على نفي الرؤية مفيدة بنفى الإحاطة ، ولا يلزم منها نفي الرؤية بغير إحاطة معها ، فإذا علمت ذلك أن الله تعالى يرى من غير الكيفيات المعتبرة فى رؤية الأجسام ومن غير إحاطة ، بل يحار العبد فى العظمة والجلال حتى لا يعرف اسمه ولا يشعر

(١) الأنعام : ١٠٣

من حوله من الخلائق فإن العقل يعجز هنالك عن الفهم ويتلاشى الكل في
جنب عظمتة تعالى ، لأن رؤية الحق سبحانه وتعالى تسكر عقول الرائي من
تمام لذتها . أذاقنا الله حلاوتها وكل من آمن بها .

الرؤية القلبية والمنامية للذات العلية والحضرة النبوية

أما رؤيته تعالى في المنام فقد أجمع علماء التعبير على جوازها . قال أهل العلم : خير الرؤيا أن يرى العبد ربه في منامه أو يرى نبيه أو يرى أبويه إن كانا مسلمين . وقال أبوهريرة : سمعت رسول الله ﷺ يقول : (لم يبق من النبوة إلا المبشرات ، قالوا وما المبشرات ؟ قال : الرؤيا الصالحة) رواه البخاري ، وقد رآه جماعة من العلماء الأعلام فنقل أن الإمام أبا حنيفة قال : رأيت ربي في المنام تسعا وتسعين مرة ، ثم رآه أخرى تمام المائة ، وقصتها طويلة لا يسعها هذا المقام ، وروي عن الإمام أحمد أنه قال : (رأيت ربي في المنام تسعا وتسعين مرة فأقسمت بعزته إن رأيته تمام المائة لأسألنه ، فرأيت فقلت : يارب بماذا يتقرب إليك المتقربون ؟ قال : بتلاوة كلامي ، فقلت : يارب بفهم أو بغير فهم ؟ قال : يا أحمد بفهم أو بغير فهم) . وروي عن أحمد بن حنبل أنه قال : (رأيت رب العزة في المنام فقال : يا أحمد ، كل الناس يطلبون مني إلا أبا يزيد فإنه يطلبني) ولا ينبغي لمسلم أن يتوقف في رؤية الله تعالى في المنام لأنه لا شيء في الأكوان أوسع من عالم المنام ، وذلك أنه يحكم بحقيقته على كل شيء وعلى ما ليس بشيء ، ويصور لك العدم المحض والمحال والواجب فضلا عن الممكن ، ويجعل الوجود عدما والعدم وجودا ، ويريك العلم لبنا والإسلام قبة والثبات في الدين قيда والدين قميصا ، لما روى أبو أمامة بن سهل أنه سمع أبا سعيد الخدري يقول : قال رسول الله ﷺ : (بينما أنا نائم رأيت الناس يعرضون علي

وعليهم قُمْصٌ منها ما يبلغ الثُدَيَّ ، ومنها ما يبلغ دون ذلك ، ومرّ عليّ عمرُ ابن الخطاب وعليه قميص يجره ، قالوا ما أولت يا رسول الله؟ قال : الدين) رواه البخارى^(١) ، فالدين لا شكل له ولا صورة ، ولكن جعل القميص له مثالا ، فعلم أنه لا يلزم من كون الشئ لا صورة له أن لا يرى في صورة ، ألا ترى أن كثيرا من الأشياء التي لا أشخاص لها ولا صورة ترى في المنام بأمثلة تناسبها كما يمثل القرآن باللؤلؤ والهدى بالنور والضلالة بالعمى ، ومن قال بمنع رؤيته تعالى في المنام لكونه إذا رآه النائم يكون مصورا لا محالة ، ولا صورة للرب ولا مثل ولا مثل لظنه أن المثل - بفتحيتين - كالمثل - بكسر الميم وسكون المثناة - فقد أخطأ ، فإن المثل - بالسكون - يستدعى المساواة في جميع الصفات كالسوادين والجوهريين ، ويقوم كل واحد منهما مقام الآخر من جميع الوجوه في كل حال ، بخلاف المثل - بفتحيتين - فإنه لا يشترط فيه المساواة من كل وجه ، وإنما يستعمل فيما يشاركه لأدنى وصف ، قال تعالى ﴿ إِنَّمَا مَثَلُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاءٍ أَنْزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ ﴾^(٢) والحياة لا صورة لها ولا شكل ، والماء ذو شكل وصورة ، وكذلك قوله تعالى : ﴿ مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ ﴾^(٣) وغير ذلك ، فعلم أنه لا مثل لله ولكن ﴿ وَلَهُ الْمَثَلُ الْأَعْلَىٰ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ﴾^(٤) فمن رآه على وجهه لا يستحيل عليه تعالى فهو هو تعالى ، وإلا بأن كان بصورة رجل مثلاً ، فإن أمر الرائي بما يخالف الشرع كأن قال له أسقطتُ عنك التكليف فهو الشيطان ، وإن لم يأمر بما يخالف الشرع فهو رسول من عند الله ، ويقال حينئذ أنه رأى ربه في الجملة لحكمة تظهر عند المعبرين بأن يقولوا : تدل على كذا وكذا ، وقيل

(١) صحيح البخارى كتاب التعبير باب القميص في المنام ٧٥/٨ .

(٢) يونس : ٢٤ (٣) النور : ٣٥ (٤) الروم : ٢٧

هو الرب أيضا ، وكونه جسماً إنما هو باعتبار ذهن الرائي ، وأما فى الحقيقة
فليس تعالى كذلك ، لأن النائم يرى فى النوم تصور المعانى فى الصور
المحسوسة وتحسد ما ليس من شأنه أن يكون جسداً ، فما ثم أوسع من الخيال
إذا علمت ذلك تعلم أن الشيطان قد يتمثل بالمولى جل جلاله ، وأما النبى
ﷺ فلا يتمثل به الشيطان ، والفرق أن الله ليس كمثله شئ فتمثل الشيطان به
لا يضر فى العقيدة ، وأما النبى ﷺ فإنه بشر فلو تمثل به الشيطان لأفسد
الدين ، ومن رآه فى نومه ﷺ فقد رآه حقيقة ، كما روى البخارى عن أنس
رضى الله عنه قال : قال ﷺ : (من رآنى فى المنام فقد رآنى فإن الشيطان
لا يتمثل بى ، ورؤيا المؤمن جزء من ستة وأربعين جزءاً من النبوة) ومعنى
قوله « فقد رآنى » أى رأى حقيقة جسمى وروحى وصورتى معاً ، وذلك
لأن الأنبياء عليهم الصلاة والسلام لا تبلى أجسادهم ولا تتغير صورهم ،
وهم فى قبورهم يصلون كما جاءت به الأحاديث ، ولورؤى على غير
صورته الأصلية فإنما ذلك يختلف باختلاف أحوال الرائي له ﷺ ، بحسب
استقامتهم على شريعته ، فعلم أن الرائي لرسول الله ﷺ على تلك الصور
والأشكال المختلفة راء له حقيقة ، فإن تلك الصور كلها أمثلة خيالية ،
والمرئى بواسطتها هو النبى صلى الله عليه وآله وسلم ، وهذا كما يقول
الإنسان : رأيت وجهى فى الماء ، ومعلوم قطعاً أن وجهه ليس منتقلاً إلى
الماء حتى رآه فيه ، وإنما معناه : رأيت حقيقة وجهى بواسطة مثاله فى الماء ،
فيكون المثال واسطة لا يلتفت إليه إذ لا حقيقة له حتى يكون مرئياً لذاته ،
وإنما هو هيئة يريك الله تعالى وجهك بواسطتها ، وذلك من عجائب قدرته
التي تكل الأفهام عن إدراكها^(١) .

(١) ضوء السراج فى فضل رجب وقصة المعراج للشيخ محمد أمين الكردى الإربلى الشافعى .

وَأَتَيْتَ إِبْرَاهِيمَ مُلْكًا عَظِيمًا

جاء في قصة المعراج : أن النبي ﷺ قال : في خطبته ليلة المعراج مخاطباً الله سبحانه وتعالى : (وَأَتَيْتَ إِبْرَاهِيمَ مُلْكًا عَظِيمًا) . قال ابن دحية: لا يعهد لإبراهيم مُلكٌ عرفي ، فإما أن يراد بالملك الإضافة إلى نفسه وذلك لقهره لعظماء الملوك ، وناهيك بالتمروذ وقد قهره الله تعالى بخليله وأعجزه عنه ، وقهره الملك العظيم مُلكٌ عظيم فالقاهر أعظم من المقهور . ويحتمل أن المراد بالإضافة إلى بنيه وذريته ، وذلك نحو ملك يوسف الصديق وهلمّ جرّاً كداود وسليمان ، وفي التنزيل : ﴿فَقَدْ آتَيْنَا آلَ إِبْرَاهِيمَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَآتَيْنَاهُمْ مُلْكًا عَظِيمًا﴾^(١) ، والإشارة هنا إلى ذريته ، وعليه فقوله : وَأَتَيْتَ إِبْرَاهِيمَ . . الخ على حذف مضاف ، أي وَأَتَيْتَ ذُرِّيَّةَ إِبْرَاهِيمَ أو آلَ إِبْرَاهِيمَ ، وإما أن يراد بذلك النفس في مظنة الاضطراب مثل ملكه لنفسه ، وقد سأله جبريل أي حال رمية في النار : ألك حاجة؟ فقال : أما إليك فلا . انتهى . قاله الأجهوري .

(١) النساء : ٥٤

معنى الذنب فى حق نبينا محمد ﷺ :

وقوله فى القصة (فغفر له ماتقدم من ذنبه وما تأخر) ينبغى أن لا يخطر ببال المسلم حصول الذنب المقتضى للنقصان ، ولذلك فقد أجاب العلماء عن هذا

فقال شيخ الإسلام تقي الدين السبكي رحمه الله تعالى : المراد تشريف النبي ﷺ بهذا الأمر ، أى لو كان له ذنوبٌ لَعُفِرَتْ ولم يكن له ذنبٌ البتة .

وحكى الحافظ السيوطى فى كتابه «المحرر» فى الكلام على هذه الآية اثني عشر قولاً ، ونقل عن السبكي فساد خمسة منها ، وبين الحافظ السيوطى فساد الباقي ، ثم قال : وأما الأقوال المقبولة ففى "الشفاء" للقاضى عياض ، قيل : إن النبي ﷺ لما أمر أن يقول : ﴿ مَا أَدْرِ مَا يُفْعَلُ بِي وَلَا بِكُمْ ﴾ ^(١) سَرَّ بِذَلِكَ الْكُفَّارَ فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى : ﴿ لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ ﴾ ^(٢) وأخبر الله تعالى بها للمؤمنين فى الآية الأخرى بعدها ، فمقصد الآية أنك مغفور لك غير مؤاخذ بذنبك أن لو كان .

قال السيوطى : وهذا الأثر رواه ابن المنذر فى تفسيره عن ابن عباس بدون قوله (وأخبر بها للمؤمنين . . الخ) .

وروى الإمام أحمد والترمذى والحاكم عن أنس قال : أنزل على النبي

(٢) الفتح : ٢

(١) الأحقاف : ٩

﴿لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ﴾ مرجعه من الحديبية فقالوا: هنيئاً لك يا رسول الله لقد بين الله ما يفعل بك فماذا يفعل بنا ، فنزلت : ﴿لِيَدْخُلَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتُ﴾ إلى قوله : ﴿فَوْزاً عَظِيماً﴾ (١) . قال القاضي : قال بعضهم : المغفرة هنا تنزيه من العيوب .

وقال بعض المحققين : المغفرة هنا كناية عن العصمة فمعنى ﴿لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ﴾ ، يعصمك فيما تقدم من عمرك وفيما تأخر منه ، وهذا القول في غاية الحسن ، ثم نقل عن السبكي أنه قال : قد تأملت هذه الآية بذهنى مع ما قبلها وما بعدها فوجدتها لا تحتل إلا وجهاً واحداً ، وهو تشريف النبي ﷺ من غير أن يكون هناك ذنب ، ولكنه أريد أن تستوعب في الآية جميع أنواع النعم من الله تعالى على عباده ، وجميع النعم الأخروية شيئان : سلبية ، وهى غفران الذنوب ، وثبوتية ، وهى لا تتناهى ، وقد أشار إليها بقوله : ﴿وَيَتِمَّ نِعْمَتُهُ عَلَيْكَ﴾ ، وجميع النعم الدنيوية شيئان : دينية ، أشار إليها تعالى بقوله : ﴿وَيَهْدِيكَ صِرَاطاً مُسْتَقِيماً﴾ ودنيوية وإن كان المقصود بها الدين ، وهى قوله تعالى : ﴿وَيَنْصُرَكَ اللَّهُ نَصراً عَظِيماً﴾ (٢) ، وقدم الأخروية على الدنيوية تقدماً للأهم ، فانظم بذلك تعظيم قدر النبي ﷺ بإتمام أنواع نعم الله تعالى المفرقة فى غيره وبعد أن وقفت على هذا المعنى رأيت ابن عطية قد وقع عليه فقال : وإنما المعنى تشريف النبي ﷺ بهذا الحكم ولم تكن ذنوب البتة ، وقد وفق فيما قاله .

من هم بحسنة ، ومن هم بسيئة :

قوله : (ومن هم بحسنة) أى ترجّح عنده قصد فعلها ، وأما التردد فى الفعل والترك على السواء فلا يكتب له ولا عليه ، وأولى ما يهجنس فى النفس بأن يخطر على قلبه وهو المسمى بالهاجنس ، وأولى منهما مجرد الخطور ، وإنما يكتب له قصد الحسنة ونية فعلها ، لكن إن فعلها ضوعفت ، وإن لم يفعلها كتبت واحدة أى من غير مضاعفة بشرط أن لا يكون تركها كسلا .

وقوله : (ومن هم بسيئة) أى قصد وترجّح عنده ذلك لم تكتب تلك السيئة عليه ، وأما إن ضمم وعزم على الفعل لامحالة كتبت عليه السيئة ، لكن لا تكتب كبيرة ، بخلاف مالهو فعلها فإنها تكتب كبيرة ، وهذا إذا تركها لمانع أو كسل ، وأما لو تركها خوفاً من الله فإنها تكتب حسنة .

واعلم أن الصغائر لو فعلها تغفر باجتناب الكبائر وبفعل الحسنات من صلاة وصوم وصدقة وغير ذلك ، وأولى بالتوبة ، وأما الكبائر فلا تغفر إلا بالتوبة ، وهى الندم والعزم على أن لا يعود خوفاً من ربه أو يعفو الله عنه ، وربما كان الاشتغال بالحسنات سبباً فى عفو الله ، والكفر الأصلى أو الطارئ لا يكفره إلا الإسلام .

الحكمة فى تخصيص فرض الصلاة

ليلة الإسراء وبلا واسطة

الحكمة فى تخصيص فرض الصلاة بليلة الإسراء أنه ﷺ لما عرج به تلك الليلة رأى تعبد الملائكة وأن منهم القائم فلا يقعد ، والراکع فلا يسجد والساجد فلا يقعد ، فجمع الله تعالى له ولأمته تلك العبادات كلها فى ركعة واحدة يصلّيها العبد بشرائطها من الطمأنينة والإخلاص .

والحكمة أيضاً فى اختصاص فرضها بكونه بغير واسطة وبمراجعات متعددة ، قال السهيلي : فيه التنبيه على فضلها حيث لم تفرض إلا فى الحضرة المقدسة المطهرة ، ولذلك كانت الطهارة من شأنها ومن شرائطها ، والتنبيه على أنها مناجاة الرب ، وأن الرب تبارك وتعالى مقبل بوجهه على المصلّي يناجيه ، ويقول : حمدنى عبدى ، أثنى على عبدى . . إلى آخر السورة .

وقد فرضت عليه ﷺ فوق السماء السابعة حين سمع كلام الرب وناجاه ، ولم يعرج به حتى ظهر ظاهره وباطنه بماء زمزم كما يتظهر المصلّي للصلاة ، وخرج عن الدنيا بجسده كما يخرج المصلّي عن الدنيا بقلبه ، ويحرم عليه كل شئ إلا مناجاة ربه وتوجهه إلى قبلته فى ذلك الحين وهى بيت المقدس ، ورفع إلى السماء كما يرفع المصلّي بدنه إشارة إلى القبلة العليا وهى البيت المعمور ، وإلى جهة عرش من يناجيه ويصلّي

له سبحانه وتعالى .

سؤال موسى عليه السلام طلب التخفيف عن هذه الأمة :

وفى سؤال موسى عليه السلام طلب التخفيف عن هذه الأمة دليل على أن بكاءه أولاً حين صعود النبي ﷺ لم يكن إلا للوجه الذى أبدىناه^(١) لا غيره ، لأنه لو كان لغير ذلك لبكى حين رجوع النبي ﷺ إليه أو سكت ، ولكنه عليه السلام قام بالنصيحة للنبي ﷺ ، فلما أن كان بكاءه أولاً للوجه الذى ذكرناه ولم يصادف ما أشرنا إليه ، وإنما كانت هذه النفحة من النفحات الخاصة بالنبي ﷺ وبأمرته بمقتضى الحكمة والإرادة ، تعرض عليه السلام لهذه الأمة بطلب التخفيف فصادف تعرضه هذه النفحة فى موضعها لأنها خاصة بهذه الأمة ، وتكلم هو عليه السلام فى حقها فأسعف فيما أراد فخفف الله عز وجل إذ ذاك ورد الخمسين إلى خمس ، فأزال تعالى عن الأمة فرض تلك الصلوات وأبقى لهم ثوابها تفضلاً منه وإحساناً . قال الحافظ الشامى : وإنما امتنع النبي ﷺ من طلب التخفيف فى المرة العاشرة لما أمره موسى به لأمرين :

أحدهما : أن الأمر إذا انتهى إلى حد الإلحاح كان الأولى الترك ، ثانيهما : أن يكون النبي ﷺ تفرّس أن هذا العدد لا يخط منه فاستحيا أن يسأل فى مظنة الرد ، ولهذا جاء فى بعض الطرق أن النبي ﷺ لما امتنع من المراجعة فى المرة العاشرة نادى مناد : أمضيت فريضتى وخففت عن عبادى .

(١) تقدم ص ١٨٣

ثم قال الحافظ الشامي : قال ابن دحية : دلت مراجعته ﷺ في طلب التخفيف تلك المرات كلها ، أنه علم أن الأمر في كل مرة لم يكن على سبيل الإلزام بخلاف المرة الأخيرة ففيها ما يشعر بذلك ، لقوله تعالى ﴿ ما يبذل القول لدي ﴾ (١) .

قال ابن أبي جمرة : في امتناع النبي ﷺ في المرة العاشرة من طلب التخفيف دليل على أن الله سبحانه وتعالى إذا أراد إسعاد عبد حصر اختياره في مرضاة ربه ، لأن النبي ﷺ جعل الله تعالى اختياره وإيثاره لما أراد الحق تبارك وتعالى إنفاذه وإمضائه وهو فرض الصلوات الخمس ، وذلك تكريم له ﷺ وترفيع ، لأنه لو رجع ﷺ فطلب التخفيف فلم يخفف كما خفف أولاً لكان اختياره مخالفاً للمقدور .

فلما أن اختار وأسعف في اختياره كان دليلاً على ما استدللنا عليه وعلى منزلته ﷺ ، وأنه مادام يطلب التخفيف أسعف في رضاه ، ففي كل حال من طلب ومن عدم طلب ، كان اختياره هو انقياداً للمقدور .

تخفيف الصلاة وآية [ما يبذل القول لدي] :

قال ابن دحية : فإن قلت : ما معنى قوله تعالى : ﴿ ما يبذل القول لدي ﴾ فإن كان المراد لا يبذل الخبر فكيف يطلق الحديث ، لأن السياق في الأحكام ، فلهذا نسخ الخمسين إلى خمس ، وتبديل النسخ لا يبقى ، فإن كان المراد لا يبذل الحكم فقد تقرر أن النسخ في الأحكام جائز وقد وقع في

هذا الحديث إلى خمس ، فالجواب أنه تعالى إذا أخبر عن الحكم أنه مؤبد استحال التبديل ، والنسخ حينئذ لأجل العلم ، وقد أخبر الله تعالى أنه الفريضة أي أبدها فلا يبدل هذا الخبر ولا يتوقع النسخ بعد ذلك ، والله تعالى أعلم .

ويكون المراد أنه تعالى وعده هذه الأمة على السنة الملائكة أو في صحفها أن لهم أجر خمسين صلاة في كل يوم وليلة ، فلما نسخها إلى خمس حصل للعدد نقص ، وإن الأجر المراد لم ينقص لأن الحسنة بعشر أمثالها ، ولهذا قال تعالى : (هَنَ خمس وهَنَ خمسون) ، أي هُنَّ خمس عدداً وخمسون اعتداداً ، ذلك الفضل من الله ، ويكون ذلك كقوله في الصيام : (من صام رمضان ثم أتبعه ستاً من شوال فكأنما صام الدهر) بتأويل أن الحسنة بعشر أمثالها ، فستة وثلاثون في عشرة بثلاثمائة وستين ، عدد أيام السنة .

واعتبرت الصلاة بما تحتاج إليه كل صلاة من وضوء ونحوه ، فوجد لها ما يأتي على ساعتين وبعض الساعة غالباً ، فعلم بذلك أن الخمسين لو استقرت على أمة لاستوعبت اليوم والليلة لما تحتاج إليه كل صلاة من طهارة وغيرها ، وكانت الطهارة واجبة التجديد في أول الأمر ثم نسخ الوجوب إلى الندب ، فكان المصلي من هذه الأمة لهذه الخمس استوعب الدهر صلاةً ، وكأنه أيضاً استوعب الدهر صياماً .

والظاهر أن نقص الخمسين إلى خمس ليس من تبديل القول لأنه تبديل

تكليف ، وأما بعد الإخبار بالخمس والخمسين فتبديل أخبار .
تخفيف الصلاة ومسألة النسخ قبل التمكن :

قال أبو الخطاب وتبعه ابن المنير : جواز النسخ قبل التمكن من الفعل
قبل دخول الوقت مذهب أهل السنة خلافاً للمعتزلة ، وجرى كل فريق على
قاعدته وعقيدته ، فعند أهل السنة التكليف على خلاف الاستطاعة جائز بل
واقع ، إذ الأفعال كلها مخلوقة لله تعالى ، والعبد مطالب بما لا يقدر على
إيجاده ، ولا يتمكن من التأثير في إحرازه عملاً بقوله تعالى : ﴿ والله
خلقكم وما تعملون ﴾ ^(١) واستدل أهل السنة على جواز النسخ قبل التمكن
بأنه وقع ، وأي دليل على الجواز أتم من الوقوع ؟ ومثلوا ذلك بقصة
الذبيح ، فإن الله تعالى أمر إبراهيم بذبح ولده ثم خفف ذلك ونسخه إلى
الفداء قبل أن يمضي زمن يسع الذبح ولا يمكن فيه الفعل .

(١) الصّافات : ٩٦

صَلَاةُ جَبْرِيلَ بِالنَّبِيِّ ﷺ

روى الإمامان الشافعي وأحمد ، وأبو داود والترمذي وحسنه ، والطحاوي والبيهقي عن ابن عباس ، والإمام أحمد والنسائي والدارقطني والحاكم وصححه وأقره الذهبي عن جابر بن عبد الله ، والدارقطني والحاكم والإسماعيلي وابن السكن «في صحيحه» عن أنس ، والدارقطني بإسناد جيد عن ابن عمر ، والنسائي والحاكم وصححه وأقره الذهبي عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال : (أَمَّنِي جَبْرِيلُ عِنْدَ الْبَيْتِ) ولفظ الشافعي والطحاوي والبيهقي : (عِنْدَ بَابِ الْبَيْتِ مَرَّتَيْنِ) ، فصلى بي الظهر حين زالت الشمس وكانت قدر الشراك ، وصلى بي العصر حين صار ظل كل شيء مثله ، وصلى بي المغرب حين أفطر الصائم ، وصلى بي العشاء حين غاب الشفق ، وصلى بي الفجر حين حرم الطعام والشراب على الصائم ، فلما كان الغد صلى بي الظهر حين كان ظله مثله ، وفي لفظ : (كَوَقْتُ الْعَصْرِ بِالْأَمْسِ) وصلى بي العصر حين كان ظله مثليه ، وصلى بي المغرب حين أفطر الصائم ، وصلى بي العشاء إلى ثلث الليل الأول ، وصلى بي الفجر فأَسْفَرَ ، ثم التفت ، فقال : يَا مُحَمَّدُ : هَذَا وَقْتُ الْأَنْبِيَاءِ مِنْ قَبْلِكَ ، وَالْوَقْتُ مَا بَيْنَ هَذَيْنِ) .

قال الحافظ الشامي : هَذَا مَا وَقَفْتُ عَلَيْهِ فِي صَلَاةِ جَبْرِيلَ بِالنَّبِيِّ ﷺ بِالْضَلَوَاتِ الْخَمْسِ ، وَأَمَّا عِدَدُ رُكْعَاتِهَا حِينَ فُرِضَتْ ، فَمِنْ النَّاسِ مَنْ ذَهَبَ إِلَى أَنَّهَا فُرِضَتْ أَوَّلَ مَا فُرِضَتْ رُكْعَتَيْنِ رُكْعَتَيْنِ ، ثُمَّ زِيدَ فِي صَلَاةِ الْخَضِرِ

فأكملت أربعاً إلا المغرب ، وأقرت صلاة السفر ركعتين ، وروى ذلك عن عائشة رضي الله عنها الشعبي وميمون بن مهران ومحمد بن إسحاق .

ومنهم من ذهب إلى أنها فرضت أول ما فرضت أربعاً ، إلا المغرب ففرضت ثلاثاً ، والصبح ركعتين ، وبه قال الحسن ونافع وجبير بن مطعم وابن جرير .

ومنهم من ذهب إلى أنها فرضت في الحضر أربعاً ، وفي السفر ركعتين يروى ذلك عن ابن عباس رضي الله عنهما . وذكر أدلة هذه الأقوال والكلام عليها مذكور في المطولات ، وروى الشيخان وابن إسحاق عن عائشة رضي الله عنها ، قالت : افترضت الصلاة على رسول الله ﷺ أول ما افترضت ركعتين ركعتين كل صلاة ، ثم إن الله أتمها في الحضر أربعاً ، وأقرها في السفر على فرضها الأول ركعتين .

معنى قوله « وقت الأنبياء قبلك » :

قال أبو عمر : لم أجد قوله : (هذا وقتك ووقت الأنبياء قبلك) إلا في هذا الحديث - يعنى رواية ابن عباس - قلت : قال القاضي أبو بكر بن العربي رحمه الله : ظاهره يوهم أن هذه الصلوات في هذه الأوقات مشروعة لمن قبله من الأنبياء وليس كذلك ، إنما معناه : هذا وقتك المشروع لك - يعنى الوقت الموسع المحدود بطرفين : الأول والآخر - ووقت الأنبياء قبلك - يعنى مثله وقت الأنبياء قبلك - أي صلاتهم كانت واسعة الوقت وذات طرفين مثل هذا ، وإلا فلم تكن هذه الصلوات على هذا الميقات إلا

لهذه الأمة خاصة وإن كان غيرهم قد يشاركهم في بعضها .

وقد روى أبو داود في حديث العشاء : (أَعْتَمُوا بهذه الصلاة فإنكم قد فَضَّلْتُمْ بها على سائر الأمم ولم تصلُّوها أمة قبلكم) وكذا قال أبو الفتح : يريد بها التوسعة عليهم في أن الوقت أولاً وآخرأ ، إلا أن الأوقات هي أوقاتهم بعينها .

قال ابن المنير : لما أمر الله سبحانه وتعالى جبريل أن يعلم النبي ﷺ الصلاة كانت هذه فرضاً عليه ، لأنه أمر بذلك فكانت صلاة النبي ﷺ صلاة مفترض خلف مفترض .

كيفية فرض الصلاة :

قال الحافظ : الذي يظهر - وبه تجمع الأدلة - أن الصلاة فرضت ليلة الإسراء ركعتين ركعتين إلا المغرب ، ثم زيدت عقب الهجرة إلا الصبح ، كما روى ابن خزيمة وابن حبان والبيهقي من طريق الشعبي عن مسروق عن عائشة رضي الله عنها قالت : فرضت صلاة السفر والحضر ركعتين ركعتين فلما قدم رسول الله ﷺ المدينة واطمأن ، زيد في صلاة الحضر ركعتان ، وتركت صلاة الفجر لطول القراءة ، وصلاة المغرب لأنها وتر أهـ .

ثم بعد أن استقر فرض الرباعية خُفِّفَ منها في السفر عند نزول الآية وهي قوله تعالى : ﴿ وَإِذَا ضَرَبْتُمْ فِي الْأَرْضِ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَقْصُرُوا مِنَ الصَّلَاةِ إِنْ خِفْتُمْ أَنْ يَفْتِنَكُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ الْكَافِرِينَ كَاثَرُوا لَكُمْ عَدُوًّا

مبيناً^(١) قال : ويؤيد ذلك ما ذكره ابن كثير فى شرح مسند الشافعى : إن قصر الصلاة كان فى ربيع الأول من السنة الثانية ، وهو مأخوذ مما ذكره غيره أن نزول آية الخوف كان فيها ، وقيل قصر الصلاة كان فى ربيع الأول من السنة الأولى ، ذكره الدولابى ، وأورده السهلى بلفظ : بعد الهجرة بعام أو بنحوه ، وقيل بعد الهجرة بأربعين يوماً ، فعلى هذا المراد بقول عائشة : فأقرت صلاة السفر ، باعتبار ما آل إليه الأمر من التخفيف ، لأنها استمرت منذ فرضت فلا يلزم من ذلك أن القصر عزيمة .

التحيات لله :

قال أبو طالب الجمحي فى كتاب «التحيات» : لكل قوم تحية ، فتحية العرب السلام ، وتحية الأكاسرة السجود قدام الملك وتقبيل الأرض ، وتحية الفرس طرح اليد على الأرض قدام الملك ، وتحية الحبشة عقد اليدين على الصدر بين يدي الملك بسكون ، وتحية الروم كشف غطاء الرأس من بعد تنكيس رأسه ، وتحية النوبة إيماء الرجل بالدعاء بالأصابع . وهذه التحيات غالبها مجموعة فى الصلاة التى هى خدمة ملك الملوك سبحانه وتعالى ، ولهذا ناسب أن يقال فى آخرها «التحيات لله» إشارة إلى أنه تعالى يستحق جميع التحيات .

وصف النبى ﷺ للمسجد الأقصى :

قوله ﷺ : (فجئ بالمشجد وأنا أنظر إليه . . الخ) كذا فى رواية ابن عباس عند الإمام أحمد والنسائى بسند صحيح ، وفى رواية عبد الله بن

(١) النساء : ١٠١

الفضل بن أبي سلمة عند مسلم ، قال : (فسألوني عن أشياء لم أثبتها فكربت كرباً لم أكره مثله قط ، فرفعه الله لي أنظر إليه ، ما سألوني عن شيء إلا أنبأتهم به) ، وفي رواية جابر بن عبد الله رضي الله عنهما : (فجلى الله لي بيت المقدس فطفقت أخبرهم عن آياته وأنا أنظر إليه) .

ومعنى (جلى الله لي بيت المقدس) كشف الحجب بيني وبينه حتى رأيته ، ويحتمل أنه يريد أنه وضع بحيث يراه ثم أعيد ، ويؤيده رواية ابن عباس السابقة ، وهذا أبلغ في المعجزة ، ولا استحالة في ذلك ، فقد أحضر عرش بلقيس في أقل من طرفة عين ، ووقع في حديث أم هانئ عند ابن مسعود : (فخیل إلي بيت المقدس فطفقت أخبرهم عن آياته) فإن ثبت احتمال أن يكون المراد أنه مثل قريباً منه ، كما قيل في حديث (أريت الجنة والنار) .

ويؤول قوله (حتى جيء بالمسجد) أى جيء مثاله .

حبس الشمس لنبينا ﷺ

أخرج الطبراني عن جابر بسند حسن ، كما قال الحافظ أبو الحسن الهيثمي في «مجمع الزوائد» والحافظ ابن حجر في باب قوله ﷺ : «أحلت لي الغنائم» من «فتح الباري» والحافظ أبو زرعة ابن العراقي في «تكملة» لشرح تقريب والده : أن النبي ﷺ أمر الشمس أن تتأخر ساعة من النهار فتأخرت ساعة من النهار .

وأخرجه باللفظ المذكور في قصة البيهقي عن يونس بن بكير وأخرجه أيضاً عن إسماعيل بن عبد الرحمن السدي .

قال الحافظ ابن حجر في الباب المذكور : ولا يعارضه ما رواه أحمد بسند صحيح عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : (إن الشمس لم تحبس على بشر إلا ليوشع بن نون ليألي سار إلى بيت المقدس) ، ووجه الجمع : أن الحصر محمول على ما مضى للأنبياء قبل نبينا ﷺ فلم تحبس الشمس إلا ليوشع ، وليس فيه نفي أنها قد تحبس بعد ذلك لنبينا ﷺ ، وقد ورد أيضاً أن الشمس ردت عليه ﷺ بعد ما غابت . روى الطبراني بأسانيد رجال بعضها ثقات كما قال الشيخ - يعني الحافظ السيوطي - في تخريج أحاديث الشفا والقطب الخيزرى عن أسماء بنت عميس قالت : إن رسول الله ﷺ صلى الظهر بالصهباء ، ثم أرسل علياً في حاجة فرجع وقد صلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم العصر ، فوضع رسول الله صلى

الله عليه وآله وسلم رأسه في حجر علي ، فنام فلم يحركه حتى غابت
 الشمس فقال صلى الله عليه وآله وسلم : « اللهم إن عبدك علياً احتبس
 بنفسه على نبيه فردّ عليه الشمس » قالت أسماء : فطلعت الشمس حتى
 وقعت على الجبال وعلى الأرض وقام علي فتوضأ وصلى العصر ثم غابت ،
 وذلك بالصهباء بخيبر . وفي لفظ آخر : كان عليه السلام إذا نزل عليه
 الوحي يغشى عليه فأنزل الوحي يوماً وهو في حجر علي فقال له النبي صلى
 الله عليه وآله وسلم : صليت العصر؟ فقال : لا يا رسول الله ، فدعا الله
 فرد عليه الشمس حتى صلى العصر ، قالت : فرأيت الشمس طلعت بعد
 ما غربت . قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» : رجاله رجال الصحيح ، غير
 إبراهيم بن حسن وهو ثقة وثقه ابن حبان ، وفاطمة بنت علي لا أعرفها .
 انتهى . وفاطمة هذه وثقها الحافظ ابن حجر في «تقريبه» ، والحديث حسنه
 أبوزرعة ابن العراقي في «تكملة» لشرح التقريب ، والشيخ - أي شيخه
 الحافظ السيوطي - في «الدرر» . ورواه الطحاوي من طريقين عن أسماء ،
 وقال : هذان الحديثان ثابتان ، ورواهما ثقات ، ونقله القاضى في
 "الشفاء" ، والحافظ ابن سيد الناس في «بشرى اللبيب» والنووى في «شرح
 مسلم» في حل الغنائم لهذه الأمة ، ونقله عنه الحافظ ابن حجر في «تخريج
 أحاديث الرافعى» في باب الأذان في النسخ المعتمدة وأقرّوه . ثم نقل
 الطحاوي عن أحمد بن صالح - وناهيك به - أنه قال : لا ينبغي لمن سبيله
 العلم التخلف عن حديث أسماء لأنه من علامات النبوة . وروى عنه
 الطبراني أنه قال : هذه دعوة النبي صلى الله عليه وآله وسلم فلا تستكثر .

وذكر الشيخ - يعنى شيخه الحافظ السيوطى - فى « الدرر » : أن ابن مردويه رواه من حديث أبى هريرة أيضاً بسند حسن . . اهـ . وقد أشار إلى الحديثين الحافظ أبو الفتح ابن سيد الناس فى قصيدة من كتابه « بشرى اللبيب » ، فقال :

وقد وقت شمس النهار كرامةً كما وقت شمس النهار ليوشعا
وردت عليه الشمس بعد غروبها وهذا من الإيقان أعظم موقعا
والعلامة بهاء الدين السبكي رحمه الله تعالى فى قصيدته المسماة
« بهدية المسافر إلى النور السافر » فقال :

وشمس الضحى طاعتك وقت مغيبها فما غربت بل وافقتك بوقفة
وردت عليك الشمس بعد مغيبها كما أنها قدماً ليوشع ردت

ثم قال - يعنى السيوطى - بعد الأبيات : وهذا من هذين الإمامين الجليلين مما يقوى صحة الحديث ولا يلتفت لإيراد ابن الجوزى الحديث فى الموضوعات ، فقد خطأه الحافظ فى ذلك . قال الحافظ مغلطاي فى « الزهر الباسم » بعد أن أورد الحديث من عند الطحاوى والطبرانى وغيرهما : ولا يلتفت إلى ما علله ابن الجوزى من حيث إنه لم يقع له الإسناد الذى وقع لهؤلاء . قال الحافظ ابن حجر : ومن خطه نقلت بعد أن أورد الحديث من عند البيهقى وغيره ، ثم قال : وهذا أبلغ فى المعجزة ، وقد أخطأ ابن الجوزى بإيراده فى الموضوعات . انتهى .

وتعقب الشيخ - يعنى السيوطى - كلام ابن الجوزى فى « مختصر كتاب

شبه مردودة

اعلم أن الإسرائاء برسول الله ﷺ لم يخالف في وقوعه أحد من المسلمين ، وإنما طعن فيه أهل الزيغ لشبه باطلة ، وقد تصدى الإمام الرازى وغيره للرد عليهم ، وأنا مورد تلك الشبه ثم أتبعها بالرد .

فمن تلك الشبه قول أهل الزيغ والضلال : الحركة البالغة في السرعة إلى هذا الحد غير معقولة ، ولو أصدع إلى السموات لوجب خرق الأفلاك وذلك محال ، وصعود الجرم الثقيل إلى السموات غير مقبول ، ولأن هذا المعنى لو صح لكان أعظم من سائر معجزاته ، وكان يجب أن يظهر ذلك عند اجتماع الناس حتى يستدلوا به على صدقه من ادعاء النبوة ، وأما أن يحصل ذلك في وقت لا يراه أحد ولا يشاهده فإن ذلك يكون عبثاً لا يليق بالحكيم .

والجواب عن الأول : أن الحركة البالغة في السرعة إلى هذا الحد ممكنة في نفسها ، والله قادر على ذلك ، ويدل على صحته أن الفلك الأعظم يتحرك من أول الليل إلى آخره ما يقرب من نصف الدور ، وثبت في الهندسة أن نسبة القطر إلى نصف الدور نسبة الواحد إلى ثلاثة وسبع ، فبتقدير أن رسول الله ﷺ ارتفع من مكة إلى ما فوق الفلك الأعظم فهو لم يتحرك إلا مقدار نصف القطر ، فلما حصل في ذلك القطر من الزمان نصف الدور ، كان حصول الحركة بمقدار نصف القطر أولى بالإمكان ، فهذا برهان قاطع على أن الارتفاع من مكة إلى الأفق الأعلى في مقدار ثلث الليل

أمرٌ ممكن في نفسه ، وإذا كان كذلك كان حصوله في كل الليل أولى بالإمكان .

وأيضاً ثبت في الهندسة أن قرص الشمس يساوي كرة الأرض بمائة وستين مرة وكذا كذا مرة ، ثم إنا نشاهد طلوع القرص يحصل في زمان لطيف سريع ، فدل على أن بلوغ الحركة في السرعة إلى هذا الحد أمر ممكن في نفسه ، فإن كان الكلام مع من لا يعرف الهندسة فنقول له : أنت تشاهد الشمس والقمر والنجوم تقطع من الشروق إلى الغروب مسافة لا يقدر على قطعها في أعوام كثيرة ، وأيضاً فقد كانت الرياح تسير لسليمان بن داود عليهما الصلاة والسلام إلى المواضع البعيدة في الأوقات اليسيرة ، قال تعالى : ﴿ غَدَوْهَا شَهْرٌ وَرَوَّاحَهَا شَهْرٌ ﴾^(١) . والحس يدل على ذلك ، وهو أن الرياح تنفذ عند شدة هبوبها من مكان إلى مكان في غاية البعد في اللحظة الواحدة ، وقد أحضر الذي عنده علم من الكتاب كرسى بلقيس من أقصى اليمن إلى أرض الشام في مقدار لمح البصر ، والأجسام متماثلة في تمام ماهياتها ، فلما حصل مثل هذه الحركة في حق بعض الأجسام ، وجب إمكان حصولها في سائر الأجسام ، فهي ممكنة ، ويدخل ذلك بالأولية جسد النبي ﷺ .

والجواب عن الثاني : وهو خرق الأفلاك فليس بمحال وقد منعه النفاء للجنة والنار . قال الشيخ سعد الدين : ادعاء استحالة المعراج باطل ، لأنه إنما يبنى على أصول الفلاسفة عن امتناع الخرق والالتزام على السموات ،

(١) سبأ : ١٢

والأجسام والالتهام على السموات واقع عند أهل الحق ، والأجسام العلوية والسفلية متماثلة مركبة من الجواهر الفردة المتماثلة ، يصح على كل من الأجسام ما يصح على الآخر لضرورة التماثل المذكور ، فإذا أمكن خرق الأجسام السفلية - والله تعالى قادر على الممكنات كلها - فهو قادر على خرق السموات ، وقد ورد به السمع فيجب تصديقه .

والجواب عن الثالث : أنه كما يستبعد صعود الجسم الكثيف يستبعد نزول الجسم اللطيف الروحاني من المستوى الأعلى إلى مركز العالم ، فإن كان القول بمعراج النبي ﷺ في الليلة الواحدة ممتنعاً في القبول ، كان القول بنزول جبريل عليه السلام من مقامه إلى مكة في اللحظة الواحدة ممتنعاً ، ولو حكمنا بهذا الامتناع كان ذلك طعناً في نبوة جميع الأنبياء عليهم الصلاة والسلام ، والقول بثبوت المعراج فرع عن تسليم جواز أصل النبوة ، فيلزم القائل بامتناع حصول هذه الحركة ، امتناع نزول جبريل عليه السلام ، ولما كان ذلك باطلاً كان مذكروه باطلاً .

والجواب عن الرابع : أن في كونه ليلاً فوائد : منها ليزداد الذين آمنوا إيماناً بالغيب ، وليفتتن الذين كفروا زيادةً على فتنهم ، وقد قال تعالى : ﴿ وما جعلنا الرؤيا التي أريناك إلا فتنة للناس ﴾ (١) .

ومنها أنه وقت الخلوة والاختصاص عرفاً ، فإن بين جليس الملك نهاراً وجليسه ليلاً فرقاً واضحاً .

(١) الإسراء : ٦٠

الليل لى ولأحبابى أنادمهم قد اصطفتيهم كى يسمعوا ويعوا

وقد أخبر النبى ﷺ بالعلامات التى تفيد اليقين من وصف بيت المقدس ووصف العير التى مر بها فى طريقه ، وأنها تصل إليهم فى وقت كذا ، فكان كما قال ، ومع ذلك قالوا : هذا سحر ميين ، فلا فرق بين أن يريهم ذلك نهاراً أو بين أن يخبرهم بخبر يفيد اليقين . وقد أراهم النبى ﷺ انشقاق القمر فقالوا : هذا سحر ميين .

شبهة إنكار طبقات السماء

ينكر بعض علماء الفلك والجغرافيا أمثال (كوبرنكس) و (جاليلو) و (كبلر) أن تكون السماء طبقات متفاوتة بعضها فوق بعض ، أو أن لها أبواباً تفتح وتغلق ، أو أنها جرم يمكن السير عليه أو الحياة فيه ، وليس هذا القول بجديد بل سبق به (فيثاغورث) الفيلسوف اليوناني الذي عاش قبل ميلاد المسيح بآلاف السنين ، وقد استدل هؤلاء مع من يلحدون في آيات الله من أبناء الإسلام ، فأنكروا المعراج بأن الرصد قد أثبت بأن الكواكب تدور في فضاء لا مادة به إلا هذه الأجرام السيّارة أو الثابتة ، وأن أكبر العدسات وأقواها لم تسجل بؤرتها جسماً مادياً وراء هذه السيارات أو الثوابت ، فكيف يكون المعراج حقاً؟ .

وهكذا . . كذبوا الله الذي يقول : ﴿الذى خلق سبع سموات طباقاً ماترى فى خلق الرحمن من تفاوت فارجع البصر هل ترى من فطور﴾ ثم ارجع البصر كرتين ينقلب إليك البصر خاسئاً وهو حسير * ولقد زينّا السماء الدنيا بمصابيح ﴿(١) والذى يقول ﴿إن الذين كفروا بآياتنا واستكبروا عنها لا تفتح لهم أبواب السماء﴾ (٢) وصدقوا (غاليو) وأحجار العدسات ، وأبصارهم الكليّة الخاسئة الحسيرة ، ونظرياتهم الطبيعية القاصرة . صدق الله إذ يقول : ﴿وما أوتيتم من العلم إلا قليلاً﴾ (٣) .

وإن دعوى هؤلاء الطبيعيين الذين لا يؤمنون إلا بما يحسون ، لا تسلم

(٣) الإسراء : ٨٥

(٢) الأعراف : ٤٠

(١) الملك : ٣ - ٥

لهم إلا بينة من جنس علومهم المبنية على الحسّ والمشاهدة .
فهل طافوا ونفذوا من أقطار السموات والأرض . وانتهوا إلى نهاية
الكون ولم يجدوا الطباق السبع فأنكروا؟ أم هي دعوى بدون بينة ولا دليل
إلا بينة العجز ودليل القصور ، وكلاهما لا يؤدي إلى جزم ويقين ، فليقولوا
- إن كانوا منصفين - ﴿ إن نظن إلا ظناً وما نحن بمستيقنين ﴾ ^(١) وليقبلوا كلام
رب العالمين وحديث الصادق الأمين .

ومن الناس من أنكر الإسراء والمعراج جملة وتفصيلاً لقصوره عن فهم
معنى الألوهية وقدرتها المطلقة ، فجمدت منه عقليته ، ووقفت عند حد
لاتتعداه ، وهو أيضاً علامة على قصر النظر والتمسك بالسنن المادية الطبيعية
فيقولون كما يقول علماء الطبيعة : إن امتداد المسافة من الأرض إلى نهاية
السموات مقدار عظيم يخرج عن العقل تصوره ، فمأهو مقدار السرعة التي
بها يتمكن الإنسان من قطع هذه المسافة في فترة وجيزة من الزمن ، والنور
الذي هو أسرع الأشياء يقطع هذه المسافة في أكثر من هذه المدة . ويقولون :
إن جسم الإنسان مملوء بالسوائل وهي مضغوطة ضغطاً جويّاً على نسب
مقدرة تبعاً للجو الطبيعي ، فإذا ما تجاوز الإنسان منطقة الهواء الأرضي
سالت هذه السوائل من الجسم وتركته وعاءاً فارغاً .

ويقولون : إن الإنسان لا بقاء له بدون الأكسجين ، وهو موجود حول
الأرض ، فإذا فارق الإنسان هذه المنطقة فإنه لابدّ هالك ويقولون : إن لكل
كائن حي بيئة طبيعية لا يستطيع الحياة سواها . فحيوانات البحر لا تعيش في

(١) الجاثية : ٣٢

البر ، ونبات الصيف لا ينمو فى الشتاء ، وأهل الأرض لا يستطيعون الحياة فوق السماء ، إلى غير ذلك من الأقوال المؤدية إلى نتيجة واحدة لانقرهم عليها ، فهى اتباع للمنطق الطبيعى الذى لا يستعان به إلا فى الماديات البحتة . والاقتصار على هذا المنطق أو تحكيمه فى كل الأمور مدعاة إلى الخطأ ، فالكون مؤلف من مادة وغير مادة ، والإنسان مركب من هذين العنصرين ، وآثار روحه وظواهر نفسه معروفة معلومة ، أصبح لها علم خاص هو «علم النفس» يدرس فى جامعات أوروبا وفى المعاهد العلمية ، وتاريخ البشر مليء بالأمور العجيبة التى لا تستند إلى هذا القانون المادى ، ومن ذلك المعجزات وخوارق العادات التى منها الإسراء والمعراج ، وذلك تقدير العزيز الحكيم الذى لا يعجزه شئ فى الأرض ولا فى السماء ، وهو السميع العليم .

وإذا أنكر الإسراء والمعراج بعض المفتونين بالعلوم الطبيعية فى القرنين الماضيين ، فلا يصح أن ينكره العلماء المعاصرون وقد شاهدوا الذرة الصغيرة وشدتها ، والكهرباء وطاقتها ، والأثير وقوته ، والمغناطيس وسرعته ، فاخترعوا الراديو والتلفزيون والبرق والرادار وزورق الأحلام ، وهو قليل من كثير ، ستراه الأجيال المقبلة فى عصور السرعة والطفرة ، ﴿سنريهم آياتنا فى الآفاق وفى أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق أوكف بربك أنه على كل شئ شهيد﴾ (١) .

يا أيها المؤمنون : إن الذى أسرى بعبده محمد ﷺ من المسجد الحرام بالحجاز إلى بيت المقدس بالشام ، ثم عرج به إلى ما فوق الطباقي السبع ،

هو الذى سخر الريح لسليمان عليه السلام ﴿تجربى بأمره رخاء حيث
أصاب﴾^(١) وهو الذى أعطى مَنْ عِنْدَهُ عِلْمٌ مِنَ الْكِتَابِ الْقُدْرَةَ عَلَى نَقْلِ
عَرْشِ بَلْقَيْسٍ مِنَ الْيَمَنِ إِلَى الشَّامِ قَبْلَ إِرْتِدَادِ الطَّرْفِ ، وهو الذى أنزل
جبريل عليه السلام بالوحي من السماء إِلَى الْأَرْضِ فِي لَمَحِ الْبَصَرِ ، وهو
الذى أمره بَيْنَ الْكَافِ وَالنُّونِ ، فَإِذَا قَالَ لِلشَّيْءِ كُنْ فَيَكُونُ .

هو الذى سخر الريح لسليمان عليه السلام ﴿تجربى بأمره رخاء حيث
أصاب﴾^(١) وهو الذى أعطى مَنْ عِنْدَهُ عِلْمٌ مِنَ الْكِتَابِ الْقُدْرَةَ عَلَى نَقْلِ
عَرْشِ بَلْقَيْسٍ مِنَ الْيَمَنِ إِلَى الشَّامِ قَبْلَ إِرْتِدَادِ الطَّرْفِ ، وهو الذى أنزل
جبريل عليه السلام بالوحي من السماء إِلَى الْأَرْضِ فِي لَمَحِ الْبَصَرِ ، وهو
الذى أمره بَيْنَ الْكَافِ وَالنُّونِ ، فَإِذَا قَالَ لِلشَّيْءِ كُنْ فَيَكُونُ .

هو الذى سخر الريح لسليمان عليه السلام ﴿تجربى بأمره رخاء حيث
أصاب﴾^(١) وهو الذى أعطى مَنْ عِنْدَهُ عِلْمٌ مِنَ الْكِتَابِ الْقُدْرَةَ عَلَى نَقْلِ
عَرْشِ بَلْقَيْسٍ مِنَ الْيَمَنِ إِلَى الشَّامِ قَبْلَ إِرْتِدَادِ الطَّرْفِ ، وهو الذى أنزل
جبريل عليه السلام بالوحي من السماء إِلَى الْأَرْضِ فِي لَمَحِ الْبَصَرِ ، وهو
الذى أمره بَيْنَ الْكَافِ وَالنُّونِ ، فَإِذَا قَالَ لِلشَّيْءِ كُنْ فَيَكُونُ .

هو الذى سخر الريح لسليمان عليه السلام ﴿تجربى بأمره رخاء حيث
أصاب﴾^(١) وهو الذى أعطى مَنْ عِنْدَهُ عِلْمٌ مِنَ الْكِتَابِ الْقُدْرَةَ عَلَى نَقْلِ
عَرْشِ بَلْقَيْسٍ مِنَ الْيَمَنِ إِلَى الشَّامِ قَبْلَ إِرْتِدَادِ الطَّرْفِ ، وهو الذى أنزل
جبريل عليه السلام بالوحي من السماء إِلَى الْأَرْضِ فِي لَمَحِ الْبَصَرِ ، وهو
الذى أمره بَيْنَ الْكَافِ وَالنُّونِ ، فَإِذَا قَالَ لِلشَّيْءِ كُنْ فَيَكُونُ .

المعراج وشبهة المكان لله تعالى

ينبغي للمسلم أن لا يتوهم مما يسمعه في قصة المعراج من الصعود والهبوط أن بين العبد وربه مسافة محدودة محيطة ، فإن ذلك كفر نعوذ بالله من ذلك ، وإنما هذا الصعود والهبوط بالنسبة إلى العبد لا إلى الرب ، والنبي صلى الله عليه وآله وسلم مع انتهائه ليلة الإسراء إلى أن كان قاب قوسين أو أدنى لم يجاوز مقام العبودية .

وكان هو ونبي الله يونس بن متى عليه السلام إذ التقمه الحوت وذهب به إلى البحار يشقُّها حتى انتهى به إلى قرار البحر في مباينة الله تعالى خلقه وعدم الجهة والتحيز والحد والإحاطة سواء ، وقد قيل : ذهب به الحوت مسيرة ستة آلاف سنة ، ذكره البغوي وغيره .

إذا علمت ذلك ، فالمراد بترقيه صلى الله عليه وآله وسلم وقطع هذه المسافات إظهار مكانته عند أهل السموات وأنه أفضل المخلوقات ، ويُقوَّى هذا المراد كونه تعالى أركبه البراق ونصب له المعراج وجعله إماما للنبيين والملائكة مع أنه تعالى قادرٌ على أن يرفعه بدون البراق والمعراج .

المعراج والجهة

اعلم أن تردد نبينا ﷺ بين موسى وبين الحق سبحانه وتعالى في تلك الليلة المباركة لا يلزم منه ثبوت الجهة لله جل جلاله ، تعالى عن ذلك علواً كبيراً .

فقول موسى له : ارجع إلى ربك أى إلى موضع مناجاة ربك ، فكان رجوعه من المكان الذى لقي فيه موسى إلى الموضع الذى وقعت فيه المناجاة والسؤال لربه ، ولا يلزم من موضع السؤال أن يكون المسئول فيه ، أو يكون حائزاً له ، لتعالى الله جل وعلا وتنزيهه عن الجهة والمكان ، فرجوع النبى ﷺ إليه رجوع إلى السؤال فيه لشرف ذلك الموضع على غيره ، كما كان الطور موضع سؤال موسى فى الأرض ، ومع انتهائه ﷺ تلك الليلة التى عرج به فيها إلى أن ظهر لمستوى سمع فيه صريف الأقلام ، كان هو ونبى الله يونس إذ التقمه الحوت وذهب به فى البحار يشقها حتى انتهى به إلى قرار البحر سواء فى القرب من الله تعالى ، لتعالى وتنزيهه عن الجهة والمكان والتحيز والإحاطة ، وقد نقل القرطبى فى «التذكرة» : أن القاضى أبابكر بن العربى المالكى قال : أخبرنى غير واحد من أصحابنا عن إمام الحرمين أبى المعالى عبد الملك بن عبد الله بن يوسف الجوينى أنه سئل : هل البارى فى جهة؟ فقال : لا ، هو متعال عن ذلك ، قيل له : ما الدليل عليه؟ قال : الدليل عليه قول النبى ﷺ لا تُفَضِّلُونى على يونس بن متى ، فقيل له : ما وجه الدليل من هذا الخبر؟ قال : إن يونس بن متى رمى نفسه فى البحر

فالتقمه الحوت وصار في قعر البحر في ظلمات ثلاث ، ونادى « لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين » كما أخبر الله تعالى عنه ، ولم يكن محمد حين جلس على الرقرف الأخضر وارتقى به صعدا حتى انتهى به إلى موضع يسمع فيه صريف الأقلام ، ونجاه ربه بما نجاه فأوحى إليه ما أوحى ، بأقرب إلى الله من يونس في ظلمة البحر ، فالله سبحانه قريب من عباده ، يسمع دعاءهم ، ولا يخفى عليه حالهم ، كيفما تصرفوا من غير مسافة بينه وبينهم ، فيسمع ويرى ديبب النملة السوداء ، على الصخرة الصماء ، في الليلة الظلماء ، تحت الأرض السفلى ، كما يسمع ويرى تسبيح حملة العرش من فوق السموات السبع العلى ، لا إله الا هو عالم الغيب والشهادة ، أحاط بكل شيء علما ، وأحصى كل شيء عددا .

الدنو والتدلى :

جاء في حديث الإسراء والمعراج من رواية شريك ذكر الدنو والتدلى ونسبته إلى الله سبحانه وتعالى .

والذى يجب على المسلم اعتقاده فى هذا هو ما أوجب عليه أهل السنة والجماعة اعتقاده فى مثله من آيات وأحاديث الصفات ، كقوله تعالى : ﴿ هل ينظرون إلا أن يأتيهم الله فى ظلل من الغمام ﴾ (١) . وكقوله تعالى : ﴿ وجاء ربك والملك صفاً صفاً ﴾ (٢) . وكقوله ﷺ فى الحديث القدسى : « ومن تقرب منى شبراً تقربت منه ذراعاً » ، وهو أن يؤمن بها

ويسلم ، ويُمَرِّها كما أُمَرَّها السلف ، ويترك السؤال عنها وفيها ، كما يجب عليه ترك الخوض فيها ، ولا يتعرض لتأويلها ولا يطلب تفسيرها ، فيقف حيث وقفوا ، لا يقول كيف ولم ؟ . .

وليعلم أن كل ما يخطر بباله فهو هالك ، والله على خلاف ذلك ، على أن بعض العلماء قد أوّل ذلك القرب والتدلى بحصول جزيل الفوائد وجميل العوائد ، والتأنيس والإكرام والاصطفاء والاختصاص لدفع الاستيحاش الحاصل بانقطاع الأصوات ، والإكرام ببسط المكالمة وشريف المنة .

أقول : وهذه المعاني الجليلة السامية مستفادة من قول سيدنا رسول الله ﷺ في الحديث القدسي الذي رواه أبو هريرة عن النبي ﷺ ، يقول الله تعالى : (أَنَا عِنْدَ ظَنِّ عَبْدِي بِي ، وَأَنَا مَعَهُ إِذَا ذَكَرَنِي ، فَإِنْ ذَكَرَنِي فِي نَفْسِهِ ذَكَرْتُهُ فِي نَفْسِي ، وَإِنْ ذَكَرَنِي فِي مَلَأْ ذَكَرْتُهُ فِي مَلَأْ خَيْرَ مِنْهُمْ ، وَإِنْ تَقَرَّبَ إِلَيَّ شِبْرًا تَقَرَّبْتُ إِلَيْهِ ذِرَاعًا ، وَإِنْ تَقَرَّبَ إِلَيَّ ذِرَاعًا تَقَرَّبْتُ إِلَيْهِ بَاعًا ، وَإِنْ أَتَانِي يَمْشِي أَتَيْتُهُ هَرْوَلَةً) . رواه البخاري في كتاب التوحيد ، باب « ويحدّركم الله نفسه » ورواه مسلم أول كتاب الذكر والدعاء .

فقوله (وَمَنْ تَقَرَّبَ مِنِّي شِبْرًا تَقَرَّبْتُ مِنْهُ ذِرَاعًا ، وَمَنْ أَتَانِي يَمْشِي أَتَيْتُهُ هَرْوَلَةً) ، أي من تقرب إليّ بطاعتي سبقته بجزائه ، فهو قرب بالإجابة والقبول ، وإتيان بالإحسان ، وتعجيل بالمأمول ، سلك به طريق المشاكلة فسمّاه تقرباً .

فمع جلالة هذه المعاني إلا أنه ينبغي أن يفهم أن العلماء متفقون على أنه ليس المراد منه النسبة أو تحديد المكان أو المسافة المتصورة في الأذهان البشرية القاصرة عن إدراك حقيقة هذه الألفاظ المتعلقة بالذات والصفات ، فإنه سبحانه كما قال ﴿ ليس كمثله شيء وهو السميع البصير ﴾ (١) .

وقد نقل الإمام الترمذى رحمه الله تعالى تفسير هذا الحديث عقب روايته له ، عن الأعمش أحد رواة هذا الحديث ، وهو إمام مشهور بالقراءات ورواية الحديث ، توفي سنة بضع وأربعين ومائة ، قال : ويروى عن الأعمش فى تفسير هذا الحديث (من تقرب منى شبرا تقربت منه ذراعا) يعنى بالمغفرة والرحمة ، وهكذا فسر بعض أهل العلم هذا الحديث ، قالوا : إنما معناه ، يقول : « إذا تقرب إليَّ العبد بطاعتي وبما أمرتُ ، تسارعُ إليه مغفرتى ورحمتى » . ونحو هذا التفسير قول قتادة عقب روايته للحديث : فالله تعالى أسرع بالمغفرة كما فى " المسند " (٢) ، وتوفى قتادة قبل الأعمش بنحو ثلاثين سنة .

قال الإمام النووى رحمه الله ، هذا الحديث من أحاديث الصفات ، ويستحيل إرادة ظاهره ، ومعناه : من تقرب إليَّ بطاعتي تقربتُ إليه برحمتى والتوفيق والإعانة ، وإن زاد زدتُ ، فإن أتانى يمشى وأسرع فى طاعتي أتيتُهُ هرولةً - أى : صيبت عليه الرحمة وسبقته بها - ولم أحوجه إلى المشى الكثير فى الوصول إلى المقصود ، والمراد : أن جزاءه يكون تضعيفه

(٢) مسند أحمد ٣/ ١٣٨

(١) الشورى : ١١ وانظر كتابنا « هو الله » .

على حسب تقربُه» (١) .

وقال ابن الأثير في تحديد معنى الهرولة ، والمعنى العام للجملة :
الهرولة : بين المشى والعدو- أى الركض- وهو كناية عن سرعة إجابة الله
تعالى ، وقوله توبة العبد ولطفه ورحمته (٢) .

والحاصل أنه إذا كان العلماء قد اختلفوا في تفسير هذه الصفات
أعنى : (الدنو- والتدلى- والقرب) بين التأويل المقبول وعدمه ، فإنهم
متفقون على أنه ليس المراد منه النسبة أو تحديد المكان أو المسافة المتصورة في
الأذهان البشرية ، وإنما المراد على كلا المعنيين- إثبات ما حصل لنبينا ﷺ في
تلك الليلة من لقاء ومكاملة ومناجاة كان فيها الدليل الأكبر على علو مقامه
وعظيم رتبته وشريف درجته عند ربّه ، وكان فيها أيضاً الدليل الأكبر على
عظيم فضل الله وسعة رحمته وعنايته بخاصته عباده المقربين إليه ، الخالصين
المخلصين الصادقين ، وعلى رأسهم سيد الأمة محمد بن عبد الله ﷺ (٣) .

(١) شرح صحيح مسلم للنووي ٣/١٧

(٢) صحاح الأحاديث القدسية مع شرح وتعليق للشيخ محمد عوامة : ٢٥٣ - ٢٥٧ . والنهاية لابن
الأثير ٥ / ٢٦١

(٣) مختصراً من كتاب التأويل بين القبول والرد للمؤلف السيد محمد بن علوي المالكي الحسني .

أحاديث المعراج فى الميزان

اعتنى العلماء عنايةً كبيرةً بتنقيح ماورد فى قصة الإسراء والمعراج من أخبار وآثار بالبحث عنها لمعرفة درجتها وإثبات الصحيح منها ، والتنبيه على الضعيف ورد الموضوع المكذوب ومالا أصل له ، وهذا كله حماية لمقام النبوة لئلا ينسب إليه ﷺ ما لم يقله ، وقد جاء عنه ﷺ التهديد بالوعيد الشديد لمن كذب عليه ولمن روى ذلك الكذب معتقداً أو مروّجاً له فقال كما جاء فى الصحيح : (من كذب عليّ متعمداً فليتبوأ مقعده من النار) وقال ﷺ : من حدث عني بحديث يرى أنه كذب فهو أحد الكذابين .

وقد وقع فى الكتب المؤلفة فى الإسراء والمعراج شيء كثير من ذلك ، ومنها حديث الحجب الذى ذكره القسطلانى فى « المواهب اللدنية » وهو قوله : وذكر أبو الحسن بن غالب فيما تكلم فيه على أحاديث الحجب السبعين والسبعمائة والسبعين ألف حجاب ، وعزاه لأبى الربيع ابن سبع فى «شفاء الصدور» من حديث ابن عباس أن رسول الله ﷺ قال بعد أن ذكر مبدأ حديث الإسراء : (أتانى جبريل وكان السفير بى إلى ربي إلى أن انتهى إلى مقام) ، ثم وقف عند ذلك ، ثم قال بعد نحو عشرين سطراً : وفى رواية : (فقدمت وجبريل على أثرى حتى انتهى بى إلى حجاب فراش الذهب) إلى أن قال فى آخره : (ورأيت من خلفي ومن بين كتفى كما رأيت أمامي) . . الحديث . قال القسطلانى بعده : رواه والذى قبله فى كتاب «شفاء الصدور» كما ذكره ابن غالب ، والعهدة فى ذلك عليه . قال

الزرقاني في «شرح المواهب» : قال الشامي بعد كلام المصنف هذا : وهو كذب بلاشك . . اهـ . قال بعده الزرقاني : والعجب من النعماني حيث أورد الروايتين بطولهما ساكتاً عليهما قائلاً : ولا يستبعد وقوع هذا كله في بعض ليلة . انتهى كلام الزرقاني .

وعبارة الحافظ الشامي بعد نقله الحديث المذكور في الموضوعات التي ذكرها في معراجيه هكذا ذكره شيخنا أبو الفضل أحمد بن الخطيب القسطلاني في المقصد الخامس من كتابه «المواهب اللدنية» وقال : رواه والذي قبله ابن سبيع في «شفاء الصدور» كما ذكره ابن غالب ، والعهد في ذلك عليه . قال الشامي بعده قلت : وهو كذب بلاشك . وفي تبري القسطلاني بقوله والعهد في ذلك عليه أي ابن غالب الذي نقله عنه ؛ دليل على أنه قد اطلع على ما قيل في هذا الحديث ، ومع ذلك ذكره لذكر هؤلاء العلماء له ، وقد قال أيضا بعده : وتكثير الحجب لم يرد في طريق صحيح ولم يصح في ذلك غير ما في مسلم «حجابه النور» .

ومنها وطء العرش ، وقد سئل القزويني عن وطئه ﷺ العرش بنعله وقول الرب تقدس : «لقد شرفت العرش بذلك يا محمد» . هل له أصل أم لا ؟ فأجاب بما نصه : أما حديث وطء النبي ﷺ العرش بنعله فليس بصحيح ولا ثابت ، بل وصول النبي ﷺ إلى العرش لم يثبت في خبر صحيح ولا حسن ولا ثابت أصلا . وإنما صح في الأخبار انتهاءؤه إلى سدره المنتهى فحسب ، وأما إلى ما وراءها فلم يصح ، وإنما ورد ذلك في أخبار ضعيفة أو

منكرة لا يعرج عليها . والله أعلم بالصواب . . اهـ . وكتب بعض المحدثين
بعد كلام القزويني المذكور : مذكره القزويني هو الصواب .

وقد وردت قصة الإسراء والمعراج عن نحو أربعين صحابياً ليس في
حديث أحد منهم أنه ﷺ كان في رجليه تلك الليلة نعل . ولم يرد في
حديث صحيح ولا حسن ولا ضعيف أنه ﷺ رقى العرش أو جلس عليه ،
يقول كاتبه محمد علوى : وهذا لا يقدح في علو رتبته وعظيم فضله .
وأنه أشرف وأفضل وأكمل وخير مخلوقات الله ، وإنما المسألة في ثبوت هذا
أو عدم ثبوته ، والخصوصية والمنقبة المعينة لا يصح نسبتها إلى أحد من
الأنبياء إلا بسند صحيح أو حسن أو مقبول ، ولو كانت درجته أعلى من
ذلك وأفضل .

قصص المعراج المتداولة

اعلم بأن كثيراً من الكتب التى ألفت وكتب فيها مؤلفوها عن الإسراء والمعراج ، قد اشتملت على أشياء لم تثبت عن النبى ﷺ ونخص بالذكر منها المعراج المتداول بين العامة والمسمى "بمعراج ابن عباس" ، وابن عباس منه براء ، لما حواه من الكذب الصُّرَّاح على ابن عباس وعلى سيدنا محمد ﷺ ، فمثل هذه الكتب غير الصحيحة السند وغير الثابتة نسبتها إلى من نسبت إليهم لا يجوز تعاطيها وقراءتها إلا للاعتبار بكذب الكاذبين ، وأنهم سيتبوؤن مقعدهم من النار ، لأنهم كذبوا متعمدين على رسول الله ﷺ ، وقد ظنوا بهذا التهويل أنهم يعظمون رسول الله ﷺ ، وهو أسمى وأشرف من أن يسعى الإنسان لتعظيمه بافتراء القصص وتلفيق الأقوال ، فهو ﷺ فى غنى عن هذا الإطراء المكذوب ، وفيما صح من سيرته ومن إسرائه ومعراجه غنى عما لم يصح . وهو بعد كل ذلك سيد ولد آدم ولا فخر ، آدم ومن دونه تحت لوائه يوم القيامة . . . فلنصفه بما صح نقله عنه وبما وصفه به ربه ، ولندع الخيالات والأوهام جانباً .

هذا وننبه هنا إلى أن قراءة قصة المعراج يجب ألا تكون موسمية تقرأ فى السنة مرة ، بل تجب قراءتها بين الحين والحين للتعاطى بها فيها من العبر والدروس ، حتى يكون المسلم على صلة متجددة بدواعى الإيمان والتقوى وكذلك تلاوة سيرة نبينا ﷺ دوماً ليأخذ منها شحنات قوية لإصلاح نفسه ومجتمعه .

جعلنا الله من الذين يسمعون القول فيتبعون أحسنه ، ونفعنا بسيرة
هذا النبي الكريم وحياته المباركة .

معراج ابن عباس :

وهذه القصة المنسوبة لابن عباس لا يشك مسلم عاقل فى بطلان أكثر
ما جاء فيها ، وأهم الأدلة على ذلك :

١ - من ناحية السند: ليس لهذه القصة أيّ سند صحيح أو غير صحيح ،
وأول ما ابتدئ القصة بعزو الكلام رأساً إلى ابن عباس ، فمن الذى نقل
القصة عنه ومن نقلها؟ ليس هنالك أيّ ذكر لشيء من ذلك .
وهذا من أوضح الأدلة على وضعها وأن مؤلفها أخفى اسمه ولعله فعل ذلك
لكونه معروفاً بالكذب ! .

٢ - من ناحية الأفكار والمعانى: إن أدنى اطلاع على معانى القصة وأفكارها
يوضح بطلانها ففيها أفكار تخالف نصوص الكتاب والسنة وتخالف
العقل والعلم ، فمن ذلك زعم مؤلفها أن السماء الأولى من دُخَان ،
والثانية من حديد ، والثالثة من نحاس ، والرابعة من فضة بيضاء ،
والخامسة من الذهب الأحمر ، والسادسة من ياقوتة خضراء ، والسابعة من
درة بيضاء ، مما سبب شك الكثيرين بالدين لظنهم أن هذه القصة منسوبة إلى
رسول الله ﷺ .

ومن ذلك قول المؤلف على لسان الله مخاطباً رسول الله ﷺ : وقد

كلمتك على بساط القرب بغير حجاب .

ومن ذلك قوله على لسان النبي ﷺ : « إذا تاب أى المذنب عند الغرغرة جُذنا عليه وقبلنا توبته » وهذا مخالف للقرآن والحديث الصحيح .

ومن ذلك قوله على لسان النبي صلى الله عليه وآله وسلم مجيباً الله سبحانه إذ سأله : « هل ترانى بعينك ؟ فقال : لكنى أراك بقلبي » .

ومن ذلك قوله أن النبي ﷺ رأى ملكاً عظيماً لو أمره الله أن يبيع السماوات السبع والأرضين السبع فى دفعة لهان عليه ! .

ومن ذلك قوله على لسان الله مخاطباً رسوله صلى الله عليه وآله وسلم : « قد خلقتك من نور وجهى » .

هذه طائفة قليلة مما فى القصة من الأخبار الكاذبة المناقضة للكتاب والسنة والعقل والعلم ، نكتفى بالإشارة إليها رغبة فى الإيجاز .

٣ - من ناحية الأسلوب : إن من البين الواضح اختلاف أسلوب القصة عن الأسلوب النبوى الكريم مما يفضح وضعها وكذب مؤلفها ، فمن ذلك وجود أخطاء لغوية ونحوية كثيرة يتنزه عنها أسلوبه ﷺ .

ومن ذلك وجود تكلف فى التعبير وتطويل وتكرار وألفاظ قبيحة .

ومن ذلك ابتعاد كثير من تشابه القصة وصورها عن تشابه العرب وصورهم المعروفة ، مما يدل على أن واضعها كان يعيش فى جو حضري مترف .

ومن ذلك ورود بعض الكلمات الغريبة والمعانى المجهولة وذكر أعداد مركبة واضحة الصنعة ، إلى آخر ما هنالك .

٤ - وهناك أخيراً عبارات تدل على واضع القصة: فهو مع محاولته التستر والتخفى ، إلا أنه تفلت منه كلمات تدل عليه ، فمن ذلك قوله فى معرض الحديث عن مزايا الأمة الإسلامية : قال المؤلف رحمه الله تعالى . فمن هو هذا المؤلف ؟ .

تخريج أحاديث الإسراء والمعراج

قال الحافظ الشامي : وسبب ذلك أن شخصاً أنكر على ورود لفظة «أهلاً» في قول أهل السموات للنبي ﷺ ليلتئذ «مرحبا وأهلاً» ، فقلت له : هذا اللفظ رواه البخارى من حديث شريك عن أنس رضى الله عنه . وأنكر شخص آخر عرض الآنية في السماء بعد ذكر سدرة المنتهى ، وقال : هذا ما كان إلا بيت المقدس ، فقلت له : هكذا رواه البخارى ومسلم من حديث مالك بن صعصعة رضى الله عنه ، فإذا كان مع وجوده فى الصحيحين أنكره هذان الرجلان ، فكيف إنكار غيره؟! فتعين بيان ذلك ورمزت لمن روى الحديث رموزاً ، فالإمام أحمد (أ) والبخارى (خ) ومسلم (م) وأبو داود (د) والترمذى (ت) والنسائى (س) وابن ماجه (هـ) وأبو يعلى (ص) والبزار (ز) وابن حبان (حب) والحاكم (ك) والبيهقى (ق) وابن أبى حاتم (تم) وابن جرير (ير) والطبرانى (ط) وابن مردويه (مر) .

قوله : «بينما النبى ﷺ عند البيت» رواه (خ) فى باب ذكر الملائكة من بدء الخلق ، و(م) عن مالك بن صعصعة .

قوله : «فى الحجر» رواه (أ ، خ ، م ، ت ، س) عن أنس من طريق قتادة بلفظ : «فى الخطيم» وربما قال «فى الحجر» ، قال الحافظ ابن حجر : الشك من قتادة .

قوله : «إذ أتاه جبريل وميكائيل» رواه (ير ، ص) عن أبى هريرة .

قوله : «ومعهم ملك آخر» رواه (خ ، م) عن أنس ، قال : «جاءه
ثلاثة نفر» . . . الحديث . ورواه ابن مردويه عن أنس من طريق
كثير بن خنيس .

قوله : «فقال أولهم» إلى قوله : «ليلة أخرى» رواه (خ ، م) من طريق
شريك عن أنس .

قوله : «فقال الأول هو هو» إلى قوله : «على ظهره» رواه ابن مردويه
من طريق كثير بن خنيس عن أنس .

قوله : «بين الرجلين» رواه (م) من طريق ثابت عن أنس .

قوله : «فتولاه منهم جبريل» رواه (خ ، م) من طريق شريك عن
أنس ، واقتضاه ظاهر حديث أبي ذر وأبي هريرة .

قوله : «من ثغرة نحره إلى شعرته» رواه (أ ، خ ، م ، س ، ت) عن
مالك بن صعصعة .

قوله : «قال جبريل لميكائيل» إلى قوله «واشرح صدره» رواه (ص ،
ير) من حديث أبي هريرة .

قوله : «فاستخرج قلبه» رواه (م) من حديث مالك بن صعصعة .

قوله : «فغسله» رواه (أ ، خ ، م ، ت ، س) من حديث مالك بن
صعصعة .

قوله : «ثلاث مرات» رواه (ص ، ير) من حديث أبي هريرة .

قوله : «ونزع ما كان فيه من أذى» رواه (ص ، ير) من حديثه أيضاً بلفظ : «ماكان فيه من غل» .

قوله : «واختلف إليه ميكائيل» إلى قوله : «ماء زمزم» رواه (ص ، ير) من حديثه أيضاً .

قوله : «ثم أتى بطست من ذهب» رواه (خ ، م) فى باب المعراج وغيره
قوله : «ممتلى حكمة وإيماناً فأفرغه فى صدره» رواه (خ ، م) من حديث أبى ذر .

قوله : «وملأه» إلى قوله : «إسلاماً» رواه (ص ، ير) من حديث أبى هريرة .

قوله : «ثم أطبقه» رواه (خ ، م) من حديث أبى ذر .

قوله : «ثم ختم كتفيه بخاتم النبوة» رواه (ص ، ير ، ك) من حديث أبى هريرة .

قوله : «ثم أتى بالبراق» رواه (م) من حديث ثابت ، و(ت) من طريق قتادة كلاهما عن أنس ، وزاد «مسرجاً ملجماً» .

قوله : «وهو دابة» إلى قوله : «منتهى طرفه» رواه (م) من طريق ثابت عن أنس .

قوله : «مضطرب الأذنين» رواه (ير ، ق) من حديث أبى سعيد .

قوله : «إذا أتى على جبل ارتفعت رجلاه ، وإذا هبط ارتفعت يده»
رواه (ص ، ر ، ط) من حديث ابن مسعود .

قوله : «فاستصعب عليه» رواه (ت) من حديث أنس ، و (ز ، ط ، ق)
وصححه من حديث شداد بن أوس .

قوله : «له جناحان يحفز بهما رجله» رواه ابن إسحاق وابن جرير
وابن المنذر عن الحسن البصري مرسلًا ، ورواه ابن سعد من طريق الواقدي
وابن عساكر من حديث جماعة من الصحابة .

قوله : «وكانها أصرت بأذنيها» رواه (ير ، ق) من طريق عبد الرحمن
ابن هاشم عن أنس .

قوله : «فأدارها جبريل بأذنيها» رواه (ز ، ط ، ق) وصححه من
حديث شداد .

قوله : «وقال مه يابراق» رواه (ير ، ق) من طريق عبد الرحمن بن
هاشم عن أنس .

قوله : «أبحمد تفعل هذا» إلى قوله : «عرقاً» رواه (أ ، ت ، ير ،
حب ، ق) من طريق معمر عن قتادة عن أنس .

قوله : «ثم قرّ حتى ركب» رواه ابن سعد من طريق الواقدي بإسناده عن
جماعة من الصحابة .

قوله : «وكانت الأنبياء تركبها قبله» رواه (س ، مر) من طريق يزيد بن

أبى هاشم عن أنس ، وفى حديث أبى سعيد عند (ير ، تم ، ق) «وكانت الأنبياء تركبها قبلى» وعند (ير) من طريق ابن شهاب قال : أخبرنى سعيد بن المسيب وأبو سلمة بن عبد الرحمن أن رسول الله ﷺ أسري به على البراق ، وهى دابة إبراهيم عليه السلام التى كان يزور عليها البيت . قال الحافظ ابن حجر فى «فتح البارى» : وفيه دلالة على أن البراق كان معداً لركوب الأنبياء قبله خلافاً لمن نفى ذلك أى كابن دحية والنووى .

قوله : «فانطلق به جبريل» رواه (خ) فى باب المعراج .

قوله : وفى رواية «جبريل عن يمينه وميكائيل عن يساره» رواه سعيد ابن منصور ، و(ط ، مر) عن عبد الرحمن بن قرط .

قوله : «فسار» رواه (ير ، ق) من طريق عبد الرحمن بن هاشم عن أنس .

قوله : «حتى بلغ أرضاً ذات نخل» إلى قوله «حيث ولد عيسى» رواه (س ، مر) من طريق يزيد بن أبى مالك عن أنس ، وفيه «إليها المهاجر» ، وليس فيه ذكر الطور ، ورواه (ز ، تم ، ط ، مر ، ق) وصححه من حديث شداد ، وفيه ذلك .

قوله : «فبينما هو يسير على البراق إذ رأى عفريتاً» إلى قوله «شعلته» رواه (س ، ز ، ط) فى الدعاء موصولاً ، ومالك معضلاً من حديث ابن مسعود .

قوله : «فسار فأتى» إلى قوله : «يخلفه» رواه (ص ، ز ، ير ، ق) من حديث أبي هريرة .

قوله : «ووجد ريحا طيبة» إلى قوله «وولد بها» رواه (أ ، س ، حب ، ط ، ق) بسند صحيح عن ابن عباس ، و(د ، مر) يزيد بعضهم على بعض .

قوله : «وأتى على قوم ترضخ رؤسهم» إلى قوله «توعدون» ، رواه (ص ، ز ، ير ، ق ، ك) وصححه من حديث أبي هريرة .

قوله : «ورجلاً يسبح» إلى قوله «الربا» ، رواه ابن مردويه عن سمرة ابن جندب .

قوله : «ثم أتى على رجلٍ قد جمع» إلى قوله «الفتنة» رواه (ص ، ز ، ير ، ق ، ك) من حديث أبي هريرة .

قوله : «خطباء أمتك» إلى قوله «مالا يفعلون» رواه (حب ، مر) عن أنس .

قوله : «ومر بقوم لهم» إلى قوله «أعراضهم» رواه (أ ، د) عن أنس .

قوله : «ثم أتى على جُحْرٍ صغيرٍ يخرج منه» إلى قوله «قد رضيت» رواه (ص ، ر ، ير ، ق ، ك) من حديث أبي هريرة .

قوله : «ورأى الدجال» إلى قوله «شجرة» رواه (أ ، ص ، مر) عن ابن عباس .

قوله : «شبهه بعبد العزى بن قطن» رواه (ط ، مر) عن أم هانئ .

قوله : «ورأى عموداً» إلى قوله «بالشام» رواه (ثم) عن عبد الله بن حوالة .

قوله : «إذ داع» إلى قوله : «إليها» رواه (ير ، ثم ، مر ، ق) من حديث أبي سعيد .

قوله : «ثم سار فإذا هو بعجوز» إلى قوله : «ثم الثالثة» رواه (ير ، مر ، ق) من طريق عبد الرحمن بن هاشم عن أنس .

قوله : «ومر على موسى وهو يصلى فى قبره عند الكثيب الأحمر» رواه ابن أبى شيبة ، و (م ، س ، مر ، ق) عن أنس .

قوله : «رجل سبط» إلى قوله : «له بالبركة» رواه (ص ، ز ، ط) عن ابن مسعود ، وابن عرفة وأبو نعيم وابن عساكر ، يزيد بعضهم على بعض .
قوله : «ثم سار فقال : يا جبريل» إلى قوله : «على الآخر» رواه (ير ، ثم ، مر ، ق) من حديث أبي سعيد .

قوله : «وأما العجوز» إلى قوله : «وعيسى» رواه (ير ، مر ، ق) من طريق عبد الرحمن بن هاشم عن أنس .

قوله : «ثم انطلق به» إلى قوله : «الشحنة» رواه (ز ، ثم ، ط ، مر ، ق) وصححه عن شداد .

قوله : «فدخل المدينة من بابها اليماني» رواه (ز ، ثم ، مر ، ق) من حديثه أيضا .

قوله : «وإذا عن يمين المسجد» إلى قوله : «مريم» رواه الواسطي في فضائل بيت المقدس عن الوليد بن مسلم ، قال : حدثني بعض أشياخنا أن رسول الله ﷺ . . فذكره .

قوله : «ودخل المسجد من باب فيه تميل الشمس والقمر» رواه (ز ، تم ، ط ، مر ، ق) من حديث شداد .

قوله : «فأتى جبريل» إلى قوله : «البراق» رواه (ت ، ز ، ك) وصححه عن بريدة .

قوله : «فلما استووا في صخرة» إلى قوله : «فلم يموتوا» رواه (تم) من طريق يزيد بن أبي مالك عن أنس .

قوله : «ركعتين» رواه (م) من طريق ثابت .

قوله : وفي رواية «فأقيمت الصلاة فتدافعوا حتى قدموا محمداً» رواه (ط ، مر) عن أبي ليلى .

قوله : «فلما انصرف» إلى قوله : «بعثه الله» رواه (تم) عن أنس .

قوله : «ثم صلى مع الملائكة» إلى قوله : «بهذا فضلكم محمد» رواه (ص ، ز ، ير ، تم ، مر ، ق) من حديث أبي هريرة .

قوله : «ثم تذاكروا أمر الساعة» إلى قوله : «بولادتها ليلاً أو نهاراً» رواه سعيد بن منصور ، ورواه (أ ، ه ، ير ، ك) وصححه (ق) عن ابن مسعود .

قوله : «وأخذه من العطش أشد ما أخذه» رواه (ز ، تم ، ط ، ق) وصححه عن شداد .

قوله : «فأتي بآنية» إلى قوله : «على أمتك» رواه (ص ، ز ، ير) عن أبي هريرة .

قوله : وفي رواية «فعرض عليه الماء والخمر واللبن» رواه (ير ، مر ، ق) عن أنس .

قوله : وفي رواية «العسل بدل الماء» رواه ابن عرفة وأبو نعيم من حديث ابن مسعود ، ورواه ابن مردويه عن عمر بلفظ : «فإذا ملك قائم معه آنية ثلاثة ، فتناولت العسل فشربت منه» ، وفي حديث شداد عند (ز ، تم ، ط ، مر ، ق) وصححه بلفظ : «وأخذني من العطش أشد ما أخذني فأتيت بإناءين أحدهما لبن ، وفي الآخر عسل» ورواه (خ) في باب المعراج عن مالك بن صعصعة بلفظ : «ثم أتيت بإناء من خمر ، وإناء من لبن ، وإناء من عسل» ، لكن ذكر أن ذلك في السماء بعد أن رأى شجرة المنتهى .

قوله : «فضرب جبريل منكبيه وقال : أصبت الفطرة» رواه ابن عرفة وأبو نعيم عن ابن مسعود ، و (ير ، تم ، مر ، ق) عن أبي سعيد ، ورواه (م) من طريق ثابت عن أنس بلفظ : «اخترت الفطرة» .

قوله : «ولو شربت الخمر لغوت أمتك» رواه (ير ، ز ، ق) من حديث أبي هريرة .

قوله : «ولم يتبعك منهم إلا القليل» رواه (ير ، ز ، ق) من حديثه أيضاً .

قوله : «ولو شربت الماء لغرقت أمتك» رواه (ير ، تم ، ق) عن أبي سعيد .

قوله : وفي رواية «فقال شيخ» إلى قوله «لمهدى» رواه (ز ، تم ، ط ، ق) وصححه من حديث شداد .

قوله : «ثم أتى بالمعراج» إلى قوله «بالمعراج» رواه (ير ، تم ، مر ، ق) عن أبي سعيد .

قوله : «له مرقاة من ذهب ومرقاة من فضة» رواه الواسطي في فضائل بيت المقدس عن كعب .

قوله : «فصعدوا حتى انتهوا إلى باب من أبواب السماء يقال له باب الحفظة وعليه ملك يقال له إسماعيل وهو صاحب سماء الدنيا وبين يديه سبعون ألف ملك مع كل ملك جنده مائة ألف» ، رواه بهذا اللفظ (ير) في «تفسيره» و (ق) في «الدلائل» ومنهما نقلت من حديث أبي سعيد ، وهكذا رواه القاضي أبو سعيد الخليل بن أحمد السجستاني في آدابه عن أبي سعيد ، وفي رواية عند (ز) «تحت يده سبعون ألف ملك ، تحت يد كل ملك سبعون ألف ملك» وعند ابن إسحاق : «اثني عشر ألف ملك ، مع كل ملك اثنا عشر ألف ملك» .

قلت : هو «في دلائل النبوة» ٣٩٦/٢ ، وقال معلقه : مداره على

أبى هارون العبدى ، وهو متروك .

قوله : « فاستفتح جبريل » رواه (م) من طريق ثابت عن أنس .

قوله : « قيل من هذا؟ قال جبريل » رواه (خ ، م) من طريق شريك عن أنس ، و (م) من طريق ثابت بلفظ : « من أنت » .

قوله : « قال محمد » إلى قوله « وأهلا » رواه (خ ، م ، ير) من طريق شريك عن أنس .

قوله : « قيل : وقد بعث إليه؟ » رواه (م) عن مالك بن صعصعة ، وفى رواية « أو قد أرسل إليه؟ » رواها (ير ، ز ، تم ، ق) عن أبى هريرة ، و (خ) فى باب المعراج بلفظ : « قد أرسل إليه؟ » .

قوله : « حياه الله من أخ » إلى قوله « المجئى جاء » رواه (ير ، ز ، تم ، ق) عن أبى هريرة ، و (خ ، م) عن مالك بن صعصعة بلفظ : « فنعم المجئى جاء » .

قوله : « فلما خلصوا فإذا فيها آدم » رواه (خ) عن مالك بن صعصعة .

قوله : « كهيته » إلى قوله « سجين » رواه (ير ، مر ، تم ، ق) عن أبى سعيد .

قوله : « وعن يمينه أسودة إذا نظر قبل يمينه ضحك ، وإذا نظر قبل شماله بكى » رواه (خ ، م) من حديث مالك بن صعصعة ، وأخرجاه من حديث أبى ذر .

قوله : «عن يمينه باب يخرج منه ريح طيبة ، وعن شماله باب يخرج منه ريح خبيثة ، إذا نظر إلى الباب الذى عن يمينه ضحك واستبشر ، وإذا نظر إلى الباب الذى عن شماله بكى وحزن» رواه (ص ، ز ، ير ، ق) عن أبى هريرة .

قوله : «فسلم عليه النبى ﷺ فرد السلام وقال : مرحباً بالابن الصالح والنبى الصالح» رواه (خ ، م) عن مالك بن صعصعة .

قوله : «فقال النبى ﷺ يا جبريل ، من هذا؟ قال : هذا أبوك آدم وهذه الأسود عن يمينه وعن شماله نسَم بنيه ، فأهل اليمين منهم أهل الجنة ، والأسود التى عن شماله أهل النار ، فإذا نظر عن يمينه ضحك ، وإذا نظر عن شماله بكى» رواه (خ ، م ، س) عن أبى ذر .

قوله : «وهذا الباب الذى عن يمينه باب الجنة ، إذا نظر إلى من يدخله من ذريته ضحك واستبشر ، والباب الذى عن شماله باب جهنم إذا نظر إلى من يدخله من ذريته بكى وحزن» رواه (ص ، ز ، ير ، ق) عن أبى هريرة .

قوله : «ثم مضى ﷺ» إلى قوله : «اللمازون» رواه (ير ، تم ، مر ، ق) عن أبى سعيد .

قوله : «ثم صعدا» إلى قوله : «ونعم المجرى جاء» تقدم .

قوله «بابن الخالة عيسى ابن مريم ويحيى بن زكريا» رواه (م) عن أنس من طريق ثابت ، و (خ ، م) عن مالك بن صعصعة .

قوله : «ومعهما نفرٌ من قومهما شبيهٌ أحدهما بصاحبه» رواه (ير ، تم ، ق) عن أبي سعيد .

قوله : «فسلم فرداً» إلى قوله «النبي الصالح» رواه (أ ، خ ، م) عن مالك بن صعصعة .

قوله : «ودعوا له بخير» رواه (م) من طريق ثابت عن أنس .

قوله : «وإذا عيسى» إلى قوله «سبط الرأس» رواه (م) عن ابن عباس

قوله : «من ديماس» - يعنى حمام - هو تفسير عبد الرزاق أحد رواة رواه (م) عن أبي هريرة .

قوله فى يوسف : «ومعه نفر من قومه» رواه (ير ، تم ، ق) عن أبي سعيد .

قوله : «فسلم عليه فرد السلام ، وقال : مرحباً بالأخ الصالح والنبيّ

الصالح» رواه (أ ، خ ، م) عن مالك بن صعصعة .

قوله : «ودعوا له بخير» رواه (م) من طريق ثابت عن أنس .

قوله : «قد أعطي شطر الحسن» رواه (ير ، تم ، مر ، ق) عن أبي

سعيد .

قوله فى إدريس : «قد رفعه الله مكانا عليا» رواه (ير ، تم ، مر ، ق)

عن أبي سعيد .

قوله : «فسلم عليه» إلى قوله : «النبي الصالح» رواه (أ ، خ ، م) عن

مالك بن صعصعة .

قوله : «ودعاه بخير» رواه (م) من طريق ثابت .

قوله : «فإذا هو بهارون ، ونصف لحيته بيضاء» إلى قوله : «طولها» رواه (ير ، تم ، مر ، ق) عن أبي سعيد .

قوله : «وحوله قوم» إلى قوله «عليهم السلام» رواه (ز ، ص ، ير ، ق) عن أبي هريرة .

قوله : «فسلم عليه فرد عليه السلام» ثم قال : «مرحبا بالأخ الصالح والنبي الصالح» رواه (أ ، خ ، م) عن مالك بن صعصعة .

قوله : «ودعاه بخير» رواه (م) من طريق ثابت عن أنس .

قوله : «يا جبريل من هذا؟ قال : هذا المحبب في قومه هارون بن عمران» رواه (ير ، تم ، مر ، ق) عن أبي سعيد .

قوله : «فاستفتح جبريل» رواه (م) من طريق ثابت عن أنس .

قوله : «قيل : من هذا؟ قال : جبريل» رواه (خ ، م) من طريق شريك عن أنس .

قوله : «قيل : وقد بعث إليه؟» رواه (م) عن مالك بن صعصعة ، وفي رواية «أو قد أرسل إليه؟» رواها (ير ، ز ، تم ، ق) عن أبي هريرة ، و (خ) بلفظ : «قيل : قد أرسل إليه؟» .

قوله : «حياء الله من أخ» إلى قوله «المجيء جاء» رواه (ص ، مر ، ز ، تم ، ق) عن أبي هريرة .

قوله : «فجعل يمر» إلى قوله «بغير حساب» رواه (ت ، س ، مر) عن ابن عباس .

قوله : «فإذا موسى بن عمران رجل» إلى قوله «شنوءة» رواه (م) عن ابن عباس ، و (خ) عن أبي هريرة وليس عنده رجل .

قوله : «كثير الشعر» إلى قوله «دونهما» رواه (ير ، تم ، مر ، ق) عن أبي سعيد .

قوله : «قال يزعم» إلى قوله «على الله منى» رواه (ص ، ز ، ير ، ق) عن أبي هريرة .

قوله : «فلما جاوزه» إلى قوله «أمتي» رواه (أ ، خ ، م ، ت ، س) عن مالك بن صعصعة .

قوله : «يزعم بنو إسرائيل» إلى قوله «مع كل نبي أمته» رواه (ص ، ز ، ير ، د ، ق) عن أبي هريرة .

قوله : «رأى فوقه رعداً وبرقاً وضواعتق» رواه ابن أبي شيبة ، و (أ ، هـ ، تم ، ص) عنه أيضا .

قوله : «فاستفتح جبريل» رواه (م) من طريق شريك عن أنس .

قوله : «قليل من هذا؟ قال : جبريل» رواه (خ ، م) من طريق شريك عن أنس .

قوله : «قال محمد» إلى قوله «أهلاً» ، رواه (خ ، م ، س) من

طريقه أيضا .

قوله : « قيل : وقد بعث إليه؟ » رواه (م) عن مالك بن صعصعة ، وفي رواية : « وقد أرسل إليه؟ » رواها (ير ، تم ، مر ، ق) عن أبي هريرة .

قوله : « حياه الله » إلى قوله « جاء » رواه (ص ، ز ، ير ، تم ، ق) عن أبي هريرة .

قوله : « فسمع تسبيحاً » إلى قوله « وتعالى » رواه سعيد بن منصور ، و (ط ، مر) عن عبد الرحمن بن قرط .

قوله في إبراهيم : « رجل أشمط » إلى قوله « كرسى » رواه (ص ، ز ، ير ، تم ، ق) عن أبي هريرة .

قوله : « مسنداً ظهره إلى البيت المعمور » رواه (م) من طريق ثابت عن أنس ، و (ير ، تم ، مر ، ق) عن أبي سعيد .

قوله : « ومعه نفر من قومه » رواه (ير ، ت ، م ، ق) عن أبي سعيد .
قوله : « فسلم عليه » إلى قوله « النبي الصالح » رواه (أ ، خ ، م) عن مالك بن صعصعة .

قوله : « ودعاه بخير » رواه (م) من طريق ثابت عن أنس .
قوله : « وهو أشبه ولده به » رواه (خ ، م ، ير) عن أبي هريرة .
قوله : « وقال مُرْ أمتك » إلى قوله « فليكثروا » إلى قوله : « إلا بالله » رواه (أ ، تم ، وابن حبان ومرو) عن أبي أيوب الأنصاري .

قوله : وفي رواية «مُرْ أمتك» إلى قوله «أكبر» رواه (ت) وقال :
حسن ، و (ط ، مر) عن ابن مسعود .

قوله : «وعنده» إلى قوله «طهورا» رواه (ص ، ز ، ير ، تم ، مر ، ق)
عن أبي هريرة .

قوله : «وقيل له هذا» إلى قوله «القيمة» رواه (ير ، تم ، مر ، ق) عن
أبي سعيد . وروى منه (أ ، خ ، م ، ت ، س) قال : «يا جبريل ماهذا؟
قال : هذا البيت المعمور يدخله سبعون ألف ملك ، إذا خرجوا لم يعودوا»
وفيه «آخر ما عليهم» .

قوله : «ثم خرج ومن معه» رواه (ير ، تم ، مر ، ق) عن أبي سعيد .
قوله : «ثم أتى بإناء من خمر وإناء من لبن وإناء من غسل» رواه (خ)
في باب المعراج عن مالك بن صعصعة ، وفي الأشربة في باب شرب اللبن
من طريق شعبة عن قتادة عن أنس مرفوعاً : «رفعت له سدرة المنتهى فإذا
أربعة أنهار ، قال : وأتيت بثلاثة أقداح» . لم يذكر شعبة في الإسناد مالك
ابن صعصعة ، وعند (م) عن مالك بن صعصعة بعد ذكر البيت المعمور «ثم
أتيت بإناءين ، أحدهما خمر والآخر لبن» ، وعند ابن عائد من حديث
أبي هريرة في حديث المعراج بعد ذكر إبراهيم «ثم انطلقنا فإذا نحن بثلاثة أنية
مغطاة» ... الحديث .

قوله : «أصبت أصاب الله بك أمتك على الفطرة» رواه (م ، هـ) عن
مالك بن صعصعة ، ورواية «هي الفطرة التي أنت عليها وأمتك» رواها (خ)

فى باب المعراج عنه .

قوله : «ثم رفع إلى سدره المنتهى» رواه (ير ، تم ، مر ، ق) عن
أبى سعيد .

قوله : «وإليها ينتهى مايعرج من الأرض فيقبض منها ، وإليها ينتهى
مايهبط من فوق فيقبض منها» رواه (م ، ت ، س ، مر) عن ابن مسعود .
قوله : «وإذا هي شجرة» إلى قوله «لايقطعها» رواه (ص ، ز ، مر ،
ق) عن أبى هريرة .

قوله : «وإذا نبقها مثل قلال هجر ، وإذا ورقها كأذان الفيلة» رواه (أ ،
خ ، م ، ت ، س) عن مالك بن صعصعة ، ورواية «مثل أذان الفيول» رواها
(خ) فى باب ذكر الملائكة عنه أيضا .

قوله : «تكاد الورقة تغطى هذه الأمة» رواه (ير ، تم ، مر ، ق) عن
أبى سعيد .

وفى رواية : «الورقة مغطية الأمة كلها» رواها (ص ، ز ، تم ، ق) عن
أبى هريرة .

قوله : «على كل ورقة ملك» رواه (ير ، تم ، مر ، ق) عن أبى سعيد .

قوله : «فغشيها ألوان لايدرى ماهي» رواه (خ ، م) فى حديث أبى ذر .

قوله : «فلما غشيها» إلى قوله «من حسننها» رواه (م) من طريق ثابت
عن أنس .

قوله : «تحوّلت يا قوتا» رواه ابن عائذ عن أنس .

قوله : «فيها فراش من ذهب» رواه بهذا اللفظ (مر ، م) نحوه ، وفي رواية «جراد» رواها (مر) من طريق يزيد بن أبي مالك عن أنس .

قوله : «فقليل له» إلى قوله «على سبيلك» رواه (ص ، ز ، ير ، تم ، ق) عن أبي سعيد .

قوله : «وإذا في أصلها أربعة أنهار» إلى قوله «الفرات» رواه (أ ، خ) في باب ذكر الملائكة ، و (م ، ت ، س) عن مالك بن صعصعة .

قوله : وفي رواية «وإذا في أصلها عين تجري يقال لها «السلسيل» ، فينشق منها نهران : أحدهما الكوثر» . رواه (ير ، تم ، مر ، ق) عن أبي سعيد .

قوله «عليه خيام اللؤلؤ» إلى قوله «أشد ريحا من المسك» . رواه (تم) من طريق يزيد بن أبي مالك عن أنس .

قوله : «فقال له جبريل : هذا النهر الذي خبأ لك ربك» . رواه (خ ، م ، ير) من طريق شريك عن أنس .

قوله : «وأما هذا فنهر الرحمة» إلى قوله «بشر» . رواه (ير ، تم ، مر ، ق) عن أبي سعيد .

قوله : «وفي حديث ابن مسعود» إلى قوله «مما لا يعلمه إلا الله» . رواه أحمد من طريقين ، قال ابن كثير : في أحدهما حسن وفي الآخر جيد

قوي ، وأبو الشيخ فى " العظمة " والبيهقى فى «الدلائل» وأهل الحديث فى «مسلم» .

قوله : «فرأى على بابها» إلى قوله «من حاجة» . رواه (هـ ، مر ، ق) عن أنس .

قوله : «فاستقبلته جارية» إلى قوله «حارثة» . رواه (ير ، تم ، مر ، ق) عن أبي بن كعب .

قوله : «وإذا فيها جنابذ اللؤلؤ» . رواه (خ ، م ، س) عن أبي ذر .
قوله : «إنهم يسألونى عن الجنة» إلى قوله «وترابها المسك» . رواه (مر) عن أبي بن كعب .

قوله : «وسمع فى جنابتها» إلى قوله «المؤذن» . رواه (أ ، مر) وأبو نعيم والضياء فى «المختارة» بسند صحيح عن ابن عباس .
قوله : «فإذا هو بأنهار» إلى قوله «يأكل منها» . رواه (ير ، تم ، ق) عن أبي سعيد .

قوله : «وبينما هو يسير إذا هو بنهر» إلى قوله «هذا الكوثر» رواه (م) من طريق قتادة عن أنس .

قوله : «ثم عرضت عليه النار» إلى قوله «لأكلتها» رواه (ير ، تم ، ق) عن أبي سعيد .

قوله : «فإذا قوم يأكلون» إلى قوله «الناقة» . رواه (أ ، ير) وأبو نعيم والضياء فى «المختارة» .

قوله : «ورأى ملكاً» إلى قوله «فى وجهه» . رواه (مر) عن عمر ،
وأخرجه (م) عن ابن عباس بنظير هذا اللفظ .

قوله : «فبدأ النبى ﷺ بالسلام» . رواه (م ، س ، مر) عن أبى هريرة

قوله : «ثم أغلقت دونه ثم رفع إلى سدرة المنتهى» رواه (ير ، تم ، مر ،
ق) عن أبى سعيد .

قوله : «فغشيها أنوار الخلاق» إلى قوله «يقعن على الشجر» . رواه
(ص ، ز ، ير ، ق) عن أبى هريرة .

قوله : «ونزل على كل ورقة ملك من الملائكة» . رواه (ير ، تم ، مر ، ق)
عن أبى سعيد .

قوله : «فغشيتها سحابة فيها من كل لون» رواه (تم) عن أنس .

قوله : وفى حديث : «أن جبريل قال له» إلى قوله «غضبى» رواه
الطبرانى عن أبى هريرة مرفوعاً ، ورواه ابن مردويه عن عبد الله بن الزبير ،
ورواه عبد الرزاق عن معمر عن ابن جريج عن عطاء بن أبى رباح ، وأورده
ابن الجوزى فى «الموضوعات» وتعقبه صاحب «القاموس» فى كتاب
«الصلوات والبشر» وشيخنا فى «تهذيب كتاب الموضوعات» .

قوله : «فتأخر جبريل» . رواه (تم) عن أنس بلفظ : «فرفضنى جبريل» .

قوله : «ثم عرج به حتى ظهر بمستوى سمع فيه صريف الأقلام» رواه
(خ ، م ، س ، هـ) عن ابن عباس وأبى جبة الأنصارى .

قوله : «ورأى رجلاً مغيباً فى نور العرش» إلى قوله «لوالديه» . رواه (ق ، ط) ، قال المنذرى : رواه ابن أبى الدنيا عن أبى المخارق مرسلاً ، وأبو المخارق مجهول .

قوله : «فرأى الله سبحانه وتعالى» تقدم فى شرح غريب القصة من رواه .

قوله : «فخر النبى ﷺ ساجداً» . رواه (تم) عن أنس .

قوله : «فكلمه ربه تبارك وتعالى عند ذلك» . رواه (ص ، ز ، ير ، تم ، ق) عن أبى هريرة .

قوله : «سل» إلى قوله «والنهي عن المنكر» . رواه (ص ، ز ، ير ، تم ، ق) عن أبى هريرة .

قوله : «وإنى يوم خلقت» إلى قوله «وأمتك» . رواه (تم) عن أنس .

قوله : «قال أبوهريرة» إلى قوله «بخمسين صلاة» ، رواه (ص ، ز ، ير ، تم ، ق) عنه .

قوله : «وأعطي ثلاثاً ، إنه سيد المرسلين ، وإمام المتقين ، وقائد الغر المحجلين» . رواه البغوى فى «معجمه» عن عبد الله بن أسعد بن زرارة .

قوله : «وأعطي رسول الله ﷺ» إلى قوله «المقحمات» . رواه (م ، ت ، س ، مر) عن ابن مسعود .

قوله : «ثم انجلت عنه السحابة وأخذ بيده فانصرف سريعاً فأبى

إبراهيم فلم يقل شيئاً» . رواه (تم) عن أنس .

قوله : «ثم أتى على موسى ونعم الصاحب كان لكم» . عزاه في «فتح الباري» لحديث أبي سعيد .

قوله : «فقال : ما صنعت يا محمد؟» . رواه (ط ، مر) عن أبي ليلى .

قوله : «ما فرض ربك عليك وعلى أمتك؟ قال : خمسين صلاة» . رواه (مر) عن أنس ، و (س ، ز) من طريق يزيد عنه .

قوله : «كل يوم وليلة» . رواه (م) من طريق ثابت عن أنس .

قوله : «قال : ارجع إلى ربك فسله التخفيف عنك وعن أمتك» ، رواه (تم ، مر) عن أنس .

قوله : «قد خبرت الناس قبلك» . رواه (أ ، خ ، م ، ت ، س) عن مالك بن صعصعة .

قوله : «فإن أمتك لا تطيق ذلك ، فإني بلوت بني إسرائيل» . رواه (م) من طريق ثابت عن أنس .

قوله : «وجربت» وفي لفظ : «جربت الناس قبلك» . رواه (أ ، خ ، م ، س) عن مالك بن صعصعة .

قوله : «وعالجتهم أشد المعالجة» . رواه (أ ، خ ، م ، ت) عنه أيضا .

قوله : «على أذنى من هذا» إلى قوله «إن شئت» . رواه (خ ، م ، ير)

من طريق شريك عن أنس .

قوله : «فرجع سريعاً حتى انتهى إلى الشجرة فغشيته السحابة وخر ساجداً» . رواه (تم) من طريق يزيد عن أنس ، وأخرجه (س ، مر) بلفظ : «فرجعت فأتيت سدرة المنتهى فخررت ساجداً» ، ولم يذكر تمامه .

قوله : «وقال : رب خفف عن أمتي» . رواه (م) من طريق ثابت عن أنس .

قوله : «فإنها أضعف الأمم» . رواه (ير ، تم ، مر ، ق) عن أبي سعيد .

قوله : قال : «قد وضعت عنكم» . رواه (تم) عن أنس .

قوله «خمسا» . رواه ابن أبي شيبة ، و (أ ، م ، مر) من طريق ثابت عن أنس ، وابن خزيمة والبيهقي وابن مردويه من حديث مالك بن صعصعة .

قوله : «ثم انجلت عنه السحابة ، ورجع إلى موسى ، فقال : وضع عني» . رواه (تم) عن أنس .

قوله : «فقال ارجع إلى ربك فسله التخفيف فإن أمتك لا تطيق ذلك» . رواه (م) من طريق ثابت عن أنس .

قوله : «فلم يزل يرجع بين موسى وبين ربه يحط خمسا خمسا» . رواه (أ) من طريق ثابت عن أنس ، وابن خزيمة من حديث مالك بن صعصعة .

قوله : «حتى قال : يا محمد هن خمس صلوات» إلى قوله «واحدة» .

رواه (م) من طريق ثابت عن أنس إلى قوله «لييك وسعديك» فرواه (خ ، م ،

- (ير) من طريق شريك عن أنس .
- قوله : «ولا ينسخ كتابي ، تخفيفها عنكم كتخفيف خمس صلوات» .
رواه (م) عن أنس .
- قوله : «فنزل حتى انتهى إلى موسى فأخبره ، فقال : ارجع إلى ربك فاسأله التخفيف» . رواه (م) من طريق ثابت عن أنس .
- قوله : «فإن أمتك لا تطيق ذلك» . رواه (م) من طريق ثابت عن أنس .
- قوله : «قد راجعت ربي حتى استحيت منه» . رواه (م) من طريق ثابت عن أنس ، و (خ ، م) عن مالك بن صعصعة وأبي ذر .
- قوله : «ولكني أرضى وأسلم» إلى قوله «عبادي» . رواه (خ ، م) عن مالك بن صعصعة .
- قوله : «فقال موسى اهبط بسم الله» . رواه (خ ، م ، ير) من طريق شريك عن أنس .
- قوله : «ولم يمر علي ملك من الملائكة إلا قالوا عليك بالحجامة» ، وفي لفظ : «مر أمتك بالحجامة» . رواه (أ ، هـ ، ك) وصححه عن ابن عباس .
- قوله : «ثم انحدر فقال لجبريل» إلى قوله «إليك» ، رواه (تم) عن أنس .
- قوله : «فلم نزل» إلى قوله «العجائب» ، رواه ابن أبي شيبة ، و (أ ، هـ ، تم) عن أبي هريرة .

قوله : «ثم ركب منصرفاً فمرّ بعيرٍ لقريشٍ تحمل طعاماً» ، رواه (تم) عن أنس .

قوله : «بمكان كذا وكذا» ، رواه (مر) عن أنس .

قوله : «منها جمل عليه غرارتان» إلى قوله «وانكسر» ، رواه (تم) عن أنس .

قوله : «ومر بعيرٍ لقريشٍ» إلى قوله «بمكة» ، رواه (ز ، تم ، ط ، مر ، ق) وصححه عن شداد .

قوله : «فلما أصبح» إلى قوله «متعجباً» ، رواه ابن أبي شيبة ، و (أ ، س ، ز ، ط ، مر) عن ابن عباس .

قوله : «فضجوا» إلى قوله «صف لنا بيت المقدس» ، رواه (ص) وابن عساكر عن أم هانئ .

قوله : «كيف بناؤه وكيف هيئته وكيف قربه من الجبل» ، رواه (ير ، تم ، ق) عن أبي سعيد .

قوله : «وفى القوم من سافر إليه» إلى قوله «لقد أصاب» ، رواه ابن أبي شيبة ، و (أ ، س ، ز ، ط ، مر) بسندٍ صحيح .

قوله : «أشهد أنك رسول الله» ، رواه (ز ، تم ، ط ، مر ، ق) وصححه عن شداد ، و (ك ، مر ، ق) عن عائشة .

قوله : «ثم قالوا : يا محمد» إلى قوله «من الثنية» ، رواه (ص)

وابن عساكر عن أم هانئ وليس عندهما ، «بمكان كذا وكذا» ، ورواه (تم) عن أنس نحوه ، وفيه ذلك .

قوله : «قالوا فمتى يجيء» إلى قوله «حتى دخلت العير» ، رواه البيهقي عن أنس بن بكير ، ورواه أيضاً عن إسماعيل السدي ، وروى الطبراني في " الأوسط " بسند حسن كما قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» ، وابن حجر في باب قول النبي ﷺ أحلت لكم الغنائم من «فتح الباري» ، وأبو زرعة ابن العراقي في الباب المذكور من «تكملة» لشرح تقريب والده عن جابر رضي الله عنه أن النبي ﷺ أمر الشمس أن تتأخر ساعة من النهار فتأخرت ساعة من النهار .

قوله : «فاستقبلوا الإبل» إلى قوله «الأرض» ، رواه (ط ، مر) عن أم هانئ واللفظ للأولين ، وأخرج البخاري في باب الإسراء عن ابن عباس في قوله تعالى : ﴿ وما جعلنا الرؤيا التي أريتاك إلا فتنه للناس ﴾ ^(١) . قال : «هي رؤيا عين أريها النبي ﷺ ليلة أسري به » زاد سعيد بن منصور عن سفيان في آخر الحديث « وليست رؤيا منام » ، قال في «فتح الباري» : إضافة الرؤيا للعين للاحتراز عن رؤيا القلب ، وقد أثبت الله تعالى رؤيا القلب في القرآن فقال : ﴿ ما كذب الفؤاد ما رأى ﴾ ^(٢) ورؤيا العين فقال : ﴿ ما زاغ البصر وما طغى ﴾ ^(٣) ، وروى ابن مردويه من حديث الحسن بن علي رفعه « إني رأيت كأن بني أمية يتعاورون منبري هذا ، فقيل : هي دنيا تنالهم ، ونزلت هذه الآية » . . وروى ابن مردويه أيضاً من طريق العوفي

(٣) النجم : ١٧

(٢) النجم : ١١

(١) الإسراء : ٦٠

عن ابن عباس قال : « رأى أنه وصل مكة وأصحابه فلما رده المشركون كان لبعض الناس بذلك فتنة » ، قال الحافظ : وكلاهما ضعيف - أي فالصحيح ما تقدم - (١)

(١) وقد ذكر الشامي في آخر مباحث المعراج من كتابه «سبل الهدى والرشاد» (ج ٣ ص ٢٤٢ : أن له كتابا خاصا في التخريج يسمى «الإفراج في تخريج أحاديث قصة المعراج» . وهذا المبحث نقلناه من كتابه المخطوط المسمى (الآيات العظيمة الباهرة في معراج سيد أهل الدنيا والآخرة) وهو تحت البحث والتحقيق .

الأحاديث الباطلة والموضوعة

في هذا الباب

وقد ذكر الحافظ الشامي في كتابه «الآيات العظيمة الباهرة» فصلاً خاصاً عن الأحاديث الباطلة والموضوعة ذكر أنه نقلها من كتاب «الموضوعات» لأبي الفرج ابن الجوزي ، والتي أقره عليها الحافظ الذهبي في «مختصره» والشيخ الحافظ ابن حجر في «تهذيب كتاب ابن الجوزي» وأنه زاد من عنده على ما ذكره هؤلاء بعض التعقبات ، ثم ساق الأحاديث وأنا أختصر ذلك بالإشارة إلى كل حديث مع اختصاره .

حديث علي مرفوعاً : « نوديت ليلة أسري بي ، يا محمد سَلْ تُعْطَ ، فرجف واضطرب كل عضو مني ، فقلت : اللهم إني أسألك أن تثبت شفاعتي » .

حديث أنس مرفوعاً : « قلت لجبريل حين أسري بي ، هل على أمتي حساب؟ فقال : كل أمتك عليها حساب ما خلا أبا بكر » .

حديث أنس مرفوعاً : « لما دخلت الجنة نظرت إلى برج أعلاه نور وأسفله نور ، فقلت : هذا لأبي بكر » .

حديث أبي سعيد مرفوعاً : « نادى مناد ، يا محمد أحب من أحب ، فقلت : ومن تحب يا زبني؟ قال : أحب أبا بكر . فقال النبي ﷺ لأبي بكر : بخ بخ ، الله يحبك وأنا أحبك ، ولو أحبك أهل الأرض جميعاً » .

ما عذبهم الله بالنار ..

حديث آخر عن ابن عباس في فضل أبي بكر ، وفيه « أن النبي ﷺ قال : ومن مثلك يا أبا بكر ، ولو أحبك الثقلان لما عذبهم الله بالنار » .

حديث ابن عباس مرفوعاً : « لقيني ملك من نور فسلمت عليه فقال الله له : سلّم عليك صفيُّ ونبيُّ فلم تقم إليه ، وعزتي وجلالي لتقومن فلا تقعد إلى يوم القيامة » .

حديث ابن عباس : « أن النبي ﷺ لقي زكريا فسأله عن كيفية قتله فحدثه بها » .

حديث أنس مرفوعاً : « رأيت على ساق العرش مكتوباً لا إله إلا الله محمد رسول الله ، أيّده بعلي ، نصرته بعلي » .

حديث علي مرفوعاً : « رأيت على باب الجنة مكتوباً بالذهب لا إله إلا الله ، محمد حبيب الله ، علي ولي الله ، فاطمة أمة الله ، الحسن والحسين صفوة الله » .

حديث ابن عمر مرفوعاً : « لما عرج بي إلى السماء بكت الأرض » .

حديث أنس مرفوعاً : « سألت ربي ليلة أسري بي أن يجعل حساب أمتي على يدي » .

حديث أبي هريرة : « أنه مر ﷺ ليلة الإسراء بقبر إبراهيم فنزل وصلى » .

حديث أبي هريرة مرفوعاً : « لما أُسري بي غمسنى جبريل فى النور غمسة » .

حديث ابن عباس مرفوعاً : « بعثنى الله ليلة أُسري بى إلى يأجوج ومأجوج » .

حديث أبى الدرداء مرفوعاً : « مازلت بالأشواق إلى الديك الأبيض وإنه تحت العرش » .

حديث أنس مرفوعاً : « أنه رأى ربه ليلة أُسري به وعليه تاج من لؤلؤ »
حديث : « أنه عرق فقطرت منه قطرة أنبت الله منها ريحان البنفسج »
حديث عائشة مرفوعاً : « أنه أكل من شجرة فى الجنة فصارت نطفة ، فلما هبط إلى الأرض واقع خديجة فحملت بفاطمة » .

حديث أبى الدرداء : « أنه رأى فى العرش مثله » .

حديث ابن عمر : « لما أُسري بالنبى ﷺ أوحى الله إليه بالأذان فنزل فعلمه بلالاً » .

حديث علي مرفوعاً : « سقط إلى الأرض من عرقى فنبت منه الورد »
حديث علي مرفوعاً : « الفقر فخرى وفخر أمتى » .

حديث أنس مرفوعاً : « الورد الأبيض خلق من عرقى ليلة المعراج » .

حديث أنس مرفوعاً : « أنه رأى نوعاً من الرياحين وهو المزرنوش نابتاً

تحت العرش » .

حديث أنس مرفوعاً : « رأيت ليلة أسري بي خيلاً موقوفة بأجنحة ،
وأنها لمجيئ أبي بكر وعمر لزيارة الله » .

حديث أنس مرفوعاً : « رأيت ليلة أسري بي ثمانين ألفاً من الملائكة
على خيول من الياقوت يستغفرون لأبي بكر وعمر » .

حديث : « أن النبي ﷺ سلم على الشمس وأن عليها كسوة عظيمة » .
حديث أسعد بن زرارة مرفوعاً : « أوحى الله إليّ ليلة أسري بي في
عليّ ثلاث خصال : أنه سيد المرسلين ، وإمام المتقين ، وقائد الغر
المحجلين » .

حديث عائشة مرفوعاً : « أنه صلى بالملائكة » .

حديث علي مرفوعاً : « أنه علمه جبريل الأذان ليلة الإسراء ، وأنه
خرج ملك من وراء الحجاب لا يعرفه جبريل » .

حديث ابن عباس : « أن جبريل قال للنبي ﷺ سل الله لي أن أبسط
جناحي لأمتك على الصراط حتى يجوزوا عليه » .

وفى خبر السبعين ألف حجاب ، وفيه « أنه ناداه مناد بصوت أبي بكر
قف فإن ربك يصلي » وفيه « أن الله علمه القرآن كله » والحديث طويل جداً
وفيه « أنه تدلى له قطرة من العرش فوق لسانه » وكله كذب بلا شك .

حديث ابن عباس مرفوعاً : « رأيت ليلة أسري بي أعاجيب من عباد

الله وخلقه ، ومن ذلك « الديك الأبيض » وذكر خبراً طويلاً عنه ، ومن ذلك « الملك الذى نصفه من الثلج ونصفه من النار » ، ومنها « أنه مر بملك آخر جالس على كرسى ، وأن جميع الدنيا ومن فيها بين ركبتيه وبين يديه » وفيه ذكر منكر ونكير وأوصافهما .

معارف وعلوم جديدة فى رحلة الإسراء والمعراج

قال الإمام العارف بالله سيدى محمد الباقر الكتانى :

لما كان الإسلام دين العلم بجميع أنواعه وكانت هناك علوم لدُنْيَةٍ وأسرار غيبية لا يمكن أن تلقن إلا مباشرة وبدون واسطة ، اشتاق ﷺ إلى معرفة هذه العلوم ، لأنه على وشك الهجرة من مكة المكرمة إلى المدينة المنورة لتأسيس الدولة الإسلامية المنتظرة ووضع الترتيبات والتنظيمات لضمان سير البشرية فى جميع الأزمنة والأمكنة فى طريق مستقيم ، لا يزيغ عنه إلا هالك ، ولم يبق بينه وبين الهجرة إلا سنة .

لهذا استدعى الله سبحانه وتعالى نبيه ﷺ لتلقيه تلك العلوم وإطلاعه على كثير من الأسرار والفهوم ، وأيضا لما أراد الله سبحانه وتعالى أن يبين لعباده أنهم ما أوتوا من العلم إلا قليلا وإن استطاعوا أن يغزوا الفضاء وغيره من الأفلاك العلوية ، استدعى العالم الأكبر والرائد الأشهر ﷺ ليقطع المسافات التى يستبعد العقل البشري قطعها ، ويبقى مثلاً أعلى فى ذلك لا يمكن أن يحدو حدوه منّا سابق ولا لاحق .

وقد نبه سيدنا الإمام الوالد رضوان الله عليه على الشطر الأول من هذا السبب فى فصل من فصول ألفيته التى وضعها فى الكمالات المحمدية على بعض تلك العلوم التى استفادها ﷺ من ربه ليلة المعراج ، فعدّ منها :

١ - العلم المحيط بتدبير الممالك والأشياء .

٢ - فقه الهداية .

٣ - علم الكون .

٤ - أسرار الظهور .

٥ - أحكام القضاء والمشئة .

٦ - معنى النفوذ .

٧ - آداب الملك والمالك .

٨ - آداب التشريع وآداب الرتب .

٩ - تصريف القدرة .

وختم أبياته بقوله :

وأشهده ما لا يطاق شهوده وأسكنه بحبوح علم الإرادة

ونبه الإمام الرازي رحمه الله تعالى في "تفسيره" على الشطر الثاني

فقال :

إن الحركة الواقعة إلى هذا الحد ممكنة في نفسها ، ويدل عليه وجوه :

الوجه الأول : إن الفلك الأعظم يتحرك من أول الليل إلى آخره ما يقرب من

نصف الدور ، وقد ثبت في الهندسة أن نسبة القطر إلى نصف الدور نسبة

الواحد إلى ثلاثة وسبع ، فيلزم أن تكون نسبة نصف القطر إلى نصف الدور

نسبة الواحد إلى ثلاثة وسبع ، وبتقدير أن يقال إن رسول الله ﷺ ارتفع من

مكة إلى ما فوق الفلك الأعظم فهو لم يتحرك إلا بمقدار نصف القطر ، فلما

حصل فى ذلك القدر من الزمان حركة نصف الدور فكان حصول الحركة بمقدار نصف القطر أولى بالإمكان ، فهذا برهان قاطع على أن الارتقاء من مكة إلى ما فوق السموات فى مقدار ثلث من الليل أمر ممكن فى نفسه ، وإذا كان كذلك كان حصوله فى كل الليل أولى بالإمكان ، والله أعلم .

الوجه الثانى : وهو أنه ثبت فى الهندسة أن قرص الشمس يساوى كرة الأرض مائة وستين وكذا مرة ، ثم إنا نشاهد أن طلوع القرص يحصل فى زمان لطيف سريع وذلك يدل على أن بلوغ الحركة فى السرعة إلى الحد المذكور أمر ممكن فى نفسه .

الوجه الثالث : أنه جاء فى القرآن أن الرياح كانت تسير بسليمان عليه الصلاة والسلام إلى المواضع البعيدة فى الأوقات القليلة .

قال تعالى فى صفة مسير سليمان عليه الصلاة والسلام : ﴿ غدوها شهر ورواحها شهر ﴾^(١) بل نقول : الحس يدل على أن الرياح تتقل عند شدة هبوبها من مكان إلى مكان فى غاية البعد فى اللحظة الواحدة ، وذلك أيضا يدل على أن مثل هذه الحركة السريعة فى نفسها ممكنة .

الوجه الرابع : أن القرآن يدل على أن الذى عنده علم من الكتاب أحضر عرش بلقيس من أقصى اليمن إلى أقصى الشام فى مقدار لمح البصر ، بدليل قوله تعالى : ﴿ قال الذى عنده علم من الكتاب أنا آتيتك به قبل أن يرتد إليك طرفك ﴾^(٢) وإذا كان ممكنا فى حق بعض الناس علمنا أنه فى نفسه ممكن الوجود .

(٢) النمل : ٤٠

(١) سبأ : ١٢

الوجه الخامس : أن من الناس من يقول^(١) : الحيوان إنما يبصر
المبصرات لأجل أن الشعاع يخرج من عينيه ويتصل بالمبصر ، ثم إننا إذا فتحنا
العين ونظرنا إلى رجل رأيناه ، فعلى قول هؤلاء انتقل شعاع العين من
أبصارنا إلى رجل فى تلك اللحظة اللطيفة ، وذلك يدل على أن الحركة
الواقعة على هذا الحد من السرعة من الممكنات لا من الممتنعات ، فثبت بهذه
الوجوه أن حصول الحركة المنتهية فى السرعة إلى هذا الحد أمر ممكن الوجود
فى نفسه . انتهى باختصار .

﴿فتبارك الله أحسن الخالقين﴾^(٢) ، ﴿وقل رب زدنى علماً﴾^(٣) .
﴿وما أوتيتم من العلم إلا قليلاً﴾^(٤) .

(١) قول الإمام الكتاني (إن من الناس) يفيد أن هناك من يقول بخلاف هذه النظرية . وهو أن الشعاع
يخرج من مصدر الضوء فيقع على الشيء المرئى فينعكس ذلك على بؤرة العين فتراه .
(٢) المؤمنون : ١٤ (٣) طه : ١١٤ (٤) الإسراء : ٨٥ - من يواقيت التاج فى قصة
الإسراء والمعراج للإمام محمد الباقر الكتاني .

وهو بالأفق الأعلى :

لقد كان حادث الإسراء والمعراج هو الفيصل بين طائفتين : طائفة ثابتة على إيمانها لاتزعزعها الأعاصير ، تميد الجبال ولا تميد ، وطائفة مشركة ، قد أحكمت أمرها ، وربت شؤونها وجزمت العزم على أن تقضى على الإسلام مهما طال الزمن .

هذا النبأ الجليل يسمعه قوم فلا يصل إلا إلى الجوانب الظاهرية منهم ، ويسمع هذا النبأ قوم فيصل إلى أعماق قلوبهم فيتجهون إلى مغزاه العميق ، وإلى روحانيته السامية ويرون أن هذا النبأ ينطوى على توجيهات لا ينبغي أن يمرَّ الكرام .

من هذه التوجيهات :

لقد كان رسول الله صلوات الله عليه وسلامه خاتمة سلسلة من الأنوار التي يرسلها الله إلى العالم بين الفينة والفينة لتهدى إلى الرشاد ، ولتقود إلى الله ولتسمو بالمؤمنين درجات في معارج القدس ، لتصل بالجديرين منهم إلى الكمال المرجو عن طريق الإرشاد الإلهي ، وكان الكتاب الذي أنزل عليه صلوات الله عليه وسلامه - وهو القرآن - خاتم الكتب وأكملها ومهيماً عليها .

ولأن رسول الله صلوات الله عليه وسلامه تخلَّق بأخلاق أكمل كتاب رباني ، فهو إذن أكمل رسل الله عليهم الصلاة والسلام ومن هنا كانت

إمامته صلوات الله عليه وسلامه بالرسول والأنبياء في بيت المقدس ، ولأنه صلوات الله عليه وسلامه أكمل رسول ، كان من أجل ذلك أقرب المقربين إلى الله سبحانه وتعالى .

لقد تخطى الأرضين والسموات ، وتجاوز الكون كله ، ووصل إلى عالم يصل إليه البشر ، بل إلى عالم يصل إليه جبريل نفسه عليه السلام ، لقد وصل صلوات الله وسلامه عليه إلى قاب قوسين أو أدنى . ولقد رأى من آيات ربه الكبرى ، هذا هو مقام الرسول صلوات الله وسلامه عليه .

المصدر الحقيقي للأخلاق:

وبعض الناس في العصر الحديث يريد أن يجعل للأخلاق مصادر أخرى .

يريد بعضهم أن يجعل أساس الأخلاق الضمير ، بيد أن ذلك خطأ بين فالضمير يربى ويكون ، وتربيته وتكوينه هما شكله ، ونزعه واتجاهه الذي يتكيف بحسب الثقافة والبيئة والعصر والوسط .

إن الضمير يُصنع كما تصنع المزيفات وهو إذاً مقياس للأخلاق خاطئ ، وبعض الناس يريد أن يرجع بالأخلاق إلى المصلحة العامة ولكن المصلحة العامة كلمة غير محددة ، وكل من يتحدث باسم المصلحة العامة إنما يتحدث باسم فكرته هو ، منحرفة كانت هذه الفكرة أو غير منحرفة ، والمصلحة العامة إذن كأساس للأخلاق ، إنما هي أساس غير مضمون .

وبعض الناس يريد أن يرجع بالأخلاق إلى المصلحة الشخصية أو اللذة

أو إلى المنفعة ، وكل هذا وارد الغرب الأوربي ، أو الغرب الأمريكى عندما انحرف هذا الغرب وألحد .

أما وارد الإسلام الإلهي فإن مقياس الأخلاق فيه إنما هو المبادئ الدينية ، إنما هو آيات القرآن ، وإنما هو الفضائل التي أوحاها الله سبحانه وتعالى ، هذه الفضائل التي حددها القرآن في أسلوب عربي مبين ، وتحدث عنها نبا الإسراء والمعراج في صور حقيقية دالة هادفة مؤثرة ، وبينتها السنة النبوية الشريفة ، وركزها القرآن والسنة على أسس من الإيمان قوية ثابتة ، إنها في رحلة الإسراء والمعراج تكون منهج حياة مؤسسة على الإيمان بالله ورسوله .

وإذا كانت التوجيهات السابقة إنما كانت لتدلنا على مقام رسول الله صلوات الله عليه وسلامه ، فنزداد بذلك تقديرًا وحبًا واتباعًا ، فإن من هدي الله سبحانه وتعالى وتوجيهاته في نبا الإسراء والمعراج ، هذه الصور الأخلاقية الحقيقية التي تربط ربطا محكما بين الدين والأخلاق .

والواقع أن الأخلاق في جو الإسلام مرتبطة بالدين ارتباطاً لا ينفصل ، منه تنبع ، وعلى أساسه تقوم ، وعنه تصدر ، إنها جزء من الدين الإسلامي لا يتجزأ ، مصدرها هو مصدره إلهي رباني^(١) .

(١) اهـ . بتصرف من كتاب الإسراء والمعراج لشيخ الإسلام الشيخ عبد الحليم محمود .

هَنِيئًا لِلْحَضْرَةِ الْمُحَمَّدِيَّةِ

يقول الإمام العارف بالله الحبيب علي بن محمد الحبشى فى مولده
«سمط الدرر» عن معجزة الإسراء والمعراج :

ومن الشرف الذى اختص الله به أشرف رسول ، معراجة إلى حضرة
الله البر الوصول ، وظهور آيات الله الباهرة فى ذلك المعراج ، وتشرف
السموات ومن فوقهن بإشراق نور ذلك السراج ، فقد عرج الحبيب ﷺ
ومعه الأمين جبريل ، إلى حضرة الملك الجليل ، مع التشريف والتبجيل ،
فما من سماء ولجها إلا وبادره أهلها بالترحيب والتكريم والتأهيل ، وكل
رسول مرّ عليه ، بشره بما عرفه من حقه عند الله وشريف منزلته لديه ، حتى
جاوز السبع الطباق ، ووصل إلى حضرة الإطلاق ، نازلته من الحضرة
الإلهية ، غوامر النفحات القُربىة ، وواجهته بالتحيات وأكرمته بجزيل
العطيات ، وأولته جميل الهبات ، ونادته بشريف التسليمات ، بعد أن أثنى
على تلك الحضرة بالتحيات المباركات الصلوات الطيبات ، فيالها من
نفحات غامرات ، وتجليات عاليات ، فى حضرات باهرات ، تشهد فيها
الذات للذات ، وتتلقى عواطف الرحمات ، وسوايغ الفيوضات بأيدي
الخضوع والإخبات .

رتب تسقط الأمانى حسرى دونها ما وراءهن وراء

عقل الحبيب ﷺ فى تلك الحضرة من سرها ماعقل ، واتصل من علمها

بما اتصل ، فأوحى إلى عبده ما أوحى ، ما كذب الفؤاد ما رأى ، فما هى إلا
منحة خصصت بها حضرة الامتنان ، هذا الإنسان ، وأولته من عواطفها
الرحيمة ما يعجز عن حمله الثقلان ، وتلك مواهب لا يجسر القلم على
شرح حقائقها ، ولا تستطيع الألسن أن تعرب عن خفي دقائقها ، خصصت
بها الحضرة الواسعة ، هذه العين الناظرة والأذن السامعة ، فلا يطمع طامع
فى الاطلاع على مستورها ، والإحاطة بشهود نورها ، فإنها حضرة جلّت
عن نظر الناظرين ، ورتبة عزت على غير سيد المرسلين ، فهنيئاً للحضرة
المحمدية ، ما واجهها من عطايا الحضرة الأحدية ، وبلوغها إلى هذا المقام
العظيم .

الإسراء والمعراج والعلوم الحديثة

وقد كتب فى ذلك معالى الأستاذ الباحث أخونا الدكتور محمد عبده
يمانى بحثاً نفيساً تحدث فيه عن معجزة الإسراء والمعراج على ضوء العلم
الحديث والتطورات الكبيرة فى مجال علوم الفيزياء والفضاء ، وتكلم عن
مسألة استغراب قريش من ذهابه ﷺ فى ليلة واحدة إلى بيت المقدس
ورجوعه ، كلاماً يقرب هذه الحقيقة من تصورات الذين يحبون قياس
الخوارق والمعجزات بالموازين العقلية المحسوسة ، محاولاً إقناعهم وردهم
إلى الصراط المستقيم ، وإزالة الشبهة عنهم على سبيل التنزل معهم ، فقال :
فلو كانت قريش فى عصرنا هذا ورأت السرعات المختلفة التىمكننا الله
سبحانه وتعالى منها ودلنا عليها وبدأنا باستعمالها ، كسرعة السيارات
والطائرات والصواريخ ، إلى غير ذلك من السرعات التى نعرفها اليوم ،
وكانت مجهولة عند قريش فى ذلك الوقت ، فهل كانوا يستغربون؟ إننا فى
هذا العصر نستطيع أن نذهب إلى بيت المقدس ونعود فى الليلة الواحدة أكثر
من مرة باستخدام أى وسيلة من وسائل النقل السريعة فى عصرنا هذا ، فلو
عاشت قريش فى هذا العصر الذى نحن فيه لما استغربت قصة الإسراء ،
ولأدركت أن فى علم الله عز وجل وفى قدرة الله عز وجل سرعات
يجهلونها كسرعة الصوت وسرعة الضوء ، وفى عصرنا الحاضر اليوم نعلم
سرعات كثيرة ، ولكننا مانزال نجهد الكثير من السرعات التى فى علم الله
عز وجل والتى لم نتوصل إليها ولم نستخدمها ، وإن كنا نعرف بعضها

كالتى ذكرتها .

ثم أشار إلى مسألة مهمة وهى التى أوقعت قريشاً فيما أوقعتهم فيه من التكذيب والإنكار ، وهى خطأ نظرهم فى نسبة هذا الحدث ، إذ نسبوه إلى النبى ﷺ فقالوا : يا محمد أنضرب أكباد الإبل شهراً وتقول بلغتها فى ليلة واحدة؟ فهذا سوء فهم وخطأ عظيم منهم حيث نسبوا الحدث إلى النبى ﷺ وإلى قدرته وإمكاناته ، مع أنه لم يدّع ولم يقل عليه الصلاة والسلام بأنه سرى إلى بيت المقدس أو أنه عرج إلى السماء بقدرته أو بتفكيره أو إمكاناته ، وإنما نسب الحدث إلى الله عز وجل مسبب الأسباب والقادر على كل شئ ، وجاء القرآن العظيم ليوضح هذه القصة فكانت آية الإسراء أعظم دليل على كلام رسول الله ﷺ فقد ابتدأت بكلمة «سبحان» وهى كلمة عظيمة افتتحت بها هذه السورة ونسبت كل قضية الإسراء والمعراج إلى الله عز وجل ، ولم تنسبه إلى رسول الله ﷺ ولم تربطه بقدرته أو بتدبيره ، وإنما كانت بتدبير العلي العظيم .

ثم قال : وإذا ما عدنا إلى قضية السرعات التى بدأنا نعرفها اليوم ونظرنا إلى قصة الإسراء والمعراج على ضوء العلم الحديث ، وكيف أن عالماً من علماء الفيزياء عالج قضية السرعات وعلاقتها بالزمن وهو العالم «إينشتاين» الذى رأى أنه كلما ازدادت السرعة نقص الزمن حتى إذا وصلنا إلى السرعة اللانهاية أصبح الزمن صفراً أو تلاشى الزمن كما قال . فإذاً السرعة تزداد والزمن يتناقص مع سرعة الزمن ، وهكذا إذا نظرنا إلى قصة

الإسراء وقصة المعراج نجد أن هنالك اليوم ما يقرب لنا المسألة وما يجعلنا نلمس جوانبها المادية التي كانت تخفى على قريش بسبب جهلها بوجود سرعات أخرى غير سرعات الإبل التي كانوا يعرفونها ، فجاء العلم الحديث ليكشف لنا أن هناك سرعات كبيرة وعظيمة استخدمنا بعضها ولمسنا البعض الآخر تفوق آلاف المرات من السرعات التي كانت متاحة لقريش في ذلك الوقت ، ثم إن العلم الحديث كشف لنا حقيقة تزايد السرعة ، وأنها قد تصل إلى أعظم بكثير من السرعات التي نعرفها اليوم ، بل إنها قد تصل إلى السرعة اللانهاية ، وعندها يصبح الزمن صفراً^(١).

(١) من مقال لمعالى الدكتور عن حادثة الإسراء والمعراج .

تأويل المعجزات

هل يمكن تفسير المعجزة على أساس النواميس^(١) الطبيعية . كما يقول بعض العلماء؟ .

يجيبنا على هذا السؤال صاحب^(٢) كتاب «قصة الإيمان» حيث يقول :
إن الأمور الغيبية التي ذكرها القرآن ، وذكرتها الكتب السماوية نوعان :

منها : أمور نظنها خارقة للנוاميس ، لأن سرها غائب عنا خفي علينا ، وقد يصل العلم يوماً لكشف النواميس التي وقعت تلك الأمور على أساسها .

ومنها : أمور خارقة للנוاميس حقاً ، وقد أجراها الله سبحانه وذكرها في الكتب المنزلة ، ليبين لنا قدرته على خرق النواميس التي أوجدها في الكون ، وهذه الخوارق هي التي يصح أن تسمى «معجزات» ويجب على المؤمن أن يصدق بها ويعتقد بأنها أمور خارقة للנוاميس ، وأنه ليس بالإمكان أن يتوصل العلم يوماً إلى كشف ناموس طبيعي يفسر وقوعها . بل أرى أنه لا ينبغي لنا أن نحاول تفسيرها على أساس النواميس الطبيعية ، لأنها لو لم تكن خرقاً للناموس لم تسم معجزة ، وإذا قلنا : إنها حصلت على أساس ناموس طبيعي أبطلنا الحكمة من ذكرها ، قاله تعالى إنما أجرى تلك المعجزة ليدلنا على أنه هو وحده الخالق للناموس القادر على خرقه ، فإذا

(١) جمع ناموس ، وهو النظام المؤلف والمعروف عادة .

(٢) هو الأستاذ الشيخ نديم الجسر .

كان باستطاعة الإنسان أن يأتي بمثل تلك المعجزة بقوة ناموسٍ طبيعي
يكشفه لا تكون معجزة ، ولا يكون لذكر الله لها في باب المعجزات حكمة
ولا معنى .

لذا أقول : إن من حاول ويحاول تفسير المعجزات الواردة في الكتب
السماوية على أساس نواميس طبيعية علمية ؛ كان على خطأ ، ولا ينفعه
قوله : إننا نريد تقريب المعجزات من العقول^(١) ، كي تفوز بإيمان رجال
العلم ، لأن هذا التقريب فضلاً عن كونه يستحيل علمياً ، فإنه بذاته مسخ
لمعنى المعجزة ، وعكس لحكمتها وحكمة ذكرها ، وهذا خطأ وقع فيه
بإخلاص كثير من علمائنا وعلماء النصارى ، ولا أزال أذكر أن بعض
علمائنا حاول أن يفسر ماورد في سورة الفيل عن الطير التي ترمي أصحاب
الفيل بحجارة من سجيل ، بأنها ميكروبات الجُدري ، أصابت أصحاب
الفيل فأبادتهم ، وحاول أن يفسر «الإسراء» وخلق البحر لموسى ، وخلق
عيسى على أساس النواميس الطبيعية ، وإذا استطاع تفسير الطير الأبايل
بميكروبات الجدري ، فبماذا يفسر عصا موسى التي انقلبت حية تسعى ؟ وإن
فسرها بالتنويم والاستهواء ، فبماذا يفسر انفلاق البحر لموسى بضربة عصاه؟
وإن فسره بالمد والجزر ، فبماذا يفسر خلق عيسى من غير أب ؟ ، وإن أخذ
بتفسير بعض السخفاء لهذا الحمل بأنه من طريق «التلقيح الذاتي» الذي
يمكن حصوله على زعمهم عند بعض الخناثي ، فبماذا يفسر تكلم عيسى
عليه السلام في المهد ؟ .

(١) مقصوده بتقريب المعجزة هو تأويلها بما يناسب العقول بدليل ما ذكره بعد ذلك من تفسير بعضهم
للطير الأبايل بالجدري وهذا بلا شك مردود ، أما التقريب بضرب الأمثال والأقيسة فهو محمود .

فالأصل : هو الإيمان بالله خالق الكون ، وخالق الطبائع والنواميس ، وبأنه سبحانه قادر على خرقها ؛ وفي هذا سر المعجزة .

ومن رسخ إيمانه بالله تعالى هان عليه أن يؤمن بكل معجزة ، أما أولئك الذين لا إيمان لهم فإنهم لا يفرقون بين المستحيل عادةً والمستحيل عقلاً ، وخرق النواميس ليس من المستحيلات العقلية ، ومادما نؤمن أن الله تعالى هو خالق الناموس ، فأهون شيء علينا أن نؤمن بأنه قادر على خرقه ، اهـ .

فتأويل المعجزات إذاً رمي الله تعالى بالعجز عن بيان المراد له سبحانه - معاذ الله - أو تكذيب له سبحانه أن يطلق شيئاً ويريد به غيره ، أو اتهام لله تعالى بالعجز وعدم القدرة على فعل ما يريد - سبحانه وتعالى وتقدس - .

حادثة الإسراء والمعراج والميزان العقلي

وحادثة الإسراء والمعراج ليست من الأفعال المألوفة المعتادة ، ولا هي قدرة البشر حتى تقاس على شبيبتها ، ولا تقارن قدرة بقدرة حيث لاوجه للمقارنة ولا قياس ، لكنها شارقة من الخوارق ومعجزة من المعجزات التي تخص البارئ بها نبيه ومصطفاه ، والإنسان مدرك ولكن لإدراكه حدود ، فكيف من يدرك بغير حدود ولا منتهى ، والإنسان مهما أُوتي من العلم ، فإنما ذلك قليل بالنسبة إلى علم الله .

وإن هناك فارقاً كبيراً بين عالم المادة المحسوسة وعالم ماوراء الطبيعة أو ماوراء المادة الذي خص الله سبحانه وتعالى ذاته به رفقاً بعقل الإنسان ، ولكنه جل شأنه شاء أن يقرب عالم الغيب إلينا بضرب المثل - وشتان بين المثل والحقيقة - تقريباً للأفهام ، مع أنه ليس في عالم اللغة والكلام إلا كل ماهو متعلق بعالم العقل والحواس ، وما الألفاظ المستعملة في عالم ماوراء الطبيعة أو ماوراء المادة كالذات الإلهية وذات الملائكة واللوح والقلم والجنة والنار والحياة الأخرى إلا للتقريب ، ولا يعلم تأويلها إلا الخالق جل وعلا .

ولكم جرب الناس كثيراً الاحتكام إلى العقل فأضلّهم ، وتصوّر معي إلى وقت غير بعيد كان يرمى بالجهل والكذب من يقول إن الأرض كروية وإنها من توابع الشمس ، وفي أيامنا هذه وقد خطا الإنسان بقدميه سطح

القمر ولا يزال بيننا من ينكر ذلك ويعدّه ضرباً من الخرافات والأوهام ،
يصل فى بعض الأحيان إلى درجة الاتهام بالكفر^(١) .

إنكار المعجزات الحسية :

وقد أنكر جلّ المعجزات الحسية بعض أولئك الذين تصدوا العرض
الإسلام والدفاع عنه وقيادة الجماهير إليه ، بقصد تقريب الإسلام إلى أذهان
الملاحدة ومن بهر بهم من قومهم ، وأولوا ما ثبت منها بالقرآن الكريم
وصحيح السنة بما يشبه الإنكار ، لأنهم سمعوا بعض الجاهلين يقولون : إن
المعجزات الحسية غير معقولة ولا ممكنة ، ومع أن أولئك العلماء يعلمون أن
المعجزات الحسية معقولة وممكنة ، وغاية ما فيها أنها مخالفة للعادة بدون
أسباب العادة ، إلا أنهم سايروهم ليكسبوهم .

إن المعجزة - كما مر معنا - هى الأمر الخارق للعادة يظهره الله تعالى
على يد مدعى النبوة تصديقاً له فى دعواه ، يظهره على يده دون أسباب
ومقدمات عادية مع ادعاء النبوة ، وإنسان اليوم قد استطاع أن يأتي بكثير من
خوارق العادات السابقة باتّخاذ الأسباب ، لقد استطاع أن يكلم أخاه
باللاسلكي ، وأحدهما فى أعالي الجو ، والآخر فى قاع البحر ، وبينهما
مئات الأميال ، واستطاع أن يرتفع إلى الفضاء الخارج عن جاذبية الأرض
ويبقى ثمة أياماً ، واستطاع أن يدخل النار بثياب البلاستيك ولا يحترق ،
واستطاع بإذن الله تعالى أن يشفى من بعض الأمراض المستعصية قديماً ،
واستطاع أن يجعل من الذرة الصغيرة سلاحاً يدمر به الشيء الكبير .

(١) انظر الرحلة الربانية للأستاذ محمد حسن عبد العزيز . مجلة منبر الإسلام عدد رجب ١٣٩٢ .

وجميع مايفعله الإنسان باتخاذ الأسباب العادية لايسمى معجزة ولا
كرامة ، لكن يسمى تقدماً علمياً واختراعاً جديداً . أما المعجزة فهي خاصة
بالرسل عليهم الصلاة والسلام ، وإطلاقها على غيرهم معصية وكذب .
ومن نظر إلى المعجزات الحسية الواردة فى القرآن الكريم والسنة المطهرة ،
لمس أنها معقولة ممكنة ، لكنها خلاف العادة التى اعتادها الناس فى اتخاذ
الأسباب .

أنكر بعض أولئك المتصدين لعرض الإسلام المعجزات الحسية
أو حَاوَلُوا تَأْوِيلَهَا بما يقارب إنكارها ، لأنهم سمعوا بعض الجاهلين
يقولون : إن الله تعالى قد نفى فى القرآن الكريم أنه تكون له صلى الله عليه
وآله وسلم معجزات ، ومع أنهم يعلمون أن القرآن الكريم مانفى ذلك
، لكن نفى أن تكون المعجزة من صنع الرسول ﷺ نفسه ، إلا أنهم
سايروا الجاهل ليكسبوهم .

إن أعظم شبه الجاهل فى هذا المجال قوله تعالى فى سورة الإسراء :
﴿ وَقَالُوا لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى تَفْجُرَ لَنَا مِنَ الْأَرْضِ يَنْبُوعًا . أَوْ تَكُونَ لَكَ جَنَّةٌ
مِنْ نَخِيلٍ وَعِنَبٍ فَتُفَجِّرَ الْأَنْهَارَ خِلَالَهَا تَفْجِيرًا . أَوْ تُسْقِطَ السَّمَاءَ كَمَا
زَعَمْتَ عَلَيْنَا كِسْفًا أَوْ تَأْتِي بَالِلًا وَالْمَلَائِكَةُ قَبِيلًا . أَوْ يَكُونَ لَكَ بَيْتٌ مِنْ
زَخْرَفٍ أَوْ تَرْقَى فِي السَّمَاءِ ، وَلَنْ نُؤْمِنَ لِرَقِيِّكَ حَتَّى تَنْزِلَ عَلَيْنَا كِتَابًا نَقْرُوهُ
قُلْ سُبْحَانَ رَبِّيَ هَلْ كُنْتُ إِلَّا بَشَرًا رَسُولًا ﴾ (١) .

(١) الإسراء : ٩٠ - ٩٣

مع أن الآية التالية تفسّر الآية السابقة كما تفسرها المعجزات الواقعة ، لكن في عقول البعض عماء ، قال الله تعالى في سورة الفرقان : ﴿ وَقَالُوا مَالِ هَذَا الرَّسُولِ يَأْكُلُ الطَّعَامَ وَيَمْشِي فِي الْأَسْوَاقِ لَوْلَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مَلَكٌ فَيَكُونُ مَعَهُ نَذِيرًا . أَوْ يُلْقَى إِلَيْهِ كَنزٌ أَوْ تَكُونُ لَهُ جَنَّةٌ يَأْكُلُ مِنْهَا وَقَالَ الظَّالِمُونَ إِنْ تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مُسْحُورًا . انْظُرْ كَيْفَ ضَرَبُوا لَكَ الْأَمْثَالَ فَضَلُّوا فَلَا يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلًا . تَبَارَكَ الَّذِي إِنْ شَاءَ جَعَلَ لَكَ خَيْرًا مِنْ ذَلِكَ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَيَجْعَلُ لَكَ قُصُورًا ، بَلْ كَذَّبُوا بِالسَّاعَةِ وَأَعْتَدْنَا لِمَنْ كَذَبَ بِالسَّاعَةِ سَعِيرًا ﴾ . . . إلى قوله تعالى ﴿ وَقَالَ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا لَوْلَا أُنْزِلَ عَلَيْنَا الْمَلَائِكَةُ أَوْ نَرَى رَبَّنَا لَقَدْ اسْتَكْبَرُوا فِي أَنْفُسِهِمْ وَعَتَوْا عُتْوًا كَبِيرًا . يَوْمَ يَرَوْنَ الْمَلَائِكَةَ لَا بُشْرَى يَوْمَئِذٍ لِلْمُجْرِمِينَ يَقُولُونَ حِجْرًا مَحْجُورًا ﴾ (١) .

أنكر بعض أولئك المتصدين لعرض الإسلام المعجزات الحسية أو تأولوها بما يشبه إنكارها ، لأنهم سمعوا بعض الجاهلين يقولون : إن المعجزات الحسية خروجٌ على سنن الله تعالى في الكون ، وذلك محال ، لأن الله تعالى هو الذي يقول : ﴿ فَلَنْ تَجِدَ لِسَنَةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا وَلَنْ تَجِدَ لِسَنَةِ اللَّهِ تَحْوِيلًا ﴾ (٢) . ومع أنهم يعلمون أن المقصود بسنن الله تعالى التي لا تتغير ، إنما هي سنته سبحانه في تأييد المرسلين وأتباعهم ، وخذلان المشركين والظالمين وأعوانهم ، لكنهم سايروهم ليكسبوا في سائر حقائق الإسلام .

(٢) فاطر : ٤٣

(١) الفرقان : ٧ - ٢٢

وإليك ما قاله بعض المفسرين فى قوله تعالى : ﴿ سنة من قد أرسلنا قبلك من رسلنا ، ولا تجد لسنة الله تبديلا ﴾ (١) وفى قوله : ﴿ فهل ينظرون إلا سنة الأولين فلن تجد لسنة الله تبديلا ولن تجد لسنة الله تحويلا ﴾ (٢) .

قال الآلوسى : ﴿ سنة من قد أرسلنا قبلك من رسلنا ﴾ وهى أن لا ندع أمة تستفز رسولها لتخرجه من بين ظهرانيها تلبث بعده إلا قليلا ، فالسنة لله عز وجل ، وأضيفت للرسل عليهم السلام لأنها سنت لأجلهم .

وقال ابن كثير : ﴿ سنة من قد أرسلنا . . . ﴾ قيل : نزلت فى كفار قريش لما همّوا بإخراج الرسول ﷺ من بين أظهرهم ، فتوعدّهم الله تعالى بهذه الآية ، وأنهم لو أخرجوه لما لبثوا بعده بمكة إلا يسيرا ، وكذلك وقع فإنه لم يكن بعد هجرته من بين أظهرهم بعد اشتداد أذاهم له إلا سنة ونصف حتى جمعهم الله وإياه ببدر على غير ميعاد ، فأمكنه منهم وسلطه عليهم وأظفره بهم ، فقتل أشرافهم وسبى ذراريهم ، ولهذا قال تعالى : ﴿ سنة من قد أرسلنا . . . ﴾ الآية . أى هكذا عادتنا فى الذين كفروا برسلنا وأذوهم بخروج الرسول من بين أظهرهم يأتيتهم العذاب ، ولولا أنه صلى الله عليه وآله وسلم رسول الرحمة ، لجاءهم من النقم فى الدنيا ما لا قبل لأخذه ، ولهذا قال تعالى : ﴿ وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم ﴾ (٣) .

قال الآلوسى : (فهل ينظرون إلا سنة الأولين . .) أى ما ينتظرون ، وهو مجاز بجعل ما يستقبل بمنزلة ما ينتظر ويتوقع .

(سنة الأولين) أى سنة الله فيهم بتعذيب مكذبيهم . (فلن تجد لسنة الله تبديلا) بأن يضع سبحانه غيرهم موضع العذاب . ﴿ ولن تجد لسنة الله تحويلا ﴾ بأن ينقل العذاب من المكذبين إلى غيرهم .

وقال ابن كثير : (فهل ينظرون إلا سنة الأولين) يعنى عقوبة الله لهم على تكذيبهم رسله ومخالفتهم أمره ، ﴿ ولن تجد لسنة الله تبديلا ﴾ أي لا تغير ولا تبدل ، بل هي جارية كذلك فى كل مكذب . ﴿ ولن تجد لسنة الله تحويلا ﴾ أى وإذا أراد الله بقوم سوءا فلا مرد له ، ولا يكشف ذلك عنهم ويحوله عنهم أحد .

لو أن إنساناً صعد إلى القمر ، ونزل على سطحه وانتقل إلى المريخ زائرا ، ثم نزل إلى الأرض بجناحين أثبتتهما فى يديه ، لما أنكر وقوع ذلك أشد الناس إنكاراً لمعجزات الرسول صلى الله عليه وآله وسلم الحسية ، وإذا قيل له فى ذلك ، أجب : إن الإنسان قد وصل إلى ماوصل بأسباب وآلات لكنكم تقولون : إن الرسول محمدا صلى الله عليه وآله وسلم عرج به إلى السموات فما فوقها دون اتخاذ أسباب وآلات معتادة !! .

كأنه لا يكفيه أن المعجزة هي فعل الله تعالى ذلك لرسوله أو يعجز الله تعالى أن يصنع دون الأسباب المعتادة لرسله الكرام عامة ولرسوله محمد صلى الله عليه وآله وسلم المكرم خاصة عجائب وخوارق ، وهو القادر على فعل مايريد ولا يعجزه شيء .

بلى ، إنه لقادر ، وقد فعل ذلك مرات ومرات .

إن قدرة الله تعالى مسلم بها عند المؤمنين ، فإذا صح الخبر الوارد بما
يدخل في دائرة قدرته تعالى ، لا يسع المؤمن إلا التصديق والقبول مع تمام
الرضا وانسراح الصدر به^(١) .

(١) انظر رسالة أخينا العلامة البهائية الأستاذ الشيخ وهبي سليمان «دفع شبه المعارضين على حقيقة
الإسراء والمعراج» وكذا الإسراء والمعراج للأستاذ محمد أنس المراد .

اختبار غير موفق

لما أخبر نبينا ﷺ قريشا بهذه الحادثة العجيبة الخارقة أخذوا يسألونه أسئلة كثيرة اختبارا وامتحانا لكنها لم تكن موفقة لافى نوعها ولا فى ثمرتها وماهى إلا لل حاجة فى الجدال وإلخاف فى السؤال وذاك بسؤالهم عن العير وعدتها وأحمالها . وعن صفات بيت المقدس ، دقيقها وجليلها ، وما تحمله تلك الأسئلة من روح التعنت والنية الخبيثة ، والقصد السيء الملح الذى استولى على أصحابه ، فدفعهم إلى الحملة والإسراف فى الأسئلة بطلب المعقول وغير المعقول ، وليس من بينهم رجل معتدل منصف ، يفرق بين سؤال طبيعى يقع موقعه وتحسن الإجابة عنه ، وسؤال آخر يجب أن يهمل ويرد فى وجه صاحبه .

يقول فضيلة الشيخ عبد الرحمن تاج شيخ الأزهر : إن تلك الأسئلة التى أجهد بها أصحابها أنفسهم لم تكن أسئلة إنصاف ومنطق عاقل ، يقصد بها تعرف الحقيقة والوقوف على مبلغ صدق الرسول ﷺ فيما أخبرهم به من أمر الإسراء ، وإنما كانت أسئلة عناد ومشغبة يراد بها إظهار الرسول ﷺ بمظهر العاجز عن إجابتهم إلى بعض ما سألوا ، ليكذبوه فيما أخبر به .

فهل فى منطق العقل والعدل يتوقف صدق الرسول ﷺ فيما أخبر به من الذهاب إلى بيت المقدس فى تلك الليلة ، على أن يعلم تفاصيل بيت المقدس وجميع صفاته وأحواله ، ويحيط بما احتواه المسجد الأقصى من

مشاهد ومعالم ويعلم أيضا على وجه التفصيل حال غيرهم وأحمالها وأقاربها وعددها وعدتها؟ .

إن النبي ﷺ فى ذهابه إلى بيت المقدس لم يكن همّه أن يدرس مبنى المسجد الأقصى دراسة هندسية تفصيلية ، ويحصى عدة مافيه من أبواب وعمد ونوافذ ، ويعرف مواقعها واتجاهاتها ومسافات ما بينها ، ولم يكن وهو فى طريقه إلى بيت المقدس أو فى عودته منه بسبيل أن يرصد غير قریش ، فيعرف عددها وعدد أصحابها ، ويقف على أحمالها وألوانها ، ويتبين منها الأورق والأصفر والأسود ، حتى يصح أن يسرفوا فى سؤاله عن ذلك كله فيكذبوه إذا لم يجب عنه أو عن بعضه .

إن هؤلاء المشركين - فى تظاهرهم عليه وحملتهم بأسئلة التعنت التى كانوا يوجهونها إليه - لم يكن ليردّهم شيء عن تكذيبه والتشنيع عليه والتشهير بموقفه ، إذا هو عجز أو توقف عن إجابتهم عن شيء مما سألوا ، وإن كان العجز فى مثل تلك الأسئلة حتماً وطبيعياً كما ضربنا له الأمثال . لكنّ الله العليّ القدير أراد أن لا يمكنهم إلى غايتهم من تلك الحملة ، وذلك التظاهر الفاجر ، فأدرك نبيه الصادق الأمين بما كبت به القوم ، وردّ به تعنتهم وتهكمهم إبلاساً فى نفوسهم ، واندحاراً فى قلوبهم ، وخزياً فى جباههم ، يطالع به بعضهم بعضاً ، كما كان يميل بعضهم إلى بعض أول الأمر بالسخرية والاستهزاء .

كشف الله لرسوله عن المواقع والمعالم ، لما التبس عليه بعض الشيء مما

سألوا عنه ، وجلّى له بيت المقدس ، حتى كان ينظر إليه أقرب من دار
عقيل ، فجعل ينعتهم لهم ، ويستملي إجاباته من مشاهداته ، يسددها طعنات
فى صدورهم ، وغما وكمدا فى أفئدتهم ، وأظهره الله عليهم ، والله
غالب على أمره وهو القوي العزيز (١) .

(١) اهـ . بتصرف من كتاب الإسراء والمعراج للشيخ عبد الرحمن تاج شيخ الأزهر .

الحكمة فى تأخير الإخبار بالمعراج

اقتصر النبى ﷺ على أمر الإسراء من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى حينما تحدث به إلى قريش عند الكعبة كما علمنا ، ولم يعرض عليه الصلاة والسلام فى ذلك الحديث لأمر المعراج وهو صعوده إلى السماء فى تلك الليلة التى كان فيها الإسراء ، والسرفى ذلك الاقتصار هو أن المعراج ما كان يمكن - فى أغلب الأمر - أن يصدق به رجل مشرك أو كافر لا يؤمن برسالة الرسول ، ولا يذعن لما يذعن له المؤمنون من أن الرسل معصومون من الكذب والافتراء ، فالتحدث إلى أولئك المشركين عن المعراج لا تكون له حيثئذ جدوى ولا يفيد أية فائدة ، بل قد يكون من نتائجه أن يزيدهم إلى كفرهم إمعاناً فى شركهم ، فإنه ليس لأمر المعراج شواهد ودلائل مادية يمكن أن يدلى بها إليهم ، ليثبت لهم حقيقة ما يقول ، سواء آمنوا بعد ذلك أم لجؤوا فى العناد والإباء ، كما كان فى أمر الإسراء .

لكن الرسول عليه الصلاة والسلام تحدث فى غير ذلك الموطن عن المعراج حدث به أصحابه المؤمنين وأخبرهم بما شاهده فى السموات من بديع الآيات ، وما تلقاه من الأمر الإلهى بفرض الصلوات الخمس اليومية .

هذا ، والقرآن الكريم قد اشتملت آيات منه فى سورة النجم على ما ثبت المعراج ، ذلك قوله تعالى فى الإخبار عن رؤية النبى ﷺ لسيد الملائكة جبريل عليه السلام ﴿ ولقد رآه نزلة أخرى ، عند سدرة المنتهى ، عندها جنة المأوى ، إذ يغشى السدرة ما يغشى ، مازاغ البصر وما طغى ، لقد رأى من

آيات ربه الكبرى ﴿(١)﴾ . ومعنى هذا - كما يقول أئمة التفسير - أن الرسول عليه الصلاة والسلام رأى جبريل مرة أخرى فى صورته الحقيقية الملكية فى السماء عند سدرة المنتهى ، بعد المرة الأولى التى رآه فيها على تلك الصورة ، وكانت رؤية عينية بصرية كما ينبىء بذلك قوله تعالى : ﴿ مازاغ البصر وماطغى ﴾ ﴿(٢)﴾ صدق الله العظيم ﴿(٣)﴾ .

(١) النجم : ١٣ - ١٨

(٢) النجم : ١٧

(٣) الإسراء والمعراج للشيخ الإمام عبد الرحمن تاج شيخ الأزهر (مطبعة الأزهر) .

الخاتمة

الإسراء والمعراج
في ميزان الشعر

رتب ما وراء هن وراء

قال الامام أبو عبد الله محمد البوصيرى فى " الهمزية الغراء " المعروفة
عن الإسراء والمعراج :

تُطَوَّى الْأَرْضُ سَائِرًا وَالسَّمَوَا	تُطَوَّى الْأَرْضُ سَائِرًا وَالسَّمَوَا
فَصْفُ اللَّيْلَةِ الَّتِي كَانَ لِلْمَخْتَبَا	فَصْفُ اللَّيْلَةِ الَّتِي كَانَ لِلْمَخْتَبَا
وَتَرْقَى بِهِ إِلَى قَابِ قَوْسَيْنِ	وَتَرْقَى بِهِ إِلَى قَابِ قَوْسَيْنِ
رُتِبَتْ تَسْقُطُ الْأَمَانِي حَسْرَى	رُتِبَتْ تَسْقُطُ الْأَمَانِي حَسْرَى
ثُمَّ وَافَى يَحْدُثُ النَّاسُ شُكْرًا	ثُمَّ وَافَى يَحْدُثُ النَّاسُ شُكْرًا
وَتُحْدَى فَارْتَابَ كُلُّ مَرِيبٍ	وَتُحْدَى فَارْتَابَ كُلُّ مَرِيبٍ
وَهُوَ يَدْعُو إِلَى الْإِلَهِ وَإِنْ شَقَّ عَلَيْهِ كَفَرُ بِهِ وَازْدَرَأُ	وَهُوَ يَدْعُو إِلَى الْإِلَهِ وَإِنْ شَقَّ عَلَيْهِ كَفَرُ بِهِ وَازْدَرَأُ
وَيَدُلُّ الْوَرَى عَلَى اللَّهِ بِالتَّوَوُّ	وَيَدُلُّ الْوَرَى عَلَى اللَّهِ بِالتَّوَوُّ
فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لَأَنْتَ	فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لَأَنْتَ
وَاسْتَجَابَتْ لَهُ بِنَصْرٍ وَفَتْحٍ	وَاسْتَجَابَتْ لَهُ بِنَصْرٍ وَفَتْحٍ
وَأَطَاعَتْ لِأَمْرِهِ الْعَرَبُ الْعَرُ	وَأَطَاعَتْ لِأَمْرِهِ الْعَرَبُ الْعَرُ
تُطَوَّى الْأَرْضُ سَائِرًا وَالسَّمَوَا	تُطَوَّى الْأَرْضُ سَائِرًا وَالسَّمَوَا
فَصْفُ اللَّيْلَةِ الَّتِي كَانَ لِلْمَخْتَبَا	فَصْفُ اللَّيْلَةِ الَّتِي كَانَ لِلْمَخْتَبَا
وَتَرْقَى بِهِ إِلَى قَابِ قَوْسَيْنِ	وَتَرْقَى بِهِ إِلَى قَابِ قَوْسَيْنِ
رُتِبَتْ تَسْقُطُ الْأَمَانِي حَسْرَى	رُتِبَتْ تَسْقُطُ الْأَمَانِي حَسْرَى
ثُمَّ وَافَى يَحْدُثُ النَّاسُ شُكْرًا	ثُمَّ وَافَى يَحْدُثُ النَّاسُ شُكْرًا
وَتُحْدَى فَارْتَابَ كُلُّ مَرِيبٍ	وَتُحْدَى فَارْتَابَ كُلُّ مَرِيبٍ
وَهُوَ يَدْعُو إِلَى الْإِلَهِ وَإِنْ شَقَّ عَلَيْهِ كَفَرُ بِهِ وَازْدَرَأُ	وَهُوَ يَدْعُو إِلَى الْإِلَهِ وَإِنْ شَقَّ عَلَيْهِ كَفَرُ بِهِ وَازْدَرَأُ
وَيَدُلُّ الْوَرَى عَلَى اللَّهِ بِالتَّوَوُّ	وَيَدُلُّ الْوَرَى عَلَى اللَّهِ بِالتَّوَوُّ
فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لَأَنْتَ	فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لَأَنْتَ
وَاسْتَجَابَتْ لَهُ بِنَصْرٍ وَفَتْحٍ	وَاسْتَجَابَتْ لَهُ بِنَصْرٍ وَفَتْحٍ
وَأَطَاعَتْ لِأَمْرِهِ الْعَرَبُ الْعَرُ	وَأَطَاعَتْ لِأَمْرِهِ الْعَرَبُ الْعَرُ

الإمام البرعى والإسراء والمعراج

للشيخ عبد الرحيم البرعى قصائد عظيمة فى مدح الرسول ﷺ ، وقد ذكر فيها جملةً كبيرة من المعجزات النبوية ، ومنها الإسراء والمعراج ، وسنقتصر على بعض منها هنا :

قال رحمه الله فى قصيدة له :

إلى القدس والروح الأمين سميرُ
ولكنَّ بعد السبع أين يصيرُ
من النور للهادى البشيرُ يشيرُ
وشرفه بالقرب وهو جديرُ
على كلِّ شئٍ فى رضاك قديرُ

وأنَّ رسولَ الله من مكة سرى
فجازَ السماءَ السبع فى بعض ليلة
فلاحَ له من رفرفِ النور لأئحُ
حبيبٌ تملئُ بالحبیبِ فخصَّه
وقالَ له : سلنى رضاك فإننى

ويقول فى قصيدة أخرى له :

أقصى على ظهرِ البراق المنجبِ
بخطابِ أهلاً بالحبیبِ ومرحبِ
لَعْنَاةٍ سَبَقَتْ وَحَقَّ مَوْجِبِ
منصوبةٌ فالفعلُ فعلُ تعجبِ
والمجتبى يغشاه نورُ المُجتبى
مانازلُ بجنابنا كالأجنبى
تُسمعُ غداةَ الحشرِ وادُنْ تُقربُ
بشفاعةٍ لخلاصِ كلِّ معذبِ

يامن سرى من مكة للمسجدِ الـ
يامن تلقَّته ملائكة السَّما
يامن تناهى فوق سِدرة منتهى
إن كان رايتك الرفيعة فى العلى
الحجبُ تُرفعُ والجهاتُ أنيسةُ
ولسانُ حالِ الوصفِ يهتفُ قائلًا
سلْ يا محمدَ تعطِ وادعُ تُجبْ وقلْ
ولك الوسيلةُ والفضيلةُ فافتخرْ

والرسلُ تحتَ لواءِ عزِّكَ في مَقَا مِ الْحَمْدِ ذِي الْخَوْضِ الْهَنْيءِ الْمَشْرَبِ

ويقول الإمام البرعى في قصيدة أخرى له أيضاً :

سَارَتْ مِنَ الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى رِكَائِبُهُ يَزُفُهُ مُسْرَجُ الْإِسْرَاءِ وَمُلْجَمُهُ
وَالْحَقُّ سَبْحَانَهُ فِي عِزِّ عِزَّتِهِ مِنْ قَابِ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى يَكْلَمُهُ
فَكَمْ هُنَالِكَ مِنْ فَخْرٍ وَمِنْ شَرَفٍ لِمَنْ شَدِيدُ الْقُوَى وَحَيًّا يَعْلَمُهُ

ويقول الإمام البرعى في قصيدة أخرى له أيضاً :

كَفَتْهُ كَرَامَةُ الْمِعْرَاجِ فَضْلًا بِهَِا فِي الْقُرْبِ سَادَ الْأَنْبِيَاءِ
سَرَى مِنْ مَكَّةَ بِبُرَاقِ عِزِّ لِأَقْصَى مَسْجِدٍ وَعَلَا السَّمَاءِ
فَسُرَّ بِهِ الْمَلَائِكَةُ ابْتِهَاجًا وَصَلَّى خَلْفَهُ الرُّسُلُ اقْتِدَاءِ
وَكَلَّمَ رَبَّهُ مِنْ قَابِ قَوْسَيْنِ وَالْهَمَّ فِي تَحِيَّتِهِ الثَّنَاءِ

قد بايعوك على صدق المتابعة

يقول العلامة المرشد المجدد الداعي إلى الله السيد محمد ماضى أبو

العزائم فى قصيدة له :

ليلاً لَتَحْظَى حبيبي بالمواجهة
لأن ذاتك خُصَّتْ بالمؤانسة
والذاتُ والروحُ فى رتبِ المواصلة
مادونه وقفت ذات الملائكة
ليطمئن بمعنى فى المشابهة
والرسلُ بُغيتهم نيلُ المشاهدة
قد بايعوك على صدق المتابعة
بالله حتى بدا نور المفاضلة
فخر وسرهمو قبل المعاهدة
كشفاً مُشيراً إلى حُسن المعاملة
من الجمال تحلّت بالمناسبة
أبواب كلِّ سماء للمنافسة
سر الظهور بلا قيّد الملاءمة
فضلاً تدلّى بأنوار موالية
ثم انمحي البين أو أدنى مشافهة
وكل آياته حال الملائقة

أُسْرَى بك الله من بيت المنازكة
على البراق لكشف السر عن نسب
بالروح أسرى بكل الرسل قاطبة
فذاثك النور نالت من لطافتها
وافى البراق لأسباب بها حكم
حتى وصلت لبیت القدس منفرداً
صفوا ورائك إذ أنت الإمام لهم
صليت متجهاً لله معتصماً
أبوهمو أنت ياسر الوجود ولا
شهدت بالمظهر الكونى آيته
ثم ارتقيت على المعراج فى حلل
والروح أمك يامولاي مفتتحاً
وأشرق النور من غيب البُطون على
كان الخطاب سلاماً والسلام له
دنا المراد لقابى قوس منزلة
قد جاوز العقل والمعقول منزلة

رَأَى التَّجَلَّى رَأَى الْأَسْمَاءَ ظَاهِرَةً
يَا رَبِّ صَلِّ عَلَى نُورِ الْقُلُوبِ وَمَنْ
وَقَالَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ :

رَأَى الْمَعَانِيَ بَغِيبٍ فِي الْمُقَابَلَةِ
أَسْرَى بِهِ اللَّهُ لَيْلاً لِلْمُؤَانَسَةِ

وَأَفَى لِحَضْرَتِهِ الْبَرَّاقُ مَلَجَمًا
نَادَاهُ قُمْ لِلْقُرْبِ وَانْهَضْ لِلْقَا
الْمُلْكِ وَالْمَلَكُوتِ زَيْنًا بِالصَّفَا
بَادِرُ لِحَضْرَةِ قُدْسِهِ وَجَمَالِهِ

وَأَتَاهُ جَبْرِيلُ الْأَمِينُ مُسَلِّمًا
فَاللَّهُ قَدْ صَلَّى عَلَيْكَ وَسَلَّمَا
لِمَقَامِكَ السَّامِيِّ الرَّفِيعِ تَكْرُمًا
وَتَمَلَّ يَا طَهَ بَرُؤِيَّةَ مَنْ سَمَا

الضيف الكريم

ذكر العلامة السيد يوسف بن إسماعيل النبهاني في ألفيته العظيمة طيبة
الغراء خلاصة موجزة للإسراء والمعراج في فصلٍ خاصٍّ ، فقال :

رُسِّلَ اللهُ هُمْ هُدَاةَ الْبَرَايَا	وَلِكُلِّ مَحَجَّةٍ بِيَضَاءُ
خَصَّ مِنْهُمْ مُحَمَّدًا بِالْمَزَايَا	غُرَّ مِنْهَا الْمَعْرَاجُ وَالْإِسْرَاءُ
أَرْسَلَ الرُّوحَ بِالْبَرَقِ كَمَا	تَفَعَّلَهُ لِلْكَرَامَةِ الْكُرْمَاءُ
فَعَلَاهُ الْبَدْرُ التَّمَامُ أَبُو الْقَا	سَمَ لَيْلًا فَضَاءَ مِنْهُ الْفَضَاءُ
رَاحَ يَهْوِي بِهِ وَحَدُّ انْتِهَاءِ الدُّ	طَرَفٍ مِنْهُ إِلَى خُطَاهِ انْتِهَاءِ
مَرَّ فِي طَيْبَةٍ وَمُوسَى وَعِيسَى	وَلَقَدْ شُرِفَتْ بِهِ إِيْلِيَاءُ
ثُمَّ صَلَّى بِالْأَنْبِيَاءِ إِمَامًا	وَبِهِ شَرَفَ الْجَمِيعِ اقْتِدَاءُ
وَمَضَى سَارِيًّا إِلَى الْعَالَمِ الْعُدَّ	هَوِيَّ حَيْثُ الْعِلَا وَحَيْثُ الْعِلَاءُ
سَبَقَتْهُ إِلَى السَّمَوَاتِ كَيْمَا	ثُمَّ تَجَرَّى اسْتِقْبَالَهُ الْأَنْبِيَاءُ
فَعَلَا فَوْقَهَا كَشَمْسٍ نَهَارَ	أُطْلِعَتْهُ بَعْدَ السَّمَاءِ سَمَاءُ
رَحَّبَ الرُّسْلُ بِالْحَبِيبِ وَكُلُّ	فِيهِ إِمَّا أَبْوَّةٌ أَوْ إِخَاءُ
وَجَمِيعِ الْأَفْلَاقِ مَعَ مَا حَوَتْهُ	قَدْ تَبَاهَتْ وَزَادَ فِيهَا الْبَهَاءُ
وَالسَّفِيرُ الْأَمِينُ خَيْرُ رَفِيقٍ	لَمْ يُقَارَقْ مَا مِثْلُهُ سُفْرَاءُ
وَكَدَى السِّدْرَةَ الْجَوَازَ عَلَيْهِ	صَارَ حَظْرًا فَكَانَ ثَمَّ انْتِهَاءُ
فَدَعَاهُ النَّبِيُّ حِينَ عَلَا السِّدْرُ	رَّةٌ نُورٌ مِنْهُ عَلِيَّهَا غَشَاءُ
هَهْنَا يَتْرَكَ الْخَلِيلُ خَلِيلًا	أَيْنَ ذَاكَ الصَّفَاءُ أَيْنَ الْوَفَاءُ

قال عذراً فلن أجاوز حدي
 وبه زج في البهاء وفي النور
 ورأى الله لا بكيف وحصص
 فوق فوق وتحت تحت لديه
 إنما خصص الحبيب بسر
 وعليه صب الكمال وزال ال
 وسقاه بحور علم فعلم الخد
 وحباه أنواع كل صفاء
 لاني لا رسول ولا جيب
 ثم عاد الضيف الكريم إلى الأه
 عاد قبل الصباح فارتاب في مكة
 أعظموا الأمر وهو فعل عظيم
 جل قدراً في الكائنات لديه
 لو أراد القدير كان يلحظ

لو تقدمت حل في الفناء
 ر إلى حيث كل خلق وراء
 لا مكان يحويه لا أناء
 قبل قبل وبعد بعد سواء
 لسواه ما زال عنه الخفاء
 كيف والكم حين زاد الحباء
 ق منها كالرشح وهو الإناء
 نفحة منه ماحوى الأصفاء
 ريل يدرى العطاء جل العطاء
 ل وتمت من ربه النعماء
 مكة قوم من قوم بلقاء
 لم تشابه صفاته العظماء
 حكمها ذرة حواها الفضاء
 كل هذا ولم يكن إسراء

الإسراء والمعراج عند الخطيب

يقول العلامة العارف بالله والداعى إلى الله شاعر المصطفى ﷺ

شيخنا الشيخ محمد خليل الخطيب فى روضاته عن الإسراء والمعراج :

سبحان من أسرى به من مكة	ليلا إلى الأقصى الحرام العاد
فوق البراق وكان من رفقاءه	جبريل خير ملائك الجواد
ورأى العجائب فى الطريق كثيرة	تسمو على الأوصاف والتعداد
وهناك أمّ الانبياء إمامهم	أعظم بمن يتلو ، ونعم البناد
لا بدع أن جمعوا وأن صلّوا فهم	أحياء رغم معاند ومعاد
يامنكراً إسراءه مستبعداً	بعدا لمبعد غير ذى استبعاد
والله لو عاشرت من أرواحهم	غلبت لقلت : الأمر أمر عاد
يا أيها المسرى به فوق العلا	أنت المعبد لمثل ذاك الواد
إن كان هذا الأفق مظهر شمس	فالعرش مطلعّه عليه باد
ياذا المعارج قد عرجت إلى العلا	بمحمد رب العلا الصعاد
ليزيدهن قداسةً ، ويزيد من	لُقياك تقديساً ، وجم أياد
مستقبلا فى كلهن بخيرة	البشر أجمعه عليهم باد
إنى لأوقن أن أعظم عيدها	لما بها خطر النبي الهاد
ولقد سموت إلى أعالي سدر	هى متهى الإصدار والإيراد
من فضله غشيت بما غشيت به	لله مافى غصنها المياد

ولمستوى فيه سمعت كتابة
فسألت عنه ، فقل : جم ذكره
لم يستسب لوالديه حياته
وتأخر الملك الأمين فقلت يا
فأجاب ذا حدى ولو جاوزته
تباً لمنكر أن أعظم خلقه
ورأى إله الخلق جل جلاله
لو يعلمون الروح ما أسرارها
علموا بأن الجسم يشبه ريشة
ورأيت غائب نور عرش الهاد
ولبيت مولاه عظيم وداد
ما أعظم الأبرار فى الأولاد
جبريل تتركنى ، وأنسك باد
أصبحت بالأنوار كوم رماد
أسرى ، وجاب السبع بالصعاد
والعين ما زاغت صحيح فؤاد
ما حكمها فى عالم الأجساد
والروح ربحا جمعا فى واد

لما خَظَرَتْ به التَّقْوَا بسيدهم

ويقول أمير الشعراء أحمد شوقي في "نهج البردة" عن هذه المعجزة :

أسرى بك الله ليلاً إذ ملائكه	والرسل في المسجد الأقصى على قدم
لما خَظَرَتْ به التَّقْوَا بسيدهم	كالشَّهْبِ بالبدر أو كالجند بالعلم
صَلَّى وراءك منهم كل ذي خطر	وَمَنْ يَفُزْ بِحَبِيبِ اللَّهِ يَأْتِم
جُبَّتِ السَّمَوَاتُ أو مافوقهن بهم	على منورة درية اللُّجَم
ركوبة لك من عز ومن شرف	لا في الجياد ولا في الأيتق الرُّسَم
مشيئة الخالق البارئ وصنعتة	وقدرة الله فوق الشك والتهم
حتى بلغت سماء لا يُطارُ لها	على جناح ولا يُسعى على قدم
خَطَطَتْ للدين والدنيا علومهما	ياقارئ اللوح بل يا لأمس القلم
أحطتَ بينهما بالسِّرِّ وانكشفت	لك الخزائن من علم ومن حكم
وضاعف القرب ما قُلِّدْتَ من مَن	بلا عدادٍ وما طُوِّقَتْ من نَعَم

ويقول شوقي رحمه الله أيضا في قصيدته التي عارض فيها الإمام

البوصيري هذه الأبيات الجميلة :

يَتَسَاءَلُونَ وَأَنْتَ أَطْهَرُ هَيْكَلٍ	بالروح أم بالهيكل الإسراء
بهما سموت مطهراً وكلاهما	نورٌ وروحانيةٌ وبهاء
فضلٌ عليك لذي الجلال ومِنَّةٌ	والله يفعل ما يرى ويشاء
تغشى الغيوب من العوالم كلما	طويت سماءٌ قلَّدتك سماء

فى كلِّ منطقة جِواشَى نورُها نونٌ وأنتِ النُقطةُ الزهراء
أنتَ الجمالُ بها وأنتَ المُجتلى والكفُّ والمرأةُ والحسَناء
اللهِ هَيَّا من حَظيرةِ قُدسِهِ نزلاً لذاتك لم يجره عِلاء

كشف الغمة فى معراج سيد الأمة

يقول الأديب الكبير الأستاذ محمود سامى البارودى فى قصيدته

العظيمة التى عارض بها البردة :

ليلا إلى المسجد الأقصى بلا أتم
فأمهم ثم صلى خاشعا بهم
به إلى مشهد فى العز لم يرم
قدراً يجلّ عن التشبيه فى العظم
إلى مدارج أعيت كل معتزم
ليست إذا قرنت بالوصف كالكلم
ونعمة لم تكن فى الدهر كالنعم
قرباه منه وقد ناجاه من أم
مالم ينله من التكريم ذونسهم
بحسنها كزهور النار فى العلم
عباده وهداهم واضح اللقم

وحبذا ليلة الإسراء حين سرى
رأى به من كرام الرسل طائفة
بل حبذا نهضة المعراج حين سما
سما إلى القلک الأعلى فنال به
وسار فى سُبُحات النور مرتقياً
وفاز بالجوهر المكنون من كلم
سرّ تحار به الأبواب قاصرة
هيهات يبلغ فهمٌ كنه ما بلغت
فيالها وصلة نال الحبيب بها
فاقت جميع الليالى فهى زاهرة
هذا وقد فرض الله الصلاة على

طافت مواكبه بكل سماء

قال شيخنا الإمام العارف بالله سيدى السيد محمد أمين كتبى الحسنى
فى قصيدة له طويلة ، تقتصر منها على ما يتعلق بالإسراء والمعراج :

طافَتْ مواكبهُ بكل سماء	فى ليلة المعراج والإسراء
واستقبلته بها الملائكُ فرحةً	وتزيّنت أرجاؤها بسناء
والله أكرمَه برؤية وجهه	وكلامه وإمامة السفراء
ماليلة الإسراء إلا غرة	فى جبهة الإصباح والإمساء
فلقد رأى فيها من الآيات ما	تسمو مداركه على الفُطاء
فالعرش والكرسي من آياتها	واللوح والأفلاك باستقصاء
ياليلة الإسراء ماذا كان فى	مَسْرَاك من فيض ومن إعطاء
فالمسلمون تزيّنت أعيادهم	بالمصطفى وبنورك الوضّاء
فإذا قرّنت اسمَ النبي بليلة	شعّت جوانبها من اللألاء
والذكريات هى التى بقيت لنا	تروى صدأ الأشواق فى الأحشاء
والذكريات هى التى بعثت لنا	حُبَّ النبي يدبّ فى الأعضاء
تُتلى شمائله فتزداد النهى	علماً برفعة ذاته الشّماء
هيّئات لا ينسى النبي ولا اسمه	إلا إذا نسي الورى اسمَ الماء
اسمٌ يردّده الأذان مكرراً	فى كل صبحٍ طالعٍ ومساء
اسم يرتله كتابُ الله ما	عكفت عليه طوائفُ القراء
فالله شرفه وعظم قدره	وأمدّه بصيانة وبقاء

إِذْ كَانَ قَابِي قَوْسٍ أَوْ أَدْنَى كَمَا
 رَفَعَ الْحِجَابَ فَلَا حِجَابَ وَإِنَّمَا
 كُشِفَ الْحِجَابَ فَلَا حِجَابَ وَعِنْدَ ذَا
 أَنِّي التَّفْتُ رَأَيْتُ نُورًا سَارِيًّا
 وَرَأَيْتُ نُورَ اسْمِ الْجَلَالَةِ وَاسْمِهِ
 وَرَأَيْتُ فِيهِ مَظَاهِرًا مِنْ رَبِّهِ
 شَرَفٌ أَنَافَ عَلَى الذَّرَى وَغَدَتْ بِهِ
 يَرْضَى وَذَلِكَ مِنْتَهُى الْإِدْنَاءِ
 رَفَعَ الْحِجَابَ نَهَايَةَ الْإِرْضَاءِ
 كَانَتْ مَشَافَهَةً وَرُؤْيَا رَائِي
 مِنْ نُورِهِ فِي سَائِرِ الْأَجْزَاءِ
 مِنْ حَيْثُ تَنْظُرُ فِي إِطَارِ بَهَاءِ
 شَتَّى مِنَ الْأَوْصَافِ وَالْأَسْمَاءِ
 أَمْ الْقَرَى تَزْهُو عَلَى الْجُوزَاءِ

قد تجلى لك الإله

ويقول سيدى محمد أمين كتبى الحسنى من قصيدة أخرى له أيضا :

يا جميل الصفات يا كامل الذات	ويا مظهر الوجود الجلياً
قد تجلى لك الإله فناداً	ك وأدناك ثم حياً وبياً
فرأيت الإله فى ليلة القُرْ	ب وشافهته وكنت حرياً
وخصوصية المهيمن حلت	منك يا أهلها محلاً زكياً
ورأيت الآيات فيها وشاهد	ت من الغيب كنزه المخفياً
حيث أشرقت فى العلاء وتربّع	ت على الأفق كوكباً درياً
ومددت الأكوان شرقاً وغرباً	مدداً فى كيانها كلياً
ونشرت التوفيق حتى أطاع	الله من كان فى الضلال عصياً
لم يقصّر عنك المحامد من خصك	بالحمد والثناء صبياً
جمع الله فيك كل كمال	وجمال فكنت برأرضياً
منطقاً جامعاً ورأياً أصيلاً	وقضاء عدلاً وقلباً ذكياً
أنت أهل لها وأحق النّا	س بالمدح سيداً قرشياً

ناجيت ربك

ويقول سيدى السيد محمد أمين كتبى الحسنى أيضا من قصيدة له أخرى :

ياسيدا للمرسلين ورحمة	للعالمين وغنية لمن اغتنى
ناجيت ربك قائما فى المستوى	وأجزت جانب طور موسى الأيمنا
وأيتت بالصلوات خمسا بعدما	خففتها جدا فكانت أضمننا
ورأيت ربك رؤية لا يمتري	فيها كما روت الثقات مُعنعنا
وأحاطك المولى بنور بهائه	فحمى فؤادك أن يزيغ وحصنا
جمعت فخارك خطبة ألقيتها	فى الرسل فى البيت المقدس مؤهنا
لما رأى جبريل قوة وقعها	نادى بفضلك فى الجميع وأدنا
الله أكبر ذاك فضل محمد	فى المرسلين أجل من أن يعلننا
طوبى لنا بك يا ابن أكرم حرة	طوبى لنا بشرى لنا ولنا الهنا
ونعت شكل المسجد الأقصى كما	طلبوا فكانت على العقول مهيمنا
وخصائص لك إن يرمها شاعر	أملت عليه نظامها فتفتنا

فاز النبي برؤية وكلام

ويقول سيدى السيد محمد أمين كتبى الحسنى من قصيدة له أخرى أيضا :

ياليلة الإسراء نال نبينا	فيك الإمامة وهو خير إمام
صلّى بجمع الأنبياء وقام فى	محراب مسجدهم أجل قيام
ياليلة المعراج حسبك رفعة	نور يضى لكشف كل ظلام
ياليلة فى جُنحها وسكونها	فاز النبي برؤية وكلام

أشرق المعراج

ويقول شيخنا السيد محمد أمين كتبي الحسنی أيضا من قصيدة أخرى له

هَلُمَّ نَقُلْ فِي الْمِصْطَفَى وَنُحَيِّهِ	بأحسن مَا حيَّ الكبيرَ صغيرُ
فقد أشرق المعراجُ وامتدَّ نوره	ففي كلِّ جزءٍ في البسيطة نورُ
وكلُّ لَمْ نُؤدِّ الفرضَ منه تحية	لأداه يومُ بالحبيبِ فخُورُ
ولو كانت الأحداثُ تمضي سريعة	فتخفى وهذا واضحٌ وخطيرُ
ورؤية رب العرش أكبرُ حادث	وأشرقهُ مرَّت عليه دُهورُ
وتكليمه للمصطفى خيرُ نعمة	عليه روتها للأنام عُصورُ
وقد كان في البيت المقدس مفرداً	لَهُ في ذرَاهِ منبرٌ وسريرُ
وحسبك أن الأنبياء اقتدوا به	وجبريل معه صاحبٌ وسميرُ
فما المستوى من قاب قوسين غاية	ولكنَّ أو أدنى إليك تشيرُ

آيات الهدار

يقول العلامة الداعي إلى الله الحبيب عبد الله بن أحمد الهدار في «نسج البردة» :

لقد سریت من البيت الحرام إلى الـ	مُقدَّس المَبارک في وقت من الغسم
هناك ألفتِ رسلَ الله واقفة	فجئتهم قادمةً في مظهرِ فخم
وقد تقدّمت للمحراب فانتظمت	صفوفهم مثل درّبانٍ منتظم
صلّوا وراءك والأفراحُ تغمرهم	لأن نورهم من نورك التمام
قد ارتقيت إلى السبع الطباق على	ظهر البراق سريع الخطو والرسم
ما زاغ قلبك يا ثبت الجنان لدى	تكليم ربك ذي الإفضال والكرم
رأيت آياته الكبرى التي بهرت	عينك أعطاك فضلاً غير مقتسم

عرس الزمان

ومن غرر القصائد النبوية والمدائح المحمدية هذه القصيدة السنية
لفضيلة الأستاذ الأديب الكبير السيد الشيخ محمد بدر الدين المصري ،
بعنوان : «عرس الزمان» :

هذا اللواءُ وهذا اللوحُ والقلمُ
جبريلُ يسعى على الآثارِ تَبَعُهُ
أما النبيُّون والأخيارُ كُلُّهُمْ
هذا الثرى قُدُسٌ لما خطرت به
الخِـدْ أولى به لو أنهم عَلِمُوا
والليل لما سجا قد كان يسمع ما
والأفق كانت له أقدامكم أَفْقًا
والصخرة البرةُ العصماءُ يجذبها
والأرض تخشى القلى فتبيت ضارعةً
يا للسماء على أبوابها زُمرٌ
وكل صاحب أمر من ملائكة
عُرسُ الزمان ويوم العرب ماعرفوا
بصيرة حُمِلَتْ فوق الذى صَعَقَتْ
وهمة لم تَجِدْ فى الأرض غايتها
وآية من شؤون الغيب مابرحت
يا قدرة الله والإبداعُ آيتها

فاحكم بما ترتضى لا ينقض الكلمُ
من الملائك آلافُ همُ الخِـدْمُ
وراء ركبك فالأتباع والحشمُ
لو أنصف الناس لم يخطر به قدم
والرأس أولى به لو أنهم فهموا
تدعوه ويصيح القاع والأكم
والنجم لما هوى قد كان يستلم
شوق فتوشك للآفاق تقتحم
والعرس يرجو اللقا فيبيت يتسم
والنجم من حولها كالجند ينتظم
قد جاء يسأل ماترضى فيلتزم
من قبله أن هذا الأفق يُقتحم
منه الجبال ومادت وهي ترتطم
فشمرت للقاء الله تعتم
فوق الظنون وماتدنو لها الهمم
والجسمُ صنعتها والروح والسدم

لم ينكروا من ضجيج الأرض قاذفةً
أما محمدٌ والمعراج كم هتفوا
لعله الوهم أو أسرى به حُلُم
أقدرةُ الله يالللناس قد عجزت
والنجمُ شاهدهُ والروحُ رائدهُ
وسدرةُ القرب يغشاها الجلال فلا
محمدٌ لا تطيق الشمسُ وطأته
لئن سرّوا في غدٍ للأفق أين لهم
فليبغوا النجمَ أو تمضي مطيّتهم
أما محمدٌ فالأقدار مَرَكِبُهُ
عيني وكيف رسول الله منطلقا
عيني وكيف نداء الله يُسَعِّفه
ولا عيونٌ ترى بل كلُّه بصيرٌ
عيني وكيف وميضٌ في مباسمه
وكيف ترقص حبات التراب لدى
ألم تطف حول عرش الله أمسية
ياليتني في سُراه بعض بُردته
حتى أراه وحبّ الله يسعفه
والغيب يهتف لاجنٍّ ولا ملكٍ
هذا مقامك لاجبريلُ يدركه
هذا اللواء وهذا اللوح والقلم
وكن بها واحد الدنيا وسيدها

ترمى النجوم ولم يسمع لهم كلم
هذا محالٌ وهل تغشى السُرى قدم
كم ردّدوا وبظهر الغيب كم رجموا
عن حملة أم حديث الله يتهم؟
وقاب قوسين لم تقعد به الهمم
تطبيقه وهو لا يهتز أو يجم
لورامها لتهاوت فوقها الرُّجُم
من بعد ذلك قرب الله والنعم
من بعده فلحد تُجذب اللُّجُم
والله مُطلبه لا السبق والنهم
عيني وكيف رأى والعالمون عموا
عيني وكيف ولا أذنٌ ولا كلم
وكله أذنٌ يسرى بها النغم
وكيف عانقه في عوده الحَرَم
مواطئ حُبها دينٌ ومعتصم
ألم تبت من معين القرب تلتهم
من لى بها بجميع الأرض أقتسم
وحامل الوحي عند الباب يلتزم
يرى الذي قد رآه المفرد العلم
ولا النبيُّون خبوا فيه وازدحموا
فاحكم بما ترتضى لا ينقض الكلم
وشافع الناس يوم النار تُضطرم

من وحي الإسراء والمعراج

لفضيلة الأديب الكبير الأستاذ محمد ضياء الدين الصابوني «شاعر طيبة وآل البيت» :

جَرَى الشوقُ فانسابَ مدامعُه
قد عزّه الصبرُ والسلوانُ لوَعَه
متيمٌ لذّع الهجران مهجته
يبيتُ يرعى نجومَ الليل في حرق
يظلُّ في الغار يدعو ربّه أملاً
لما تبادت (قريش) في غوايتها
فيمّم الطائف المأمول نصرته
جهالةً البغي طافت في ربوعهم
ضلّت ضلالاً كبيراً في جهالتها
فذاك يعبد صخراً ثم يحطمه
وذا يدسُ فتاةً في التراب ولا
لم يخش ضراً وعينُ الله تحرسه
إن لم تكن غاضباً عني فلا أحدٌ
تحسّر الليلُ عن فجرٍ أضاء له
سرى إلى حبه الأعلى على شغف
حتى أتاه وأمّ الأنبياء به
ثم ارتقى للسّموات العلا صعداً
في سِدرة المنتهى تغشاه عاطفةٌ

وَهَاجَهُ الوجدُ فاهتزّت أضالعهُ
وأرقّ السّهد فانقضّت مضاجعه
ومُدنّف من جلال النور مصرعُه
لله من فكرة باتت تلذّعُه
وليس إلّا في الظلماء يسمعه
وطُغمةُ الجهل قد راحت تروعه
فلم يجد من يواسيه ويمنعه
والبغي يرتع قد طابت مراتعه
وما أرعوتُ وشراب البغي تكرعه
وذا يؤلّهُ تمراً ثم يبلعه
يُثنيه عن عزمه خلق ويمنعه
من يتق الله حقاً لا يضيّعه
أعزّ مني إليك الأمرُ مرجعه
شعابُ مكة نحو القدس منزعه
والشوقُ يلهبه والحبُّ يدفعه
وكلّهم برسول الله مطمّعه
بالروح والجسم والأشواق تلدعه
لولا الجمالُ لَقَدْ كادت تروعه

لَقَدْ رَأَى رَبَّهُ فَاهْتَزَّ مِنْ طَرَبِ الْ
رَأَى بَعِينِيهِ مِنْ آيَاتِ بَارئِهِ
وَفُتِحَتْ لَكَ أَبْوَابُ السَّمَاءِ وَقَدْ
هُوَ الْحَبِيبُ وَقَدْ أُسْرَى بِهِ شَرْفًا
أَعْظَمَ بِهَا رَحْلَةً وَضَاءً مَشْرِقَةً
هَنَّاكَ نَاجَاهُ رَبُّ الْكَوْنِ عَنْ كَثْبِ
سَلِّ يَا مُحَمَّدُ مَا تَرْجُو بِلَا رَهَبٍ
رَبَّاهُ مَالِي مَنْ دُخِرَ وَمَنْ أَمَلَ
رَبَّاهُ دَعْوَةٌ حَقٌّ قَدْ دَعَوْتُ بِهَا
جَاءَ الْخُطَابُ وَقُرَّتْ عَيْنُ سَيِّدِنَا
وَعَزَّتِي وَجَلَالِي مَا تَقَدَّمَ لِي
مَنْ شَاءَ أَنْ تَبْلُغَ الْعِلْيَاءَ رَتْبُهُ
وَنَقَّ قَلْبَكَ مِنْ حَقْدٍ وَمِنْ حَسَدٍ
وَمَنْ تَكُنْ بِرَسُولِ اللَّهِ قِدْوَتُهُ
مَالِي أَرُوعَ مِنْ نَارِ الْجَحِيمِ وَقَدْ
وَهْلَ يَخِيبُ أَمْرُ قَدْ بَاتَ مَتَّصِلًا

لَمُقِيَا وَقَدْ طَفَّرَتْ فِي الْعَيْنِ أَدْمُعُهُ
مَا لَمْ يَزِغْ بَصَرُ الْهَادِي وَمَسْمَعُهُ
عَرَفَتْ كُلَّ نَبِيٍّ أَيْنَ مَوْضِعُهُ
عَلَى بَدَائِعِ خَلْقِ رَاحٍ يَطْلُعُهُ
عَلَى الْبَرَقِ وَرُوحُ الْقُدُسِ يَتَّبِعُهُ
كَمَا يَنَاجِي حَبِيبًا مَنْ يُودِّعُهُ
عَهْدُ إِلَيْكَ لِمَنْ يَهْوَاكَ أَقْطَعُهُ
فَأُمَّتِي أُمَّتِي دُخْرُ أَجْمَعِهِ
فَمَنْ سِوَاكَ لَصُوتِ الْحَقِّ يَسْمَعُهُ
فِيهِ مِنَ الْكَلِمِ الْمَخْتَارِ أَرُوعُهُ
عَبْدٌ بِطَاعَتِهِ إِلَّا أَشْفَعُهُ
فَذَا طَرِيقُ عُرُوجِ الرُّوحِ تَتَّبِعُهُ
وَلَا تَفَكَّرْ بِسُوءٍ سَوْفَ تَصْنَعُهُ
أَصَابَ نُجْحًا وَجَاءَ الْكَوْنُ يَخْضَعُهُ
وَقَفْتُ فِي بَابِهِ الْمَرْجُو أَقْرَعُهُ
بِسَيِّدِ الرِّسْلِ مَبْغَاهُ وَمَفْزَعُهُ

تاج المعراج

يقول شاعر آل البيت صديقنا وحيينا الأستاذ محمود جبر رحمه الله :

تَأَقَّتْ لِرؤُوتِكَ الْأَمْلَاقُ فَارْتَفَعَتْ
وَشَاءَ رَبُّكَ أَنْ تَرْقَى لِحَضْرَتِهِ
وَجِئْتَ سَاحَةً مَنْ أَعْطَاكَ شَرْعَتَهُ
مِنَا السَّلَامُ عَلَى مَنْ جَاءَ سَاحَتَنَا
مَنْ نَالَ مَا نَلْتَ يَا «طَه» وَلَا عَجَبٌ
هَذَا الَّذِي فِي سَمَاءِ الْعِلْمِ نَلِمُسُهُ
يُشِيرُ فِي وَضَحٍ عَنْ صَدَقِ بَعْثَتِهِ
مِعْرَاجُهُ صَلَوَاتُ اللَّهِ تَكَلُّوْهُ
وَالْكَهْرِبَاءُ أَلَيْسَتْ كَشَفَتْ تَجْرِبَةً
آيَاتُ مَوْلَايَ تَتَرَى كُلَّ آوَنَةٍ
أَيُّ مَنُونٍ بَذَرٌ سَوْفَ يَهْلِكُهُمْ
أَيُّ الصَّوَارِيخِ أَقْوَى مِنْ حِسَابِهِمْ
هَلْ يَزْعُمُونَ بِأَنَّ الْكَوْنَ قَبَضَتْهُمْ
لَقَدْ أَتَى الْأَمْرُ أَمْرَ اللَّهِ فَانْتَبَهُوا
يَا رَبِّ يَا رَبِّ إِنَّ الْقَوْمَ قَدْ فَجَرُوا
وَالْأَمْرُ أَمْرُكَ فَاهْلِكُهُمْ بِمَا صَنَعُوا
يَا مُوقِدَ الْحَرْبِ وَالتَّسْعِيرِ هَلْ ضَمَنْتَ

أَصْوَاتُهُمْ تَرْجِي رُؤْيَا حَبِيبِهِمْ
وَأَنْ يَخُصَّكَ بِالرُّؤْيَا وَبِالْكَلِمِ
وَمَنْ حَبَاكَ بِأَوْفَى فَضْلِهِ الْعَمَمِ
يَا خَاتِمَ الرِّسْلِ سَلْ مَا شِئْتَ مِنْ نَعَمِ
لَا يَنْكُرُ الشَّمْسُ يَا مَخْتَارُ غَيْرُ عَمِ
مِنَ الْخَوَارِقِ يَتَلَوُ غَيْرَ مَنْجُزِمِ
وَيَكْشِفُ السَّرَّ عَمَّا غَابَ عَنْ فَهْمِ
وَقُوَّةِ اللَّهِ شَيْءٌ بِالْغُ الْعِظَمِ
تَلْقَى الضِّيَاءَ عَلَى أَسْرَارِ رَبِّهِمْ
سَبْحَانَ مَنْ عَلَّمَ الْإِنْسَانَ بِالْقَلَمِ
وَيَكْفُرُونَ بِرَبِّي بَارِئِ النَّسَمِ
مِنَ الْقَوَارِعِ وَالزَّلْزَالِ فِي النِّقَمِ
وَالْخَلْقِ فِي كَفِّهِمْ تَقْتَادُ بِالْخَطَمِ
سَتَقْضُمُونَ بَنَانَ الْكَفِّ مِنْ نَدَمِ
وَفَجَّرُوا الذَّرَّ لِلْإِضْرَامِ وَالْحَمَمِ
وَانْقَذُ عِبَادَكَ مِنْ حَتْفٍ وَمَخْتَرَمِ
سِيَاسَةِ الْفِتْكَ مَا أَمَلْتُ مِنْ سَلَمِ

ما أعجب النار تبني ما تحرقه
وأعجب البطش يُحْيِي أنفساً ذهبتْ
وأعجب الجهل يهدى نعمة العرم
في ساحة الحرب عنواناً لمجترم
ما أحوج الناس للتفكير من حرب
آثارها مسرف يدعو إلى الشجم

الإِسْرَاءُ وَالْمَعْرَاجُ

وقد نظم العلامة داعية الإسلام الشيخ محمد متولى الشعراوى قصيدة عظيمة فى الإسراء والمعراج ، نقتطف منها هذه الأبيات :

وحى الجلال وفتنة الشعراء	ياليلة «المعراج» و «الإسراء»
وبما أتاك الله ذات رواء	الدهر أجمع أنت سر نواته
والشمسُ واحدةٌ من الإنشاء	فلك العلا دارت عليه شمسُه
«موسى وعيسى» صاحب الإحياء	من ذا الذى يحظى بما استعصى على
من ذا الذى يحظى بتى العذراء؟	لله عذراء بتيل خصرها !!
إن العظيم يكون للعظماء	لاغرو إن كانت كعاب «محمد»
نورٌ عليك يفوق نور ذكاء	ياليلة فى الدهر جل مقامها
لنبينا ذى الرتبة العليا	ياليلة فيها الفضائل أينعتُ
عيداً تجددُه يدُ العظماء	ياليلة صارت لأمة «أحمد»
عما عملت فأنت أصدقُ راء	ياليلة قُصِّى حديثاً شائعاً
كي تبترين جهالة الجهلاء	ياليلة قُصِّى حديث «محمد»
قد حازه ذو العزة القعساء	قُصِّى بربك ما علمت وما الذى
قُصِّى علينا أطيّب الأنبياء	قُصِّى حديث رسولنا خير الملاء
يحنو على مستوكف الأنبياء	هل فى سكوتك لى مجيبٌ ناطقٌ
صَبَّ أحنّ إليك كالورقاء	إن كنت تبغين الدلال فإننى
أعلى المشوق تعزز الهيفاء ؟	أو كنت تبغين انقباض وصالنا

فَصَلَّى بِرَغَمِ الْحَاسِدِينَ وَخَبَّرِي
تَلْبِيَةً وَعَطْفٌ:

رَقَّتْ وَلَبَّتْ وَانْحَنَتْ طَرْباً مَعِي
قَدْ أَمْطَرْتَنِي مِنْ ثَنَائِهَا الْمُنَا
قَالَتْ : وَقَدْ دَارَتْ بِكَأْسِ شَمُولِهَا
يَا مَنْ تَنَادَى ، مَا أَقُولُ وَقَدْ بَدَأَ؟
الْمُنْكَرُونَ لِمَا يَقُولُ «مُحَمَّدٌ»
لَكِنْ سَأَذْكَرُ نَبْذَةً مِمَّا جَرَى

وَقَالَ : كَيْفَ كَانَ الْإِسْرَاءُ وَالْمَعْرَاجُ :

قَالُوا : بِأَنَّكَ كُنْتَ فِي سَنَةِ الْكَرَى
قَدْ كُنْتَ يَقْظَاناً بِجَسْمِكَ سَارِياً

رَدُّ عَلَى الْمُنْكَرِ :

إِنْ كَانَ هَذَا يَسْتَحِيلُ وَجُودُهُ
إِنْ لَمْ يَكُنْ «إِسْرَآؤُهُ» وَ«عُرُوجُهُ»
فَإِذْ عَنِ مَعْجَزَةِ تَخْصُ «بِأَحْمَدٍ»
وَقَدْ انْتَهَى «مَعْرَاجُهُ» فَلْتَوَمَّنُوا

فَلْغَيْرِ «أَحْمَدَ» سَيِّدِ الْغُيُبِ
مِنْهُمْ غَرِيباً مَا حَظَى بِبَهَاءِ
نُورِ الْبَسِيطَةِ دُوحَةِ الزَّهْرَاءِ
وَلْتَقْبَلُوهُ مَرْتَباً بَيْنَائِي

همزية العربي الرحالى

يقول العلامة النحوي الفقيه الأصولي الشيخ محمد العربي بن بهلول

ابن عمر الرحالى فى همزيته « تحفة المادح للخاتم الفاتح » :

كنت فى المسجد الحرام فأسرى	بك للأقصى فغار منه حراءُ
جاءَ جبريلُ بالبراق لثرقى	فارتقيتَ ارتقاَ مافوقُ ارتقاءُ
عجزَ البرقُ عن خطاهُ فما	للبرق فى السير بالبراق استواءُ
فى أقلّ الزمان كنت لدى القُدْ	س فانطوتُ فى مسيرك الصحراءُ
فربطتَ البراقَ فى جانب الصخِ	رةَ جاءتَ تزوركَ الأنبياءُ
فتقدّمتَ للصلاة فصلي	تَ إماماً والكلّ منك وراءُ
ثم كانَ العروجُ فوقَ السما	ء سرتَ بالجسم مالدينا امترأ
حينَ تمّتْ لكِ المعارجُ عشرا	عُرفتَ كلّها لها أسماءُ
فانتهى جبريلُ الأمين لدى التّاءِ	سِعِ منها وعَزَّ منه اغتلاءُ
فرأيتَ الإلهَ رؤيةَ عين	فانتفىّ الكيفُ وانتفىّ الرّقباءُ
وخطابُ جرى وأنتَ قريبٌ	أينَ موسى الذى له الإصطفاءُ
كلماً استفتحَ الأمينُ سماءَ	بك قامتَ تُرحّبُ الأنبياءُ
وينادى بباب كلِّ سماءٍ	قد أتى أحمدُ النبيّ النداءُ

(مقتطفات منتخبة)

المهدي محمود عبد الله :

وللشاعر المهدي محمود عبد الله قصيدة فى هذه المناسبة ، يقول فى مطلعها :

بك مرحباً يا صاحب الإسراء	وأجل مبعوث بخير ضياء
يا خير من رب السماء اختصه	دون الأنام بنعمة الإسراء
وحباك بالخلق الكريم وكيف لا	تحظى بكل تجلّة وثناء
قبس من المعراج والفيض الذى	غمّر الوجود بساطع الأضواء
لما سموت إلى السماء مكرماً	فى موكب متألق وضّاء
فبلغت أسمى غاية ومكانة	جلّت عن التنويه والإطراء
ورأيت ربّ الكون جلّ جلاله	حقاً بنور بصيرة الحوباء
نور على نور فليس كمثله	شئٌ تعالى صاحب الآلاء
سبحاته أعطى فأرضى عبده	فى الدين والدنيا أجلّ عطاء
عزيز أباطه :	

وللشاعر الأستاذ عزيز أباطة قصيدة عظيمة أيضاً :

سبحان من أسرى بخير عباده	والليل قد ستر الدنا سر باله
هل عاجز عن رفع إنسان إلى	* * * ملكوته بالجسم أو بالروح
الحق أبلغ غير أن الكفر يسد	تشرى فيطمس فيه كل صحيح
سرى محمد فى سبيلك لا تضق	ذرعاً بتكذيب ولا تجريح
الله واعلّك النجاح وأنه	أتيك فى يوم أغر صبيح

ويقول الشاعر الأديب الحبيب طه بن حسن السقاف في " معارضة

البردة :

من مكة الخير عند البيت والحرم	أسرى بك الله للتشريف والكرم
سريت ممتطياً ذاك البراق إلى	قُدُس فيآله من ركب من الحرم
وجدت بالقدس كل الأنبياء بهم	صليت والرسُل قد صفُّوا على قَدَم
وقابلوك بترحاب وتهنئة	أنت المفضل فيهم صاحب العلم
إلى السماء عروجٌ نلتَ تَكْرِمَةً	جبريلُ في الركب والأَملاكُ كالخَدَم
ملائكُ في السماوات العلى هرعوا	مرحبين بطه زاكي الشيم
لاقيت نوحاً وكل الأنبياء بها	عيسى وموسى ويحيى عالي الهمم
إدريس آدم إبراهيم سيدنا	وأنت أفضلهم في البدء والختم
ونلتَ مانلتَ من مولاك تَكْرِمَةً	أعطاك من كل خير أوفر القسم
الله أعطاك أسراراً وخصك بال	إكرام منه وبالإرسال للأُمم

قائمة المراجع

كتب التفسير

الرقم	اسم الكتاب	المؤلف	المطبعة
١	الجامع لأحكام القرآن	أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري «القرطبي»	دار الكتب العلمية
٢	تفسير ابن كثير	أبو الفداء «ابن كثير» الدمشقي .	المكتبة التجارية مكة المكرمة
٣	تفسير الطبري	أبو جعفر محمد بن جرير «الطبري»	دار الفكر

كتب الحديث

الرقم	اسم الكتاب	المؤلف	المطبعة
٤	صحيح البخاري	أبو عبد الله محمد بن إسماعيل «البخاري»	دار إحياء التراث العربي بيروت لبنان
٥	صحيح مسلم	«مسلم» بن الحجاج القشيري النيسابوري	دار الفكر للطباعة بيروت
٦	فتح الباري شرح صحيح البخاري	الحافظ «ابن حجر العسقلاني»	دار الكتب العلمية بيروت - لبنان
٧	شرح النووي على صحيح مسلم	محي الدين أبو زكريا يحيى «النووي»	دار الكتب العلمية
٨	عون المعبود شرح سنن أبي داود	الشيخ محمد شمس الحق العظيم آبادي	دار الكتب العلمية بيروت - لبنان
٩	مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح	الشيخ علي بن سلطان محمد القاري	المكتبة التجارية مكة المكرمة
١٠	التعليق الصبيح على مشكاة المصابيح	الشيخ محمد إدريس «الكاندهلوي»	الهندي

كتب الحديث

الرقم	اسم الكتاب	المؤلف	المطبعة
١١	الكاشف عن حقائق السنن على مشكاة المصابيح	الإمام شرف الدين حسين بن محمد بن عبد الله «الطبيي»	إدارة القرآن والعلوم الإسلامية كراتشي ، باكستان
١٢	دلائل النبوة	أبوبكر أحمد بن حسين «البيهقي»	دار الكتب العلمية
١٣	كشف الأستار عن زوائد البزار	نور الدين علي بن أبي بكر « الهيثمي »	مؤسسة الرسالة
١٤	مجمع الزوائد	نور الدين «الهيثمي»	دار الكتاب العربي
١٥	مشكاة المصابيح	محمد بن عبد الله «الخطيب التبريزي» تحقيق محمد سعيد اللحام	دار الفكر بيروت
١٦	إرشاد الساري شرح صحيح البخاري	الحافظ أحمد بن محمد « القسطلاني »	

المراجع الخاصة بالإسراء والمعراج والسيرة

- ١٧ - السراج الوهاج فى حقائق المعراج
« لأبى إسحاق محمد بن إبراهيم «النعمانى» المصرى طبع بمطبعة الاعتصام .
- ١٨ - الآية الكبرى فى شرح قصة الإسراء
« لجلال الدين «السيوطى» طبع بمطبعة دار ابن كثير بدمشق
- ١٩ - الآيات العظيمة الباهرة فى معراج سيد أهل الدنيا والآخرة
« لشمس الدين محمد بن يوسف «الشامى» مخطوط
- ٢٠ - الابتهاج فى الكلام على الإسراء والمعراج
لنجم الدين محمد بن أحمد «الغيطى» طبع بمطبعة بولاق بمصر
- ٢١ - حاشية الشيخ أبى البركات أحمد بن محمد العدوى الشهير «بالدردير»
على معراج الغيطى طبع بمطبعة مصطفى البابى الحلبي
- ٢٢ - النور الوهاج فى قصة الإسراء والمعراج
لزين العابدين بن محمد الهادى «البرزنجى» طبع بمطبعة الآداب والعلوم بدمشق
- ٢٣ - تاج الابتهاج على النور الوهاج
للسيد جعفر «البرزنجى» طبع بالمطبعة الحميدية بمصر

٢٤- قصة المعراج للسيد عثمان شطا

طبع بمطبعة الشرقى الماجدية العثمانية بمكة المشرفة المحمية

٢٥- المنهاج السامى مختصر المعراج الشامى (ضمن كتابه الكبير : " جواهر البحار "

للشيخ يوسف بن إسماعيل « النبهانى »

٢٦- ضوء السراج فى فضل رجب وقصة المعراج

للشيخ «محمد أمين الكردى» الإربلى طبع بمطبعة السعادة بمصر

٢٧- الإسراء والمعراج المعجزة الكبرى لسيد الأنبياء

للشيخ نافع الجوهرى الخفاجى طبع بالمطبعة المنيرية بالأزهر

٢٨- يواقيت التاج الوهاج فى قصة الإسراء والمعراج

لأبى الهدى محمد الباقر الكتانى طبع بمطبعة الأمانة بالرباط المغرب

٢٩- السراج الوهاج فى الإسراء والمعراج

للسيد محمد ماضى أبو العزائم طبع بدار المدينة المنورة بمصر

٣٠- أفضل منهاج فى إثبات الإسراء والمعراج

للشيخ عبد الله مصطفى « المراغى » طبع بمطبعة السنة المحمدية

٣١- الإسراء والمعراج

للشيخ عبد الحليم محمود طبع بمجمع البحوث العلمية بالأزهر

٣٢- السراج الوهاج فى الإسراء والمعراج

للشيخ محمد الأمير العمرانى طبع بمطبعة الأمانة بمصر

- ٣٣- الجمانة اليتيمة فى ذكر معراج الذات العظيمة
للشيخ محمد المجذوب السودانى طبع بمطبعة مصطفى البابى الحلبي
- ٣٤- الإسراء والمعراج
للشيخ عبد الرحمن تاج شيخ الأزهر طبع بمطبعة الأزهر
- ٣٥- الإسراء والمعراج
لمحي الدين الجراح طبع بدمشق
- ٣٦- الإسراء والمعراج
للشيخ محمد متولى الشعراوى طبع بدار التراث الإسلامى بمصر
- ٣٧- معجزة الإسراء والمعراج
للشيخ أحمد فلاش والشيخ محمد زينو طبع بمطبعة الحضارة الإسلامية بحلب
- ٣٨- الإسراء والمعراج
لمحمد أنس المراد طبع بمطبعة العلم سنة ١٣٨٩هـ
- ٣٩- الإسراء والمعراج
لموسى محمد الأسود طبع بالكويت
- ٤٠- الإسراء والمعراج المنسوب لابن عباس طبع بمصر
- ٤١- الإسراء والمعراج من تفسير الحافظ ابن كثير
تعليق إسماعيل الأنصارى طبع بمطبعة الرياض الحديثة بالرياض

٤٢ - معراج المصطفى ﷺ كما رواه أنس بن مالك وغيره من الصحابة

طبع بمطبعة المهائني بدمشق

٤٣ - الإسراء والمعراج مجلة الإسلام رجب ١٣٩٢

طبع بمطبعة المجلس الإسلامي الأعلى بالقاهرة

كتب السيرة

الرقم	اسم الكتاب	المؤلف	المطبعة
٤٤	المواهب اللدنية بالمنح المحمدية	الحافظ أحمد بن محمد «القسطلاني» تحقيق صالح الشامي	الكتب الإسلامية
٤٥	حدايق الأنوار ومطالع الأسرار في سيرة النبي المختار ﷺ وعلى آله المصطفين الأخيار	الحافظ عبد الرحمن بن علي بن محمد المشهور «بابن الديبع» تحقيق عبد الله ابراهيم الأنصاري	المكتبة المكية
٤٦	سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد	الحافظ محمد بن يوسف «الشامي»	المجلس الأعلى للشئون الإسلامية القاهرة
٤٧	السيرة الحلبية	الشيخ علي بن برهان الدين «الحلبى»	المكتبة الإسلامية بيروت
٤٨	السيرة النبوية والآثار المحمدية	السيد أحمد بن زيني دحلان (هامش الحلبية)	
٤٩	كفاية الطالب اللبيب في خصائص الحبيب	الحافظ جلال الدين «السيوطى»	دار الكتب الحديثة مصر

المدائح والدواوين

الرقم	اسم الكتاب	المؤلف	المطبعة
٥٠	المجموعة النبهاية	السيد يوسف بن إسماعيل «النبهاني»	بيروت - لبنان
٥١	نهج البردة	محمود جبر شاعر آل البيت	دار الكتاب العربي بمصر
٥٢	تحفة المادح للخاتم الفتاح	محمد العربي بن البهلول بن عمر الرحالي	المغرب
٥٣	ديوان البرعي	للسيد عبد الرحيم «البرعي»	القاهرة
٥٤	المدائح الحسينية	أحمد خيرى	الاعتماد بمصر ١٣٧١
٥٥	قصيدة الباكورة	محمد متولى الشعراوى	دار التراث الإسلامى
٥٦	المسك الفائح فى سيرة من تشرفت به المدائح	طه بن حسن السقاف	
٥٧	نفحات حب وخلجات قلب	محمد ضياء الدين الصابونى	

الرقم	اسم الكتاب	المؤلف	المطبعة
٥٨	نفح الطيب في مدح الحبيب	السيد محمد أمين كتيبي	
٥٩	طية الغراء في مدح سيد الأنبياء	السيد يوسف بن إسماعيل «النبهاني»	
٦٠	روضات الخطيب	محمد خليل الخطيب	طنطا
٦١	نسج البردة	الحبيب عبد الله بن أحمد الهدار	مصر
٦٢	نهج البردة	أحمد شوقي	
٦٣	كشف الغمة في مدح سيد الأمة	محمود سامي البارودي	مصر

كتب اللغة

الرقم	اسم الكتاب	المؤلف	المطبعة
٦٤	النهاية في غريب الحديث	مجد الدين المبارك بن محمد الجزري «ابن الأثير»	دار الفكر - بيروت
٦٥	المصباح المنير	أحمد بن محمد بن علي «الفيومي» المقرئ	مكتبة لبنان ، ساحة رياض الصلح ، بيروت
٦٦	تاج العروس شرح القاموس	محمد بن محمد «المرتضى الزبيدي»	
٦٧	مختار الصحاح	محمد بن أبي بكر بن عبد القادر «الرازي»	مكتبة لبنان ، ساحة رياض الصلح ، بيروت

الفهرس

١ * المقدمة
٤ * بيان بأسماء الكتب المؤلفة فى هذا الباب
١٩ * آية الإسراء فى القرآن
١٩ سبب النزول
١٩ فضائل سورة الإسراء
٢٠ افتتاح السورة بالتسبيح
٢١ سبحان
٢٢ فضل التسبيح
٢٣ أسرى
٢٣ بعبدہ
٢٤ أقوال العلماء فى العبودية
٢٥ ليلا
٢٦ ما أكرم الله به نبيه ﷺ فى الليل
٢٧ ليلة الإسراء وليلة القدر
٢٩ من المسجد الحرام
٣٠ إلى المسجد الأقصى
٣١ الأقصى
٣٣ لنزله من آياتنا

- ٣٣ إنه هو السميع البصير
- ٣٦ آيات المعراج فى القرآن
- ٣٦ القسم فى الآية
- ٣٦ قال الإمام القشيري
- ٣٧ والنجم
- ٤٠ ما ضل صاحبكم وما غوى
- ٤١ وما ينطق عن الهوى
- ٤٢ الهوى
- ٤٣ إن هو إلا وحي يوحى
- ٤٥ علّمه شديد القوى
- ٤٦ ذو مرة
- ٤٧ فاستوى وهو بالأفق الأعلى
- ٤٨ ثم دنا فتدلى
- ٤٨ فكان قاب قوسين أو أدنى
- ٤٩ أو أدنى
- ٤٩ فأوحى إلى عبده ما أوحى
- ٥٠ ما كذب الفؤاد ما رأى
- ٥٠ ما كذب الفؤاد ما رأى ، وقراءة أخرى
- ٥١ من هو المرئى

٥١	أفتمارونه على ما يرى
٥٢	ولقد رآه نزلة أخرى
٥٢	عند سدرة المنتهى
٥٤	المنتهى
٥٤	عندها جنة المأوى
٥٥	إذ يغشى السدرة ما يغشى
٥٧	ما زاع البصر وما طغى
٥٨	لقد رأى من آيات ربه الكبرى
٥٨	تعيين مارآه من تلك الآية الكبرى
٥٩	* خاتمة البحث
٥٩	الصحابة الذين رووا قصة الإسراء والمعراج
٦٠	* نصوص الأحاديث المروية فى هذا الباب (الحديث الأول)
٦٣	الحديث الثانى
٦٥	الحديث الثالث
٦٨	الحديث الرابع
٦٩	الحديث الخامس
٧١	الحديث السادس
٧٦	الحديث السابع
٨٠	الحديث الثامن

٨٦	الحديث التاسع
٩٤	زيادة على هذه الرواية
٩٧	الحديث العاشر
٩٩	الحديث الحادى عشر
٩٩	الحديث الثانى عشر
١٠٠	الحديث الثالث عشر
١٠١	الحديث الرابع عشر
١٠٢	* مفهوم الاجتماع لذكرى الإسراء والمعراج
١٠٥	* دروس وعبر عن قصة الإسراء والمعراج (١)
١٠٩	* دروس وعبر عن قصة الإسراء والمعراج (٢)
١١٣	* حقيقة الإسراء ومذهب أهل الحق
١١٤	زمن وقوع هذه المعجزة
١١٦	هل تكرر الإسراء به صلى الله عليه وسلم
١١٨	المفاجأة فى المناجاة ليلة المعراج
١١٩	* المسجد الحرام
١٢٤	بعض فضائل جبريل وميكائيل عليهما السلام
١٢٧	* شق الصدر الشريف
١٣٠	فوائد مهمة تتعلق بشق الصدر

- ١٤١ * لاحظ للشيطان فى سيد ولد عدنان
- ١٤١ كمال خلق القلب المحمدى
- ١٤٣ خاتم النبوة
- ١٤٧ الحكمة فى الخاتم
- ١٤٨ تاريخ وضع الخاتم
- ١٥٠ الطست الذهبى الذى غسل فيه قلبه الشريف
- ١٥٢ البراق
- ١٥٤ استصعاب البراق
- ١٥٥ أعوذ بوجه الله الكريم
- ١٥٦ المتكلمون فى المهد
- ١٦٢ آنية الماء والخمر واللبن
- ١٦٤ * أكلة الربا وانتفاخ بطونهم
- ١٦٦ * الحكمة فى إسرائه أولاً إلى البيت المقدس
- ١٦٨ * المسجد الأقصى - فضائله وخصائصه
- ١٦٩ المسجد الأقصى أكان مبنيا أم خرابا وقت الإسراء؟
- ١٧٠ الصخرة المشرفة وآثار أقدام الأنبياء
- ١٧١ أثر القدم
- ١٧٢ أثر قدم إبراهيم على الحجر بمكة
- ١٧٤ إشكال عن عرض الأرواح وجوابه

- ١٧٦ حشر المرسلين والأنبياء للصلاة
- ١٧٧ إمامته صلى الله عليه وسلم للأنبياء فى الصلاة
- ١٧٨ إشكال وجوابه
- ١٨٠ * خطب الأنبياء فى ليلة الإسراء والمعراج
- ١٨١ استفتاح جبريل أبواب السماء
- ١٨٢ * مسألة السؤال عن الإرسال
- ١٨٢ مرحباً بالابن الصالح والنبى الصالح
- ١٨٣ بكاء موسى عليه السلام
- ١٨٥ قول موسى عن النبى صلى الله عليه وسلم إنه غلام
- ١٨٦ لقاءه الأنبياء وأسراره
- ١٩٤ سدرة المنتهى
- ١٩٦ دخول النبى صلى الله عليه وسلم الجنة
- ١٩٦ عرض النار عليه صلى الله عليه وسلم
- ١٩٨ * مالك خازن النار
- ١٩٨ البيت المعمور
- ١٩٩ أنواع المعاريج
- ٢٠٠ ثم دنا فتدلى
- ٢٠٢ * مستوى صريف الأقلام
- ٢٠٤ * رؤية النبى صلى الله عليه وسلم الحق سبحانه وتعالى

٢٠٦ الخلاصة
٢٠٧ حقيقة القول برؤيا العين
٢٠٧ المراد برؤية الفؤاد والوقف أسلم
٢٠٨ الرؤية والدعاوى الكاذبة
٢١٠ * رؤية العباد لله تعالى
٢١٥ * لا تدركه الأبصار
٢١٧ * الرؤية القلبية والمنامية للذات العلية والحضرة النبوية
٢٢٠ وآتيت إبراهيم ملكا عظيما
٢٢١ معنى الذنب فى حق نبينا محمد صلى الله عليه وسلم
٢٢٣ من هم بحسنة ومن هم بسيئة
٢٢٤ * الحكمة فى تخصيص فرض الصلاة ليلة الإسراء وبلا واسطة
٢٢٥ سؤال موسى عليه السلام طلب التخفيف عن هذه الأمة
٢٢٦ تخفيف الصلاة وآية (ما يبدل القول لدي)
٢٢٨ تخفيف الصلاة ومسألة النسخ قبل التمكن
٢٢٩ * صلاة جبريل بالنبي صلى الله عليه وسلم
٢٣٠ معنى قوله (وقت الأنبياء قبلك)
٢٣١ كيفية فرض الصلاة
٢٣٢ التحيات لله
٢٣٢ وصف النبي صلى الله عليه وسلم بالمسجد الأقصى

٢٣٤	حبس الشمس لنبينا صلى الله عليه وسلم
٢٣٨	شبه مردودة
٢٤٢	* شبهة إنكار طبقات السماء
٢٤٦	* المعراج وشبهة المكان لله تعالى
٢٤٧	* المعراج والجهة
٢٤٨	الدنو والتدلى
٢٥٢	* أحاديث المعراج فى الميزان
٢٥٥	* قصص المعراج المتداولة
٢٥٦	معراج ابن عباس
٢٥٩	* تخريج أحاديث الإسراء والمعراج
٢٨٧	* الأحاديث الباطلة والموضوعة فى هذا الباب
٢٩٢	* معارف وعلوم جديدة فى رحلة الإسراء والمعراج
٢٩٦	* وهو بالأفق الأعلى
٢٩٦	من هذه التوجيهات
٢٩٧	المصدر الحقيقى للأخلاق
٢٩٩	* هنيئاً للحضرة المحمدية
٣٠١	* الإسراء والمعراج والعلوم الحديثة
٣٠٤	* تأويل المعجزات
٣٠٧	* حادثة الإسراء والمعراج والميزان العقلى
٣٠٨	إنكار المعجزات الحسية

- ٣١٤ * إختبار غير موفق
- ٣١٧ * الحكمة فى تأخير الإخبار بالمعراج
- ٣١٩ * الخاتمة: الإسراء والمعراج فى ميزان الشعر
- ٣٢٠ * رتبُ ما وراء هن وراء
- ٣٢١ * الإمام البرعى والإسراء والمعراج
- ٣٢٣ * قد بايعوك على صدق المتابعة
- ٣٢٥ * الضيف الكريم
- ٣٢٧ * الإسراء والمعراج عند الخطيب
- ٣٢٩ * لما خطرت به التفوا بسيدهم
- ٣٣١ * كشف الغمة فى معراج سيد الأمة
- ٣٣٢ * طافت مواكبه بكل سماء
- ٣٣٤ * قد تجلى لك الإله
- ٣٣٥ * ناجيت ربك
- ٣٣٥ * فاز النبى بروية وكلام
- ٣٣٦ * أشرق المعراج
- ٣٣٦ * أبيات الهدار
- ٣٣٧ * عرس الزمان
- ٣٣٩ * من وحي الإسراء والمعراج
- ٣٤١ * تاج المعراج

٣٤٣ * الإسراء والمعراج

٣٤٥ * همزية العربى الرحالى

٣٤٦ * مقتطفات منتخبة

٣٤٨ * قائمة المراجع

٣٥٩ * الفهرس

مكتبة

دار جوامع الكلمة.. للتوزيع والنشر

الأزهر - القاهرة